تاريخ المصريين ٢١١

إمارة الرها الصليبية

دكتورة علية عبد السميع الجنزوري



الهيئة المصرية العامة للكتاب

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى

استاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

إمارة الرها الصليبية

صفحة لها خطورتها فى تاريخ الجهاد الاسلامى والمحاولات العديدة التى بذلها الصليبيون فى امارة الرها لتمزيق وحدة المسلمين واقامة حاجز بين بلاد العراق من ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية اخرى .



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الإهداء

" إلى زوجي العزيز الذي كان لتشجيعه
المستمر لي أكبر الأثر في إتمام هذا البحث "

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية» للأستاذة الدكتورة علية عبدالسميع الجنزورى، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره فى هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة علية الجنزورى بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «والحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالى يتناول تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها

الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية، إذ أصبحت عقبة فى طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام، وفى الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتورة علية الجنزورى، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية.

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف.

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« تقـــديم »

مازالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستأثر بجهود كثير من الباحثين فى ميدان التـــاريخ وخاصـــة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشـاط الصليبيين فى بلاد الشام بوصفها الهدف الأول للحملات الصـــليبية ــ فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية ــ ما تأثر تأثرا مباشرا بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميدانا كبيرا لنشـــاط صليبى واسع المدى ، لا يقـــل فى بعض مراحله عن النشاط الصليبى بالشام .

من ذلك ما شـهده اقليم الجـــزيرة فى بلاد العراق من نشاط صليبى واسع النطاق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . ذلك أن الظروف شـــاءت ان تقوم اولى الامارات الصليبية التى أسسها الصـــليبيون فى الشرق الأدنى فى الرها وما حولها من أراض وبلاد ، وهى منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى فى ذلك العصر . وجاء قيـــام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذانا ببداية مرحلة جديدة فى تـــاريخ تلك المنطقة ، وهى مرحلة شهدت صراعا عنيفا ــ يظهر حينـــا ويستتر أحيانا ــ بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف مللها ونحلها ، من ارمن وسريان ، واتراك وتركمان وعرب ، فضلا عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من أنفسهم أرستقراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بعبء وحمـــاية الكيـــان المسيحى وسط المحيط الاسلامى الكبير .

ولا شك فى ان الموقع الجغرافى لامارة الرهـــا الصليبية اســـهم الى حـــد كبير فى اضـــفاء قـــدر من الاهميـــة على الدور الذى قـــدر لتلك الامارة ان تلعبه على مسرح الأحـداث حتى ســـقوطها ســـنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسى بين الموصـــل وحلب

وهما أكبر قوتين اسلاميتين فى شمال العراق والشام فى ذلك الدور - مما جعل منها عقبة فى طريق قيام اية وحدة اسلامية تربط بين شمال العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعها فى الشمال الشرقى بالنسبة لبقية الامارات التى اسسها الصليبيون فى الشرق الأدنى جعل منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمى البناء الصليبى فى ذلك الاتجاه . فاذا اضفنا الى ذلك قربها من المجتمع المسيحى فى ارمينية وشرق الأناضول من ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، ادركنا خطورة الدور الذى نهضت به امارة الرها الصليبية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت به المنطقة التى قامت فيها امارة الرها من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى . على أن حسن الحظ شاء أن تتصدى لعلاج هذا الموضوع الدكتورة عليه الجنزورى ، موضحت هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للباحثين فى حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتورة عليه الجنزورى — التى تتلمذت علينا فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن أن يتصف به باحث ناجح ، من حيث الجراة فى التصدى لمختلف الآراء ومناقشتها وتفنيدها ، مع التحلى بروح الصبر والمثابرة فى تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والمقدرة على حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة الى التنويه بالجهد الذى بذلته الدكتورة عليه الجنزورى فى تاليف هذا الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح الصامت ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى ان ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داعيا للدكتورة عليه الجنزورى بالتوفيق فى مواصلة طريق البحث . وانى لعلى يقين من أنها — بفضل ما توافر لها من عزم وذكاء وخلق متين — ستقدم للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الأصيل ان شاء الله .

دكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقـــدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما فى تأريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامى كانت هذه الحروب بمثـابة زلزال مروع حل ببنـاء قديم ، فاصابه بشرخ عميق . ذلك أن الحملة الصليبية الأولى وصلت الى الشرق فى وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم فى الأرض العربية ويقيموا عليها فترة من الوقت .

وقد تمخضت الحملة الصليبية الأولى عن اقـامة اربع امارات صليبية فى كل من الرهـا وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منـها دورا كبيرا فى الصراع الذى دار بين المسـلمين والصليبيين على مسرح الشرق الأدنى فى عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الأمر فى نهاية القرن الثـالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

واذا كانت الامارات الثلاث الأخيرة السـالفة الذكر تقـع فى أرض الشـام ، فان امارة الرها تميزت بوقوعها فى أرض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيـا بالغ الأهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبى فى الشرق الأدنى . ومعنى هذا أن امارة الرها صارت بالنسبة لبـاقى الامـارات الصليبية بالشـام بمثابة درعها الواقى من ناحيتى الشرق والشمال الشرقى ، ويشبهها من بعض النواحى فى هـذه الصفة امارة انطاكية فى شمال بلاد الشام مع ملاحظة أن الخطر البيزنطى الذى تصدت له امارة انطاكية كان لا يقـارن بخطر السلاجقة والتركمان الذى كان على امـارة الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا أن جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق الأدنى انما يدور حول نشـاط تلك الامارات . ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نذكر أن هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وانما امتد ليشمل آفاق مجتمع صليبى قـدر له أن يعيش عدة أجيـال وسط أرض غريبة لها أوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن أوضاع المجتمع الصليبى . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . واذا كانت مملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت ـ بحكم مكانتها ـ بالقسط الأكبر من جهود الباحثين ، فان امارتى انطاكية وطرابلس مازالتا تحت أضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات العلمية عنهما .

اما « امارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ ان نصيبها كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وان ظهرت بعض الدراسات المحدودة التي تعرضت لجوانب من تاريخ هذه الامارة انصب اغلبها على النواحى السياسية والحربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحي الحضارية ، ولعل هذا هو الذى اثار احساسنا بحاجة امارة الرها الى مزيد من الضوء على تاريخها ، مما دفعنا الي دراستها دراسة متكاملة متخصصة فى هذا البحث .

وربما كان من الأسباب التى لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا فى تاريخ امارة الرها الصليبية هو ان هذه الامارة كانت بمثابة جزيرة ارمينية وسط بحر اسلامى بيزنطي واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الأصلية لها لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل ايضا تتطلب الرجوع الى مصادر عربية اسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمينية والسريانيـــة .

وقد حاولت فى هذه الدراسة ان استقى المعلومات التاريخية الخاصة بامارة الرها من كافة المصادر الإصلية المتنوعة السابقة الذكر ، فضلا عن الاســتفادة من آراء المؤرخين المحدثين الذين كتبوا فى تــاريخ الحروب الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبذلت فى ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة تاريخية واضحة لامــارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربيـــة ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الاشارة الى الدور الحيوى الذى قامت به هذه الامارة القصيرة الأجل (١٠٩٨ ـ ١١٤٤ ـ ١١٤٦م/٤٩٢ ـ ٥٣٩ ـ ٥٤١هـ) فى الصراع الاسلامى الصليبى طوال مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة أن موضـــوع « امارة الرهـــا الصليبية » كان موضـــوع رســـالتى فى الدكتوراه . ولـــا وفقت بعون الله فى الحصول عليها ، رايت أن من اولى واجباتى تجاه حقل تاريخ العصور الوسطى ، ان افكر جديا فى نشر هذا الموضوع حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخى الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى فى فترة الحروب الصليبية . وبذلك اكون قد أسهمت بقدر — هو اقصى ما سمحت به طاقتى وجهدى — فى سد احدى الثغرات التى كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعنى الآن قبل البدء فى طبع هذا البحث العلمى المتواضع ، الا ان ابدا برفع اسمى آيات الشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذى اشرف على هذا البحث وساعدنى فى اختيار موضوعه . ولا يخفى أن الأستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية فى العصور الوسطى فى مصر والعالم العربى . وكان لى الشرف ان احظى باشرافه وأن انهل من علمه وأدبه وتوجيهاته فى المنهج العلمى وفى الرجوع الى المصادر الأصلية ، وان قلمى ليعجز عن اظهار مدى تقديرى لسيادته . والحقيقة انه كان باستمرار مخلصا فى نصيحته ، عالما فى نقده ، والدا فى حلمه ، قويا فى صبره ، مؤمنا صالحا فى علاقاته ، قاسيا أمام الخطأ ، رحيما عند المقدرة .

كذلك لا انسى ايضا فى هذا المجال ان اتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى استاذتى الفاضلة وامى الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف استاذة كرسى التاريخ الاسلامى والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس — والتى اشتركت فى الاشراف على بحثى هذا — لما قدمته لى أيضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لى من صعاب واجهتنى خلال اعداد هذا البحث بالاضافة الى رعايتها الكاملة لى مما شجعنى كثيرا فى اتمام هذا البحث .

وفى النهاية لا يفوتنى أيضا ان اتقدم بشكرى الوافر الى بعض من كان لهم الفضل فى تذليل الكثير من الصعوبات التى واجهتنى اثناء جمع مادة هذا البحث واخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمى عبد الواحد خضره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذى تفضل مشكورا بمساعدتى فى ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتى افادتنى فائدة جمة فى سد الكثير من الثغرات اثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك اقدم شكرى الجزيل لسيادة الأب منصور مستريح عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص فى الدراسات الأرمينية الذى تفضل مشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الاصل الأرمنى الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتى تنشر لأول مرة ، حيث اننى قـد أوردتها بالكامل كملحق فى نهاية هـذا الكتاب ، فلقد كنت شرعت فعلا عند عثورى على هذه القصيدة — ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

فى ترجمتها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديصان — أحد آباء معهد الدراسات الشرقية للدومنيكان — اشار على بانه من المستحسن الاتصال بالأب منصور مستريح ليقوم بترجمة القصيدة عن الأصل الارمينى حتى لا تغير الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصلى ، وبالفعل تولى سيادته مشكورا مهمة تقديمى للأب منصور مرحب بتلك المهمة . لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة كميكروفيلم حتى تسهل مهمة الترجمة . وهكذا استطعنا فى النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه القصيدة الجديدة الهامة فى هذا البحث .

ولا انسى ايضا انا تقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة الاباء الدومنيكان الذين افادتنى مكتبتهم افادة كبرى واخص بالذكر الابجورج شحاته قنواتى مدير الدراسات الشرقية للدومينيكان والأب ديصان والأب كورتلياريه . كما أقدم شكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى راسهم الاستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس والاسكندرية .

" والله ولى التوفيق "

القاهرة يوليه ١٩٧٤

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا فى بحثنا هذا على عدة مصادر ثقه اصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وارمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عدة مراجع حديثة عربية وافرنجية استفدنا منها فى نقل بعض الآراء بل وفى الوصول الى بعض الحقائق التى أخذتها عن مصادر لم نستطع الوصول اليها .

وقد افادتنا بعض هذه المصادر فى غالبية اجزاء الرسالة أما البعض الآخر فقد افادتنا فى اجزاء محدودة دون غيرها .

يأتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة **المصادر اللاتينية** التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنا على غالبيتها فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية Recueil des Historiens des Croisades وسنكتفى هنا بالاشارة الى اهمها :

اولا : Gesta Francorum او (Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium)

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر Foulcher de Chartres

وكان فولشر هو القسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م . وصحب روبرت الثانى دوق نورماندیا فى الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م .(١) ثم انضم الى بلدوين البولونى–مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشارفولشر الى ذلك فى كتابه(٢) — واصبح قسيسا لحملته(٣) . ويعتبر كتابه من اهم التواريخ المعاصرة للحملة الصليبية الأولى — فهو يغطى الفترة ما بين

(١) Encyclopaedia Britannica, V. 9, p. 908. (1960).
(٢) Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid. T. 3, p. 337.
(٣) Runciman : A History of the Crusades, V. 1, p. 201.

مؤتمر كليرمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالى فقد عاصر قيام امارة الرها وشهد ارهى أيام تاريخها ثم روى فى تاريخه الأحداث التى شاهدها بنفســـه(٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقســـام الاول من ١٠٩٥م الى ١١٠٠م والثانى ينتهى ١١١٨م . والثالث ١١٢٧م(٥) .

اما المصدر اللاتينى الثانى فهو : (Historia Hierosolymitanae Expeditionis, Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro). الذى الفه البرت د/ اكس او الأكسى Albert d'Aix وهــذا المؤلف يقــع فى اثنــا عشر كتابا . كتبه البرت فى الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى ١١٣٠م . وهو يعتبر من أهم مصــادر الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس اللاتينيــة حتى ١١٢١م(٦)

حقيقة ان البرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان فى تدوين كتابه بالمصــادر المعروفة فى ذلك الوقت كما نقل عن اصــول اخرى اندثرت ولم تصل الينا واستمع الى عدد ممن اشتركوا فى الحملة واطلع على بعض المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك يأتى المصدر الثالث الذى افادنا بدرجة كبيرة فى كل اجزاء الرسالة تقريبــا وهو كتاب وليم الصورى (William of Tyre ١١٣٠ ـ ١١٨٦م) واسمه (A History of Deeds Done Beyond the Sea) وهى الترجمة الانجليزية التى رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصورى هذا موسوعة فى تاريخ الحروب الصليبية عامة(٧) . بدأ تدوينــه من ١١٦٩م ويعتبر مصــدرا اصليا عن الفترة الممتدة من ١١١٤ حتى ١١٨٤م(٨) .

اما الجزء الأول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

---

(٤) Encyclopaedia Britannica ; V. 9, p. 908.
(٥) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ؛ ص ٧ .
(٦) Encyclopaedia Britannica ; V. 1, p. 524.
(٧) William of Tyre ; A Hist. of Deeds ...... p. 4.
(٨) William ; Ibid., V. 1, p. 37.

من المعاصرين للاحــداث التى رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صاحب كتــاب Raymond d'Aguilers. (Gesta Francorum.)
Fulcher of Chartres, Albert d'Aix. (٩)

هذا الى جانب اعتماده فى بعض اجزاء الكتاب على الرواية الشــفوية وكذلك على الكتابات الاثرية على المبانى ١٠)' ونقل كتاب وليم الى الغرب من طريق (Matthew Paris) فى احدى حواشى مخطوطة الأخير المسماه (Historia Minor) ذكر انه نقــل مؤلف وليم من بطرس أســقف ونشستر Winchester الذى احضرهــا من الأرض المقدسة ١٢٣١ م(١١) .

كان وليم رئيس أساقفة صور من ١١٧٥ ـــ ١١٨٤ ـــ ١١٨٥م . وكان أصلا مواطنا من مملكة بيت المقدس ؛ ولد حوالى ١١٣٠م ربما فى بيت المقدس نفســها . والراجح أن والديه كانا من الغرب ؛ وبــالرغم من انه قــد اسهب فى الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صمت صمتــا تــاما عن نسبه هو . وبذلك ظل نسبه دون أى سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر.

أتقن وليم العــديد من اللغــات أهمهــا الفرنســية التى كانت لغة البلاط فى مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التى شاركت الفرنسية فىحقل التجارة ؛ ثم اليونانية التى كانت أيضا تستخدم استخداما واســعا فى الشرق . كذلك أتقن اللغة اللاتينية ـــ لغة الكنيسة والمدارس ـــ وذلك بحكم تربيته الدينية فى الكنيســة . هذا بالاضافة الى المامه السطحى ببعض اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

اما المصادر البيزنطية فيأتى على راسها كتاب (الالكسياد Alexiad) للأميرة (انا كومنينا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب ؛ والواقع ان هذا الكتاب ظل أمدا طويلا مصــدرا لمــؤرخى الامبراطورية البيزنطية ولمن كتبوا عن الحملة الصليبية الأولى (١٣) . وقد ذكرت الأميرة (انا) انها الفته كى تذكر فيه الأعمال التى قام بها والدهــا « كى لا تضيع فى سكون(١٤) » .

---

(٩) William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29
(١٠) William : Ibid., V. 1, p. 30.
(١١) William : Ibid., V. 1 p. 42.
(١٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 4 - 9.
(١٣) Anna Comnena : The Alexiad. p. vii.
(١٤) Anna : Ibid., p. 1.

ثم ذكرت سبب تصميمها على كتابة الألكسياد فقالت « كان زوجى هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب فى كل شىء ، صحب أخى هنا – الامبراطور – فى عديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نقفور غير قادر على ترك عمله الأدبى ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية الممتازة ، وقد أعجبت الملكة كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الامبراطور الكسيوس – ابى – يوضح فيه الأعمال التى تمت فى عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نقفور الى الدراسات التاريخية والأدبية التى كان يهواها وبدأ نقفور فعلا فى تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الامبراطور رومانوس الرابع ، ولكن عندما وصل الى عهد والدى واعد مسودة لتلك الفترة وعاد بها الينا من الخارج نصف منتهية ، كان للأسف قد عاد ايضا محملا بورم خبيث داخلى كان يعانى منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لمغامراته (١٥) لذلك قررت (انا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك ابرزت اعمال والدها الامبراطور الخالدة بالاضافة الى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف ان الاميرة (انا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وضعت كتاب الالكسياد باللغة اليونانية وهو يغطى الفترة الممتدة من ١٠٦٩م الى ١١١٨ م بدات فى تدوينه بعد ١١٣٧م وانهته حوالى ١١٤٨م (١٦)

وقد افادنا كتاب الالكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية الرهوية .

اما المصادر الارمينية الهامة التى اعتمدنا عليها ، فكان مركزه فى :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهى حسب ترتيبها الزمنى : مقتطفات من حولية متى الرهاوى Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse. وحولية الكاهن جريجوار Chronique de Grégoire Le Prêtre وقصيدة رثاء الرها للقديس نيرسيس شنورهالى Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès Schnorhali

---

(١٥) Anna : Ibid, p.p. 2 - 3.

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992.

وتعتبر حولية متى الرهاى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية اجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة اقسام الأول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م(١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الأخبار والأعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد مى الرهاوى بمدينة الرها(١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشىء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م اثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها(٢١) . ومعنى هذا انه عاصر امارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

اما حولية الكاهن جريجوار فقد اكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدات احداثها بسنة ١١٣٧م . ويبدو انه كان تلميذا لمتى بدليل انه حاكاه فى عدائه الشديد للبيزنطيين ، كما سار على نهجه فى تقييم الاشخاص والأحداث . وهو كاهن أرمنى علمانى كان متزوجا . افادتنا كتاباته كثيرا فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنين ومانويل كومنين على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع أن قلمه لم يكن اقل نشاطا من استاذه(٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى احداث ١١٦٣م(٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها فهى من اهم المصادر الأرمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتى لم تنشر بعد وقد افادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريبا . لذا اوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

---

(١٧) Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63.

(١٨) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

(٢٠) Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. T.1, p. 151.

(٢١) Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107.

(٢٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هذه على شكل ملحمة ، على طريقة هوميروس ــ كما ذكر هو بنفسه فى مقدمتها ــ وسرد فيها اثناء رثائه للمدينة تاريخها القديم وامجادها وغناها الاقتصادى ، ثم اشار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآنى وعلاقة كل منه بالرها . ثم استطرد فى ذكر حصار زنكى للرها بالتفصيل وموقف اهلها منه حتى سقطت فى يده . مع ابراز دور رجال الدين فى ذلك الحصار وموقف زنكى من كنائس المدينة .

وقد نشرت القصيدة التى كتبت أصلا بالأرمينية بواسطة دولوريه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T I) طبعة ١٨٢٨م .

ولما كانت تلك القصيدة من الأجزاء الجديدة فى بحثنا فإن هذا يدفعنا الى التعريف بصورة مفصلة الى حد ما على مؤلفها .

كان سانت نيرسيس رابع البطارقة الأرمن الذين حملوا هذا الاسم . وشنور هالى Schnorhali معناها (المهذب) وقد لقب نيرسيس بالمهذب لدماثة اخلاقه وسلاسة شعره ، كما لقب ايضا جلايتسى Glaietsi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث اقام ردحا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الاصغر للأمير (ابيراد Abirad) صاحب حصن (دزوفك Dzovk) فى اقليم خرتبرت . ولد ١١٠٢م ونشأ هو واخوه الاكبر جريجوار ــ الذى اصبح بعد ذلك Catholicos باسم جريجوار الثالث ــ فى كنف اخى جده البطريرك جريجوار فجاياسير Vgaiacer . وعندما تولى أخوه الكرسى البطريكى ١١١٣ م اشترك معه فى ادارة الشئون البطريكية ، حتى توفى الاخ ١١٦٦ م وعندئذ خلفه نيرسيس على الكرسى البطريركى حتى وفاته ١١٧٢م . ويعتبره الأرمن من اعظم قديسيهم فضلا عن انه فى نفس الوقت من اعظم شعرائهم(٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الأرمينية مجموعة من المراجع الهامة الخاصة بتاريخ الأرمن والتى احدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذى

---

(٢٤) Dulaurier : (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 223 - 224.

كتبه Hrand Pasdermadjian الذى ولد فى تفليس عام ١٩٠٤ وتوفى فى جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان أبوه من اسرة عريقة من ارضروم وكان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الأبطال الأرمن (٢٥)

اصبح (هراند بازدرمادجيان) استاذا بجامعة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم فى كثير من المؤتمرات فيها وفى لندن وباريس وبرلين وكوبنهاجن وواشنطن وبوسطن . بين المؤلف سبب تأليفه اكتابة هذا بقوله « انه باعتباره ماصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقدمه للجيل الجديد .. ثم يقول « بهذا التاريخ اكون قد اكملت عمل والدى وانهيت بقلمي ما بداه هو بسيفه » (٢٦) .

وقد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

اما المصادر السريانية فاهمها حولية ميخائيل السريانى Chronique de Michel Le Syrien. وقد ترجمها الى الفرنسية J.B. Chabot

كان ميخائيل هو البطريرك اليعقوبى لانطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م(٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدرا هاما لتاريخ سوريا بصفة عامة فى ذلك الوقت فضلا من تاريخ الكنيسة السريانية . وقد استخدم ميخائيل فى كتابته المصادر الدينية الأصلية للفترة المتقدمة عن عصره(٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبرى The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التى قام بها Ernest Wallis Budge الى جانب اطلاعنا على كتابه العربى (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر اختصارا لتاريخه المطول السريانى(٢٩) .

ويعتبر تاريخه المطول من اهم المصادر السريانية التى خدمت العديد من النقاط فى بحثنا ايضا . والواقع ان تاريخ ابن العبرى يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينيه واللغوية وعادات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والأطباء (٣٠) .

---

(٢٥) H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie, p. 5.
(٢٦) H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6.
(٢٧) Groussot : L'Empire du Levant, p. 312.
(٢٨) Burkitt : Early Eastern Christianity. p. 20 - 30
(٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص و .
(٣٠) The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1. p V

واستخدم ابن العبرى فى كتاباته جولية ميخائيل السريانى . وبد كتابه بنشأة الخليقة وانتهى بوفاته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبرى هو جريجوريوس ابو الفرج بن هرون . ولد فى ملطية ١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربية واشتغل بالفلسفة واللاهوت والطب عن ابيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر ابو الفرج ستين سنة وتوفى فى مدينة مراغة من اعمال اذربيجان ١٢٨٦م(٣٢) .

اما عن المصادر العربية المطبوعة فاهمها كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهو تاريخ لمدينة دمشق من سنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريخ هلال الصابى . ويذكر ابن القلانسى انه اعتمد فى أجزاء منه على الثقات وفى اجزاء اخرى على البحث والتنقيب بنفسه(٣٣) . والحقيقة ان الكتاب يعتبر مصدرا هاما لتاريخ الشام وليس لدمشق فقط فى عصر امارة الرها الصليبية .

ثم يليه كتابى ابن الأثير الجزرى (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ ١٢٢٣م) وهما :

١ — الكامل فى التاريخ .

٢ — التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) .

امـا الكتاب الاول فهو من أهم الكتب التى خدمتنا فى بحثنا هذا فى غالبية النقاط أيضا . والواقع ان ابن الأثير نال شهرته عن طريق هذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخى القرن السادس باعتبار مولده وباعتبار نصف القرن الذى عاشه فيه ، ومن رجال القرن السابع باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذى عاشه فيه(٣٤) . وفى كتابه هذا جمع اخبار العالم الاسلامى شرقه وغربه وما بينهما ؛ وهذا مالم يسبقه اليه احد . وقد بدا تاريخه منذ نشأة الخليقة حتى سنة ٦٢٨ هـ (٣٥) .

---

(٣١) The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, p. vii.

(٣٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص حـ ، هـ .

(٣٣) ابن لقلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الأثير : ص ١٤ — ١٥ مقدمه .

(٣٥) نفس المصدر ص ٥/١

واما الكتاب الثانى فهو الذي عاصر المؤلف احداثه . وفى نفس الوقت عاصرت احداث الكتاب احداث بحثنا وكان من اهم المصادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين امارة الرها الصليبية وبين الموصل وعلى وجه الخصوص عند الكلام عن لتابكة الموصل وعلى راسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الأتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه(٣٦) — كذلك عند كلامنا عن سقوط امارة الرها سواء فى المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ او الثانية ١١٤٦م — ٥٤١هـ على يد عماد الدين زنكى ثم على يد ابنه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لأبن العديم (بت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) الذى عنى بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . اعتمد ابن العديم على الأثار الباقية والسجلات والمخلفات المكتوبة واتخذ النقود سبيلا الى تحديد أسماء الولاه والحكام والقضاة واتخذ الأحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات والألبسه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل انى الغاية التى أرادها وهو فى هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخى العالم الغربى اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع أن من اهم النقاط التى افادنا فيها تاريخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الاسلامية خاصة علاقة الرها بحلب .

هذا الى جانب الأستفادة من بعض اشارات وردت فى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م — ١١٨٨ م) (٣٨)

اما اهم المخطوطات العربية التى افادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ . والتى جاء فى مقدمتها انه يرتب الحوادث فى تاريخه على السنين وذكر الوفيات فى آخر كل سنة . بدأ ابن الفرات من أول

---

(٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .
(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ص ١٠ — ١١ .
(٣٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، مقدمة المحرر فيليب جتى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجري اى بسنة ٥٠١هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣هـ لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩هـ ، فيبدو أن المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن الفرات عام ٧٣٥هـ وتوفى ليلة عيد الفطر ٨٠٧هـ واعتمد فى تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء المعروفين للباحثين فى التاريخ أو هؤلاء الذين فقدت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الارب وفنون الادب للنويرى (ت ٧٣٢هـ) ، التاريخ المظفرى لابى الدم الحموى (٦٤٢هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الهيجاء (ت ٥٨٩هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالاضافة الى هذه المصادر فاننا رجعنا الى عدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة فى ثبت المصادر والمراجع ، فى نهاية البحث ، واستفدنا فائدة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

تمهيـــــد

نعـل المـدخل الطبيعى لهـذا الموضـوع هو تفسير اسم الرهـا واعطـاء فكرة موجزة عن تاريـخ هـذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورهـا فى المسيحية وعلاقتها بالارمن وبالدولة البيزنطية . الى غير ذلك من النقاط التى تلقى ضوءا على احوال الرهـا عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨م/٤٩٢هـ .

اما عن اصـل مدينة الرهـا ، فان ميخائيل السريانى يذكر فى تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انـه « بعـد الطوفان الذى حـدث فى عهد نوح ، بنى الملك (نمرود بن كنعان) هـذه المدينـة » (١) يشاركه فى هـذا الراى ابن العبرى (٢) وان كان يبدو فى نظرنا ان هـذه الروايـة لا تعدو اسطورة من الاسـاطير العبريـة القديمـة(٣) . كذلك يذكر باسيليوس ان نمرود لمـا بنى هذه المدينـة اسماها (اورهاى (Ourhai وهو اسم سـامى للرها ناطلق عليها اولا اسم (Our) اى مدينة ، ولمـا كان يسكنها الكلدانيون اضـاف الى الاسم (hai) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Salem) اى بيت

---

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111. F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, p. 8.

فهو يذكر هنا « ان نمرود بنى ثلاثة مدن هى : الرها ونصيبين وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Litter. d'Edesse, p. 20, E.R. Hayes ، L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهما يذكران ان تلك الاسطورة تتطابق مع سـفر التكوين (L'Erek de la Genese) بل ان الاخير يذكر ان ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته ايضا .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 969 (1768)

وان العرب قـد اعطوا لبئر لايزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .

(م ٢ — الصليبيه)

المقدس (٤) .

أما ابن العبرى فقد ذكر فى مكان آخر من تاريخه : « أن اليونان القدماء قالوا ان (انوش Enoch) او (هرمس Hermes) Harmis Tris Maghistos (٥) هو الذى علم الرجال ان يبنوا المدن ، وفى أيامه بنيت مائة وثمانون مدينة ، منها واصغرها (Urhai - Edessa) » ويؤيد هذا الرأى آخرون (٦) .

ومهما يكن من أمر ، فان اقدم شكل لاسم الرها هو (Urhái) الآرامى الذى يظهر فى اللاتينى (Orrhei) (٧) وفى اليونانى (Orrhoeme) (٨) والمدينة فى اقليم يسمى (اوسرووين Osrhoëné) فى السريانى (Bet' Urháyé) الذى نطقه العرب الرها (er - Ruha) (٩) بل قيل ان العرب سموها كذلك تحريفا من الاسم البيزنطى . (Callirrohoe) (١٠) . وهنا يشير دولوربية

---

(٤) Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.

وهنا يشير احد القواميس الاثرية الى نفس الاسم بقوله (Orrhai) Dictionnaire D'artheologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.

وفى القاموس الجغرافى التاريخى الدينى يذكر ان اسم الرها فى السريانية الشرقية (Orhây) وفى السريانية الغربية (Orhoy)

R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques T. 14, p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الآلهة عند الأغريق واله الطرق والتجارة والمكر (المنهل ، قاموس فرنسى عربى ص ٥١٥) ويذكر نفس القاموس ص ١٠٢٧ أن Trismégiste تعنى عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على الههم هرمس .

(٦) Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5. القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ١٥٤ ؛ Duval : Op. Cit., p. 20.

(٧) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

(٨) Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6. وهو يذكر أن الاسم ليس له معنى معين .

(٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953.

(١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103. ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ .

(١١) Dulaurier الى اسم الرهــا بقوله « أن البطريرك السريانى ديونيسوس Dionysius if Tell Mahré قال فى تاريخه ان الرها تشتق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الأمير خبيوا Hewyâ اول ملوك الرها والذى بـــدأ ملكه عـــام ١٢٦ ق.م »(١٢) .

ما ياقوت الحموى الجغرافى الأديب الذى عاش فى القرن الســـابع الهجرى ـــ الثالث عشر الميلادى (ت ٦٢٦ هـ ـــ ١٢٢٨ م) فيذكر أن المدينـــة سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى ابن مالك ابن دعر . وقال ايضا عن ابن الكلبى فى الانساب ، الرهاء ابن مســيند بن مالك بن دعر ، كما قال : انهـــا سميت بالرهـــا بن الروم ابن لنطى بن سـام بن نوح(١٣). وفى موضع آخر ذكر أنها سميت ايضا اذاسـا(١٤) .

تعرضت مدينة الرها للخراب بعد بنـــائها الأول ، كما ذكر ميخائيل السريانى ، وظلت مهجورة حتى عهد الاســكندر الاكبر(١٥). وذكر ابن‌شداد انه « فى السنة الأولى من تاريخ الاسكندر ملك سولوقوس على سوريا

---

(١) هو المترجم الفرنسى لقصـــيدة رثاء الرهـــا للشـــاعر الأرمنى نيرسيس شنور هالى
Nersès Schnorhali : Elegie sur la Prise d'Edesse ; (R.H.C.)
والتى ستأتى مقتد   منها ضمن الملاحق
Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولوريبه على البيت رقم (٤٠)
Nersès : Ibid., p. 239.
Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.   هنا تعلق
سه لا، هذا الاشتقاق ولا اى اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .

(١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٩ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرهـــاء) ابو المحاسـن . النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ .

(١٥) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

وبابل وهذا الرجل بنى سلوقية وافاميه والرهـا وحلب واللاذقية »(١٦)
ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول « تبرز الرهـا بين المدن التى اسست فى سوريا على يد Seleucus Nicator والتى اعطى كلا منها اسما اغريقيا مثل سلوقية Seleucie ، اللاذقية Laodicée الرهـا Edesse » (١٧) . والواقع أن سلوقس عندما اعـاد تشييد مدينة الرهـا سنة ٣٠٤ ق . م اسماها « ادسـا الجديدة » تقديرا لعـاصمة المقدونيين القديمة (١٨) . ويعقب ميخائيل السريانى على ذلك ويـؤكده بقـوله أن لفظ « ادسـا » الـذى اطلق على المدينـة فى ذلك الوقت كان معنـاه [عزيزتى — Cherie) (١٩) بما يحمل فى طياته روح الاجلال لعاصمة المقـدونيين القديمة .

وقيل ان الرها عرفت باسم انطاكية الكلرونيه فى عهد انطيوخس الرابع — Epiphanes Antiochus IV (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل على ذلك ما كتب على السكة التى ضربت فى الرهـا فى عهده (٢٠)
وقد ذكر ذلك الاسم ايضـا (Pliny) ولو ان دوفال يذكر ان الذى دفعه الى ذلك الاعـتقاد التباس اسم عاصمة (Osrhoéne) مع عاصمة سـوريا (٢١)

---

(١٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ص ١٤ ذكر ذلك ايضا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ من يحيى بن جرير .
(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).
(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23.
ابن الشحنه : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن اليـاس سركيس الدمشقى) . وهنا تذكر
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993
ان ادسا اليونانية استمدت اسمها من عاصمة مقدونيا (ايجيه Aigai القديمة والتى اصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena . ثم يؤكد هذا ايضـا ما ذكر فى Cam. Med, Hist.
Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319.
ان ادسـا فيما بين النهرين غير ادسا المسماة فودينـا وهى احـدى بلدان البلقـان .
(١٩) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.
(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن الياس سركيس الدمشقى) .
(٢١) Duval : Op. Cit., p. 23.

وقد سميت المدينة أيضـا ((Justinopolis)) أى مدينـة جستين نسبة الى الامبراطور البيزنطى جستين الاول Justin I (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى اعـاد ترميمها بعد فيضان اصابها (٢٢) . اما المؤرخون اللاتين فيعددون أسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣) وهو شـائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره الشـاعر الأرمنى نيرسيس فى مرثيته من الرها بعد سقوطها(٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه عليها الى أيامنا هذه(٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦) او — Edyessa (٢٧) . والبعض الاخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم من يسميها — Callirhoe (٢٩) . او (Rohas) (٣٠) او (Roas) (٣١)

---

(٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422
كان ذلك الفيضان سنة ٥٢٥م (Evagre ; Hist. Eccl.) من

(٢٣) Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de reliq. S. Slephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318, Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana, (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 80. (حاشية).

(٢٤) البيت ٤٠١ (ايه ادسا ، مدينـة الرها)
Nersès : Op. Cit., p. 239.

(٢٥) على سبيل المثـال لا الحصر
William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2, p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389, Archer : The Crusades, p. 147.

(٢٦) Theodori Pallidensis : Narratio Profectionis Godefridi Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.

(٢٧) Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.

(٢٨) وهو يضيف أيضـا انها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia
Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.

(٢٩) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos: (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 165.

(٣٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.

(٣١) Theodori Polldensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194.

أما الاسم الحالى للمدينة فهو أورفا Orfa او Urfa (٣٢) الذى قيل انه مستمد من اسمها الارامى المبكر Urhai (٣٣) والواقع انه مهما تعددت الأسماء فالشائع من أسمائها هو الرها العربية وادسا الافرنجية واورفا الحالية .

فاذا انتقلنا الى تاريخ المدينة القديم ، بعد ان اعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فاننا نجد الرها ظلت بعد ذلك هلينستيه الطابع وعاصمة لملكة اوسروين (٣٤) التى كانت المعقل الرئيسى بين معاقل الثقافة السريانية فى زمن الامبراطورية الرومانية (٣٥). ثم كان ان انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسروين على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية(٣٦) وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى كانت الرها خارج الامبراطورية الرومانية وبالتالى داخل النفوذ الفارسى . وفى الحرب التى شنها الامبراطور تراجان Trajain على الفرس قاست الرها كثيرا اذ دمرت ونهبت على يد القائد الرومانى لوكيوس كيوتوس Lucius Quietus — سنة ١١٤م(٣٧) وقيل سنة ١١٦م(٣٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صار حكام أوسروين الضعفاء بين شقى الرحى بين

---

(٣٢) Grousset : وحاشيه لدولوريه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 239 Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII, p. 493, Le Strange : Op. Cit., p. 104.

(٣٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le Strange : Ibid. p. 104 (AR. Ruhâ)
ويذكر الاخير انه تحريف للرها العربية

(٣٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888. p. 519
وكانت هذه الملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة يحدها نهر الفرات والخابور وانها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصارت مملكة مستقلة عاصمتها الرها .
(Cam. Anc. Hist., V. XII p. 493).

(٣٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).

(٣٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.
Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

(٣٧) يذكر ان ذلك القائد الرومانى خرب الرها ونصيبين واحرقهما فى هذه السنة .

(٣٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كفة روما كانت أرجح فاكرهتهم على الخضوع لتبعيتها .. وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما فى اخلاصهم وولائهم لها ، فاقامت الحصون فى اجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية فى بلدة نصيبين القوية ، كما ارسل ابجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا فى الاغلال الى روما ، بعد ان حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيما وراء الفرات » (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الرومانى سنة ٢١٦ (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ — ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم اذينه Odainath وزنوبيا — Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣م (٤٢) .

اما عن مكانة الرها فى ظل المسيحية فقد ذكر ابو الهيجاء أن الرها كانت من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهى احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فاشرفها بيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

---

(٣٩) Burkitt : Ibid., p. 8, 9.

(٤٠) Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14, p. 1422.

(٤١) وهى التى سماها اليونان بالميرا Lammens : La Syrie p. 12. — Palmyra وهى تقع اقصى شمال دمشق فى الصحراء الكبرى فى واحة
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020.
Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.

(٤٢) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995.

(٤٣) ابو الهيجاء : تاريخه ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٢٥ تاريخ حوادث ٥٣٩ هـ .

(٤٤) ابو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الاثير : الباهر ، تحقيق طليمات ، ص ٦٦ — ٦٧ ، ابن قاضى شهبه : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) الباب السابع ٥٣٩ هـ .

ويقال انه من أسباب ارتفاع مكانه مدينة الرهـا الدينية ، انها تضم رفات بعض الحواريين مثل توما وتداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اشار اليه ابو زيب اسقف قيصرية فى كتابه عن تاريخ الكنيسة من خطاب ملكها ابجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرهـا الاولى بانها كانت مقر مطران ما بين النهرين (٤٧) وعندما قامت فى الرهـا جالية مسيحية صارت أحد المراكز الاولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخذت المسيحية فيها طابعا قوميا حيث انها ظلت تتكلم السريانية واحتفظت بحكامها وثقافتها الوطنية (٤٨) .

اما عن الرسائل المتبادلة بين المسيح عليه السلام وابجر ، وما يرتبط بها من صورة المسيح او منديله ، ثم اشتراك الرهـا فى ترجمة الانجيل فكلها نقاط جديرة بالاشارة . ذلك ان ابو زيب اكد ان الملك ابجر — الذى كان مصابا بمرض مزمن لا امل فى الشفاء منه (٤٩) — ارسل الى المسيح خطابا مع حنسان — Hanânyâ او Hannan

قال فيه : « من ابجر حاكم الرهـا الى يسوع المخلص الصالح الذى ظهر فى نواحى اورشليم ، السلام . انتهى الى امرك وما تصنعه من

---

(٤٥) انجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد طبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٩٣٧ .

Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3 p. 543

(٤٦) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., p. 60.

(٤٧) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 241.

(٤٨) Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11.

(٤٩) E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11

وابجر هذا هو الذى كانت كنيته الأسود (Duval : Op. Cit., p. 83)

وهنا يذكر الدبس : تاريخ سوريا ، ط ٢ م ٣ ص ٥٣ — ٥٤ ، ان الأسود من باب الاضداد لان مرضه كان البرص وجسمه كله أبيض » ويشير نيرسيس فى مرثيته للرهـا الى ابجر على انه مؤسس مدينة الرهـا (البيتين ١٧٣ — ١٧٤) فهو يقول : إذ ان الملك ابجر قد شادنى هناك لكن دولوريه يعلق على ذلك بانه Nersès : Op. Cit., p. 232 ليس المؤسس لكنه من اشهر من اعتنى بتعميرها واصلاحها . والراجح ان ذلك التعليق صحيح لاننا لم نعثر على ما يؤيد رأى نيرسيس ضمن مصادرنا .

الشفاء دون عقاقير وادوية فقد ذاع انك تبرىء العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والأرواح الردية وتشفى المرضى امراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما بلغتنى هذه الأمور عنك رايت فى نفسى انك اما اله حقيقة هبط من السماء وصنع هذه الآيات واما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تأنف من أن تزورنا وتبرىء أمراضنا ، قد سمعت ان اليهود يشناونك ويحاولون قتلك فلى مدينة جميلة وان صغيرة فتكفينى وتكفيك » (٥٠) .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوباك يا ابجر لانك آمنت بى دون ان ترانى فقد كتب عنى أن من يروننى لا يؤمنون بى ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة . قد كتبت الى أن آتى اليك ولكن يلزمنى ان اكمل كل ما ارسلت من اجله واذا تممت ذلك صعدت الى من ارسلنى وبعثت اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرىء مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة» (٥١).

بل ان بوركيت يضيف فى آخر رد المسيح — الذى نقله عن ابو زيب — تلك الكلمات « سيحفظ بلدك ولن يسود عليه اى عدو ابدا » (٥٢) . اما المصدر الارمنى المتمم لتاريخ متى الرهاوى فيشير الى ان خطاب المسيح لابجر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يدخلا ابدا تلك المدينة »(٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منحت خصيصا لمدينة الرها مع الوعد بأن لا يتمكن أحد الاعداء ابدا من التغلب عليها . ويبدو ان هذا الوعد أصبح مادة مألوفة عند الرهويين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة(٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » أو « الرها المباركة » وقد سمى كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

اما صورة المسيح التى تعتبر الأثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

---

(٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، جـ ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .
(٥١) نفس المصدر والصفحة .
(٥٢) Burkitt : O.p Cit., p. 14.
(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.
(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15
(٥٥) الدبس : تاريخ سورية ، جـ ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

المدينة فنقرأ عنها الكثير من التسميات ،فالبعض يسميها منديل المسيح(٥٦) او منديل عيسى بن مريم(٥٧) والبعض يسميها الفيرونيكا (٥٨) أو اللورنيقة (٥٩) وهنا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ أم أنها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لرأى بن العبرى ، يقول : « ان ابجر ملك الرها أرسل الى المسيح يطلب منه أن يراه فمسح المسيح وجهه فى منديل انطبعت فيه تقاطيعه وارسله اليه (٦٠) »ويتفق مع هذا الرأى ما ذكره دولوربيه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « انه المنديل المقدس الذى لم يصنع بايدى انسان (٦٢) ». والواقع أن هناك تفسيرا آخر يقترب من ذلك الراى وهو « انه صورة المسيح طبعت على القماش الذى قدمه له القديس فيرونيكا ليمسح حاجبه حينما حمل صليبه وهو فى طريقه الى مكان الصلب (٦٣) فى حين انفرد Bar, Bebraeus, Burkitt برأى آخر هو « ان الملك ابجر ارسل رساما يسمى حنا لابلاريوس John Labellarius فرسم صورة لوجه السيد المسيح على

---

(٥٦) القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢٠١ ويذكر لوسترانج ان المسعودى : Le Strange Op. Cit. p. 103. يسميه (منديل المسيح الناصرى) اما Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 فيذكر انها « صورة المسيح ارسلت مع الرسول تاديوس فى منشفه » .

(٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٤

(٥٨) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T. 2, p. 270 وهنا يعود (لوسترانج) فيذكر انها أحد الفيرونيكات العديدة : لكن هل فيرونيكة الرها هى الموجودة الآن فى روما او جنوا ؟ لم يستقر الراى بعد(Le Strange Op. Cit., p. 104)

(٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162, حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : اخبار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) فى تعليق دولوربيه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ فى قصيدة نيرسيس يذكر » أن ابجر ملك الرها سمع عن المسيح فارسل اليه رسالة يعبر له فيها عن اعجابه واشتياقه اليه طالبا فى الوقت نفسه رسمه . ويقال ان المسيح اتخذ منديلا وضغط به على محياه فانطبعت فيه ثم ارسله لأبجر » .

(٦٢) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246

(٦٣) The American College Dictionary, p. 1351.

لوحـــة أحضرها لابجر » (٦٤) ولو أن ابن العبرى يشترك فى الراى الأول، فربمـــا نقل الرأيين فى موضـعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة فى الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقـــال ان ذلك الأثر المقـــدس ظل موجـــودا فى الرهـــا الى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٣ م فى عهد الخليفة المتقى لله العبـــاس حين ارسـل ملك الروم يطلب منـــه المنديل الذى كان موجودا فى كنيسة الرهـــا . وقد اغراه ان فعـــل ذلك باطلاق سراح عـــدد كبير من أسرى المســـلمين . فأحضر المتقى لله القضـــاه والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فقـــال بعضهم ان تســـلم وراى الآخـــر الا تسلم قائلين : « ان هـــذ المنـــديل لم يزل من قـــديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبـــه ملك من ملوك الروم ، وفى دفعه اليهم غضاضة »(٦٦) وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقـــال : « ان خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه أولى من حفظ ذلك وارســـل الى الملك من يتسلم الأسرى من بلاد الروم فاطلقوا » (٦٧) .

اما دور الرهـــا فى ترجمة الانجيل ، فقد كانت المدينـــة مركزا لجالية

---

(٦٤) Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1 ; p. 48

(٦٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

وهنـــا يذكر المورد القاموس الانجليزى عربى ص ٦٥٢ تفســـيرا لتلك الكلمة بانها تمثال (بالاس اثينـــا) آلهة الحكمة عند الاغريق ، وكانوا يعتقدون أن سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : أخبـــار الخلفـــاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦٧) المصدرين السابقين لنفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبرى فى تاريخـــه :

« ان المتقى جمع الكتاب الموثوق فيهم وسالهم ، هل القـــانون يخول لهم مثل تلك الذريعـــة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فاجابوا ؟ « بالرغم من انه افراط فى حق لنـــا للتبرك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب اعطاؤهـــا لهم لأن المسلمين يقاسون من الجوع والعرى »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل ان تتاثر بالمسيحية (٦٨) . ولما ذهب اليها (آديا(٦٩)) اوتداوس نزل عند احد يهود فلسطين ونجحت مواعظه الدينية بين اليهود (٧٠) . ويروى أن (آديا) ارسل بعض المؤمنين الى بيت المقدس ليترجموا العهد القديم من العبرية الى السريانية (٧١) . وتشير شواهد مختلفة أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا متمسكين بعقيدتهم ولا وثنيين وانما كانوا يهودا تحولوا الى المسيحية Judeo — Chretiens (٧٢) والواقع أن ترجمة العهد القديم الى السريانية من العبرية وبوجه خاص الاسفار الخمسة الأولى منه توحي بان هذه الترجمة عمل فردى قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربما تمت ترجمة العهد القديم إلى السريانية فى الرها نفسها وليس من طريق بعض اهلها اليهود فى فلسطين او القدس . ويؤيد Duval هذا الرأى فيقول : « ان ترجمة العهد القديم تمت حوالى منتصف القرن الثانى فى الرها نفسها » (٧٤) .

وفى حوالى سنة ٢٠٠ م اعيد تأسيس كنيسة الرها من جديد على اسس من الاتحاد الوطيد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخل الامبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رآسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا أن كنيسة الرها اتخذت اتجاها غربيا (٧٥) . بعد أن كانت محافظة على طابعها وكان ان حمل ذلك الاسقف اليها ترجمة من العهد الجديد — او بمعنى آخر الاناجيل الاربعة الأولى من العهد الجديد

---

(٦٨) Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour. Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

(٦٩) Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28
أما كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، حـ ١ ص ٦٣ فيسميه (يهوذا اوثاديوس اوليبادس) .

(٧٠) Burkitt : Op. Cit., p. 72.

(٧١) اما E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36, Cam. Anc. Hist. V. XII, p.494
فيذكر ان الجالية اليهودية فى الرها وفى نصيبين هم الذين ترجموا العهد القديم الى السريانية .

(٧٢) E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37.

(٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 71.

(٧٤) Duval : Op. Cit., p. 110.

(٧٥) Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

=

مع سفر اعمال الرسل ورسالات بولس الانجيلية الاربعة عشر ونسخة من العهد القديم نقحت تنقيحا بسيطا عن اليونانية ، ووسمت بترجمات عن اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجاه نحو التقارب من الكنيسة الشرقية قد أثار كثيرا من الاضطرابات فى الرها وهى الاضطرابات التى راح ضحيتها بعض الشهداء ، أشهرهم الأسقف برسوما — Barsamya فى منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا — Rabbûla (٤١١ — ٤٣٥م) انهى تلك الاضطرابات فى الرها (٧٧) ■

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض الموجز اهمية الرها فى تاريخ المسيحية المبكر .

اما عن دخول الرها فى حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨هـ (٧٨) فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم وتم ذلك صلحا ، فعندما نزل عياض ببساتين الرها واشتبك الجانبان أرسل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على انفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفى عهد معاوية الأول اعيد بناء جزء من كنيسة الرها القديمة كان قد دمره أحد الزلازل (٨٠) . أما فى عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفة الأموى كنيسة للتعميد بالرها (٨١) .

■ هنا يضيف انطاطيوس افرام الثانى : مقاله فى سورية ص ٢٣ (عنى السريان منذ القديم بنقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التآليف اليونانية الدينية والعلمية والتاريخية والادبية وانتشرت على يدهم تصانيف الاقدمين الى العربية . واتصلت الينا كتابات شتى بالسريانية الرهاوية منقوشة بالقلم الاسطرنجيلى (نشر بعضها العالم المستشرق بونيون فى جامع الكتابات السامية — Inscriptions — Sémitiques فى المائة الأولى قبل الميلاد على حجر فى جوار الرها . والخط الاسطرنجيلى هو خط المسيحيين الشرقيين Nastorians.

I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

(٧٦) Burkitt : Op. Cit., p. 77.

(٧٧) Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

(٧٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩) ، الطبرى : تاريخه حـ ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ (١٩٣٩م — ١٣٥٧هـ ولو أن الطبرى فى موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (حـ٣ ص١٥٥) ولكن الراجح أن ذلك كان سنة ١٨ هـ .

(٧٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٨٠) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

(٨١) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105.

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جدران الرها المتينة التى كانت قد بنيت فى عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢) لكن اهالى الرها اعادوا بناءها على نفقتهم فى عهد الخليفة المأمون سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش بيزنطه (٨٦٧م — ١٠٥٦م) فكانت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى امتدت حوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م ألمع فترة فى تاريخ الامبراطورية السياسى والحضارى حتى لقد اطلق عليها المؤرخون اسم (العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع ان البيزنطيين تحولوا فى القرن العاشر من ناحية حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هذا القرن عصر صحوة بالنسبة لبيزنطة (٨٥) . وكان من أهم العوامل التى أدت الى اتخاذ البيزنطيين سياسة الهجوم فى ذلك القرن هو رغبتهم فى استعادة مستعمراتهم القديمة فى الشرق الادنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها فى القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وازدادت شدة تلك الرغبه نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ — ٩٥٩م) وبالتحديد سنة ٩٤٣ م استولى القائد حنا كوركواس — John Curcuas

---

(٨٢) فهو يذكر انه عندما Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 279. اراد الخليفة ابو جعفر المنصور — الدوانيقى — أن يبنى قصر ى الرقه ، ارسل الى الرهويين يطلب بعض اعمدة صغيرة من الرخام من تلك التى كانت مكدسة فى الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئا وجعلوه يتور فذهب واقام الحصار على تلك المدينة ودمر هيكل مارسرجيوس Mar Sergius وفى اثناء الحصار سقط ذلك الجدار العجيب ولم يبق منه سوى دور واحد .

(٨٣) Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٦ . وهنا يشير Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957) ان العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها فحاصرها ثم عاد الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان أخذ من الرهـــا منديل المسيح الذى كان موجود بها منذ عهد الملك ابجر (٨٧) .

وفى سنة ٩٤٩م استولى البيزنطيون على مرعش وفى ســــنة ٩٥٨م اســـتولوا على سميساط (٨٨) وفى ســـنة ٩٦١ استولوا على عين زربه ومرعش ورعبـــان ودلوك (٨٩) .

اما فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م). فقد حاول هـــذا الامبراطور بنفســـه الاستيلاء على انطاكيا ســـنة ٩٦٦م لكنـــه لم يستطع وعـــاد الى القسطنطينية لكن المدينـــة سقطت بيد قـــائدين بيزنطيين فى ٢٨ أكتوبر ٩٦٩ م وهذان القـــائدان همـــا Peter Phocas وميخائيل البرجى — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابى المعالى بن سيف الدولة وذلك فى اواخـــر سنة ٣٥٨هـ(٩١)/٩٦٩م وبالفعل قـــدم الروم فى بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدته وانسحب ابو المعـــالى عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (صفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠م) (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

---

(٨٧) Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p. 718 — 719.

(٨٨) Ostrogorsky : Ibid., p. 250.

(٨٩) Ostrogorsky : Ibid., p. 252.

(٩٠) Ostrogorsky : Ibid., p. 257. كان الاستيلاء على انطاكية فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ (يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخ الذيل ص١٢٥ (باريس ١٩٢٤)

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغوية قد تولى شئون حلب مع ابن استاذه ابو المعالى ســـعد الدولة بن سيف الدولة الحمدانى . وذلك فى ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العـــديم : حـ ١ ص ١٥٥ ؛ الغـــزى : نـــهر الذهب ؛ حـ ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك فى المحـــرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصـــدر الســـابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم: المصدر السابق ص ١٦٣ ؛ يحى بن سعيد الانطاكى : تاريخـــه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشـــور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ٦٣ ؛ عمر كمال : مقـــدمات العدوان الصليبى ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعـــاهدة بالتفصيل فى زبدة حلب ؛ حـ ١ =

فى اواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى — خاصة انطاكية وحلب للنفوذ البيزنطى (٩٥)

وفى عهد الامبراطور حنا تزيمسكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) فى خلال الفترة الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قام هذا الامبراطور باربع حملات هامة فى الشرق الادنى ، الثلاثة الأولى منها كانت فى شمال العراق فى اقليم الجزيرة فى الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

أما حملته الرابعة على بلاد الشام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التى ارسلها الامبراطور لحليفه آشوت الثالث (٩٧) .

اما الامبراطور باسيل الثانى (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توجه مرتين الى شمال الشام الأولى سنة ٩٩٥ م والثانية سنة ٩٩٩ م دون أن يحقق اى نجاح يذكر (٩٨) وفى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين اى احتكاكات تذكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفى عهد الامبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبدو انه لم يكن هنالك اى احتكاكات أيضا أما فى عهد الامبراطور رومانوس الثالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George Maniaces — على الرها سنة ١٠٣١م (١٠٠) أو ١٠٣٢م (١٠١) / ٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فظلت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٣٦ ،
Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

(٩٥) Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك الحملات بالتفصيل .

(٩٧) Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957).

(٩٨) Ostrogorsky : Ibid., p, 273. (1957).

(٩٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311.

(١٠٠) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠١) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

(١٠٢) Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

ويفهم مما كتبه ميخائل السرياني مدى الحب الذى كان يكنه اهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الدينى لمسيحيى الرها عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون فى الرها يؤمنون بان للمسيح طبيعة واحدة،اخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعتين (١٠٣). وقد ذكر ميخائيل « انه عندما دخل البيزنطيون الرها ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم اطفالهم ، كذلك هجرها اهلها من المسيحيين ومعهم اطفالهم تماما فعل العرب . ذلك ان اهل المدينة المسيحيين كانوا قد الفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتابتهم فى حين كانوا فى رعب من البيزنطيين بسبب هرطقتهم وميلهم للشر . وهكذا اخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد ان اشعل احد العرب النار فيها فاحرقت المنازل والكنائس وظلت المدينة خاوية فى ايدى البيزنطيين » (١٠٤) .

ويبدو ان الرها استعادت حيويتها بعد ان دخلت فى نطاق دولة فيلاريتوس الارمنى سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتاريخ الرها حتى عصر الحروب الصليبية ان تلك المدينة لم تكن بمنأى عن التيارات السياسية والحضارية فى العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر فى ذلك الى موقعها الهام فى اقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هاما فى الهلال الخصيب بحضاراته فى العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الامبراطوريات الكبرى التى عرفها العالم القديم مثل الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية . فاذا اضفنا الى ذلك كله خصوبة الأرض التى تقع الرها وسطها بين عدة انهار شهيرة كالفرات ودجلة والبليخ ، ادركنا السر فى نشاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت اهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، فى عصر

---

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف فى مجمع خلقدونيه (٤٥١ م) .
Charles Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T. II, Part 2, p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles, p.p. 42 - 43, R.P. Janin ; Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.

(١٠٤) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠٥) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى ص ١٣٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort) Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت فى الرها أولى الامارات الصليبية فى الشرق ، وهى الامـــارة التى شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الموصـــل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (١٠٦) ذلك ان امارة الرهـــا الصليبية لم تكن تسيطر على اهم الطرق التى تصل بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضـــا اقرب من اية أمـــارة صليبية أخرى الى عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد (١٠٧) هذا الى انها قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة فى العراق وفى فارس من ناحية وبين الصليبيين فى بلاد الشـــام من ناحية اخرى(١٠٨) ، وبذلك تحملت الرهـــا شرقى الفرات وتل باشر غربيه مشقة عبء الدفـــاع عن الجبهة الشرقيـــة للوجود الصليبى فى الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا عن الصدمات التى تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال وخاصة بنى أرتق الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين ودياربكر (١١٠)

وارتبط بتوسـع السلاجقة فى آسيا الصغرى فى القرن الحادى عشر ، دخول أعـداد كبيرة من الأرمن الى الرهـــا . ذلك أن حركة انتشـــــار السلاجقة فى آسيا الصغرى اتخـذت اتجـاها افقيـــا من الشرق الى الغرب ، عبر أرمينيا وكبادوكيا وفريجيـــا وايونيـــا ، حتى شملت جميع الجهات الشمالية والوسطى من شـــبه الجزيرة . أما الأقاليم الجنوبيـــة والشرقيـــة من آسيا الصـــغرى – حول طوروس وملطيـــة ثم الرهـــا وانطاكية – فلم يتجه اليها السلاجقة فى اول الأمر مما ادى الى عزل تلك

---

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٤ (عن — Stevenson)
، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن — Daussaud) .

(١٠٧) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478,
وهنا يذكر بريية انها كانت الحد المتطرف للفتوحات اللاتينية
Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

(١٠٨) J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209.
(Duval : Op. Cit., p. 279).
هنا يشير دوفال أنها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات التركية

(١٠٩) Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69,
Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

(١١٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

المنطقة عن بقية بلاد الامبراطورية البيزنطية ثم وقوعها بين شقى الرحى فى الصراع القائم بين البيزنطيين والسلاجقة فى آسيا الصغرى . وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك أرمينيا وامرائها ضياعا واسعة فى اقليم كابادوكيا ، مما ترتب عليه هجرة أعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك الاقليم فى شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة فى كابادوكيا واستقرارهم فى ذلك الاقليم ، جعل أولئك الأرمن يبحثون عن ماوى جديد ، فاتجهوا نحو اقليم قيليقية الجبلى فى جنوب شرقى آسيا الصغرى ، وتركزوا فى الجهات المحيطة بملطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولما كانت الرها قد غدت مدينة ارمينية بحكم الأرمن الذين نزحوا اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن فى منطقة الشرق الأدنى فى القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة اعنى القرن العاشر للميلاد .

اما عن موقع ارمينيا الجغرافى فيقول ياقوت : « ارمينيا الكبرى خلاط ونواحيها ، وارمينيه الصغرى تفليس ونواحيها » . ويضيف أنها « سميت ارمينية بارمينا بن لنطا بن اومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وهى فى العصر الحاضر احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى (١١٤) .

---

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٧ عن (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٨ عن (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ١٦٠ .
وخلاط هى البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة . وهى من فتوح عياض بن غنم وهى قصبة ارمينية الوسطى . وبحيرة خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣٨٠ — ٣٨١) .

وتفليس بلد بارمينيا الأولى (الأصلية) وبعض يقول باران ، وهى مدينة قديمة ازلية افتتحها المسلمون فى أيام عثمان بن عفان ، على يد حبيب بن مسلمة وظلت بايدى المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم اغار عليها جيل من النصارى من جبل ابخاز هم الكرج منتهزين الخلافات بين حكامها السلاجقة فملكوها عنوة . وظلت بايديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة ٦٢٣ هـ ولكن الكرج عادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهالى ولكنهم خافوا من عودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٣٥ — ٣٦) .

(١١٤) احمد عطية الله : القاموس الاسلامى ، مجلد ١ (١٣٨٣ — ١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر أنها تحيط ببحيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبل =

وللتعرف على أحوال أرمينيا الكبرى فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد ، نذكر أنه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة فى أرمينيا، لكن يبدو ان امرائها كانوا متنافسين باستمرار مما اضعف قوتهم واطمع فيهم كلا من العرب والبيزنطيين(١١٥) وكان أن أصبحت أرمينيا عند نهاية القرن العاشر فى حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام بأية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين او الأتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية فى عام ١٠٠٠م/٣٩١هـ على احتلال بعض الاقاليم الأرمينية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكريم Senck'erim الارمنى الى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ – ١٠٢٢م/٤١٢ – ٤١٣هـ ، للامبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس فى آسيا الصغرى واقاليمها على امتداد الفرات وفى عام ١٠٤٥ م – ٤٣٧هـ اضطر الملك جاجك Gag I الارمنى حاكم آنى الى التنازل عن ملكه للامبرطور البيزنطى ايضا وعوض عنه أرضا فى داخل كابادوكيا . هذا بالاضافة الى جاجك صاحب قرس Kars الذى تنازل هو الآخر عن املاكه للامبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/٤٥٧هـ ومنح فى مقابلها منطقة فى كابادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الأرمنية الصغيرة

= ارارات الذى قيل ان سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية اريفان وعاصمتها أريفان بقترا

Armenia - Armenie - Ecrivain.

(١١٥) Sirarpie Der Nersessian : Armenia and the Byzantine Empire, p. 9.

(١١٦) Sirarpie Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ص ٦٤٧ تحت مادة (ارمينية) : فى عهد آشوط الثالث (٩٥٢ – ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فاصبحت مقر ملكه ، واصبحت درة الشرق . وحكم سمباط الثانى (٩٧٧ – ٩٨٨) واخوة جاجيق الأول (٩٩٠ – ١٠٢٠م) حكما سعيدا موفقا وان كانت سياستهما الداخلية الخرقاء قد دفعتهما الى الاشتباك الدائم مع الامارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين امراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من ارمينيا نزاع مستمر . وفى ٩٨٨م هزم داود المقدام امير تيخ صاحب الجزء الاكبر من بلاد الكرج – مملون احد امراء المسلمين بالقرب من زمبو . ولما توفى جاجيق الأول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحننا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد فى تحرج الحالة تدخل أهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدأت هجماتها الأولى فى ذلك العهد .

الواحدة تلو الأخرى وامتد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا غالبا حتى (دوين) فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن انزلوا هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية فى موقعة مانزكرت قرب بحيرة ثمان سنة ١٠٧١م/٤٦٤هـ وهى الموقعة التى أسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ — ١٠٧١م) .

وقد نقل (جروسيه) عن (متى الرهاوى) (١١٨) نصا يبرز لنا مدى كره الأرمن لبيزنطه وشماتتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة فى ما نزكرت ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون عن استقلالهم امام الضغط الاسلامى ، اذا بالإمبراطورية البيزنطية اليوم تتصدر لحملة الدفاع ضد الأتراك ولكنها انهارت أمام الضربة الأولى من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى اعداد هائلة ... ان الكوارث التى حلت بالأمة الأرمينية افدح من ان يستطيع احد روايتها .. آلامها ودموعها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت ما فقدت فيه مملكتنا سيادتها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخنثون . . . انها الدولة البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت مرشدنا القومى ، واسقطت ذلك الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشعبى الباسل ومحاربينا الشجعان » (١١٩) .

ولقد راينا كيف اجبر البيزنطيون اعدادا كبيرة من الأرمن على الهجرة الى كابادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حاول البيزنطيون أن ينسوا أولئك الأرمن مسالتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم الأول ، وأن يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، ولجأوا من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

---

(١١٧) عن Sirarpie : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173 (Mattieu)
أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1 فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستفدت منه لذا أخذته عن جروسيه .

(١١٩) Grousset : L'Empire ... p. 174.
وهنا يظهر مدى حنق متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى وصفهم بها والتى أوردناها ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصرت جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقيه للأرمن وهي العقيدة التي قامت على اســـاس المذهب المونوفيزيتي او الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد في الشرق من الرجال الارمن الشجعان .. وتجبرهم على البقاء في الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الأرمينية الى كابادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جماعات اخرى من الارمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق اخرى مثل اقليم طوروس وقيليقيـــة ، امـــام ضغط الأتراك السلاجقـــة المتدفقين بشـــدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الاتراك ، في الاقاليم الواقعة شرقي آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الاصلية في ارمينيـــا الكبرى الى الاقاليم الواقعـــة غربي الفرات وشماليه ليستقروا في جهات كان بعض اخوانهم الأرمن قـــد سبقوا اليها واسسو فيها جاليات في عصـــور ســـابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعـــة مانزكرت الســـابقة الذكر ، اذ تحرك كثير من الارمن من موطنهم الأصلي القـــديم حول بحيرة فـــان Van في اواخر القرن الحـــادى عشر امـــام ضغط الأتراك السلاجقة الى شمالي انطاكية في جبـــال طوروس وسفوح تلالها الجنـــوبية حيث كونوا العديد من الامارات الأرمينية (١٢٢).وهناك انقسم المهاجرون الأرمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطه وقسم اعلن استقلاله منها .

---

(١٢٠) وهنا يشير جروسيه في Grousset : L'Empire, p.p. 174 - 175. نفس الصفحة الأخيرة في سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الديني احيـــانا . فمثلا جاجك في منـــاطق نفوذه الجـــديدة في كابادوكيا كان على ســـوء تفاهم مع المطران البيزنطي لقيصريه المسمى — Marcos الذى انزعج من اطلاق الهجرة الأرمينيةوركز عدوانه ضدهم الى درجة اعطاء كلبـــه اسم Armen مما ادى الى غضب جاجك وقام بكثير من عمليـــات النهب والضرب التي وصلت الى الحيوان نفسه ، وراح الأسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : ســـلطنة المـــاليك ومملكة ارمينـــية الصغرى ص ١٣٦ من (Iorga) فقـــد تحركت الهجرة الأرمينيـــة الى الاقليم الوحيـــد الذى ترك دون أن يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آسيا الصغرى وشمال ســـوريا . حقيقة أن أرمينيا الجـــديدة في المنفى كانت تكوينا غير طبيعيـــا لكنها في الواقع عاشت مدة اطول من اى دولة فرنجية في الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628).

(١٢٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 371.

اما عن القسم الاول فيذكر — Pasdermadjian « انه منذ أواسط القرن الحادى عشر قدمت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى اقليم طوروس . ولم تلبث هـذه الجموع ان دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضايق الموصلة الى قيليقية — بوصفها احدى الاقاليم التى كانت اكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضايق (١٢٣) . فقد فكر الأباطرة فى تقوية اقاليم دولتهم الواقعة على حدود قيليقية بأن وضعوا الأراضى والممتلكات المهمة فى أيدى نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) ».

اما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قيليقية فهم العناصر التى اتجهت نياتها لا للخضوع لبيزنطه ، وانما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن امثلة النوع الأول — والذى لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريتوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الأرثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللعنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وانما أيضا من جانب مواطنيه من المؤرخين الأرمن » (١٢٦) وقد عمل فيلاريتوس هذا فى خدمة الامبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الامبراطور واسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١م ٤٦٤هـ . وعندئذ رفض الأعتراف بالامبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII Doukas — (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن اخذ فيلاريتوس يدعم مركزه حول مرعش ورعبان والابلستين حيث اقام امارة قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطية (١٢٨) .

---

(١٢٣) Paśdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198.
من (J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien).

(١٢٤) فانه عندما تبين للأباطرة أن Sirarpie : Op. Cit., p. 12. الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولتهم ، فكروا مختارين او مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا ووسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى ص ١٣٧ عن (Ostrogersky)

(١٢٥) Pasdermadjiant : Op. Cit., p. 198.

(١٢٦) عن (Mattieu) Grousset : L'Empire, p. 177

(١٢٧) Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177.

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧ ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٨ .

ولم يلبث فيلاريتوس هذا ان استطاع ان يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقـــة كانت عنـــاصره من الأرمن والبيزنطيين فضـــلا عن ثمانيـــة آلاف فرنجى (١٢٩) . بل قيل أنه كان ضمن جيشه «فرس واتراك» (١٣٠).

وقد تمكن فيلاريتوس بفضل هذه القوة أن يبسط سيطرته على كثير من المعـاقل فى اقليم قيليقية . فلمـــا سمع الامبراطور البيزنطى بذلك أرسل اليـــه الهبات وذهب فيلاريتوس بنفسه الى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم واعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل واعطوه السلطة على قيليقية لكى يقـاوم الاتراك (١٣٢) .

والواقع ان فيلاريتوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها نفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين ارسل احـــد ضباطه وهو باسل بن أبى خـــاب الى الرهـــا ليحكمها ويدير شئونها ، فصده حاكمها من قبـــل بيزنطة ، لكن الأهالى ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لممثل فيلاريتوس (١٣٣).

وقد ظل فيلاريتوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرهـــا حتى ســـنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه الى الشـــام لمحاربة الاراتقة الذين قتلوا سليمان بن قطلمش . فلما وصل ملكشـــاه الى الرها سلمها له الأهالى بسبب بغضهم لفيلاريتوس . فما كـــان من فيلاريتوس الا ان لجأ الى السلطان السلجوقى « ووعـــده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفـــة والسلطان (١٣٤) » .

---

(١٢٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٣٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229.

(١٣١) Bar Hebraeus : Ibid., p. 229.

(١٣٢) Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188.

(١٣٣) اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ومملكة ارمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (من Bréhier : Vie et Mort الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٩ .
Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.
وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الارمينية ، وهو الذى كان فى عهد الامبراطور رومانوس الرابع قـــائدا فى الرها ونائبـــا عن الامبراطور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرهـــا تافادانوس — حاكمها باسم الامبراطورليون — ولكن الأهالى ثاروا وقتلوه ووضعوا المدينـــة فى أيدى باسيل. (من Grousset : L'Empire, p. 179. Mattieu).

(١٣٤) Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. Cit. p. 277
كان الخليفة آنذاك هو المقتدى العباس (١٠٧٥ — ١٠٩٤) .

بل قيل انه أسلم بالفعل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير الى انه كان مستعدا فقط — اذا استلزم الأمر — لاظهار الاسلام خدمة لمصالحة (١٣٦) . لكن يبدو انه اعتنق الاسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لا حظ السلطان كره الرهويين له لم يعده الى الرها بل منحه مرعش بدلا منها ، حيث انهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريتوس هذا كان لا يعدو أن يكون مغامرا جسورا ، فلم يدخر اية وسيلة للوصول الى السلطان وفى ذلك يقول جروسيه : « اذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التى كنها له مواطنوه بسبب تحوله الى مذهب الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية ، فان فيلاريتوس يبدو بوضوح مغامرا دون شك ، لم يحجم عن ارتكاب اية خيانة ليدعم قوته وسط مظاهر الانحلال البيزنطى والغزو التركى . وهكذا اندس فيلاريتوس بين الامبراطوريتين ، فظهر امام البيزنطيين فى صورة رجلهم ، المعبر عن قوتهم ، وفى نفس الوقت ، ظهر امام الاتراك فى صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين »(١٣٩) .

وقد اقدم فيلاريتوس على التعاون مع الاتراك مرتين ، الأولى ضد احد الرؤساء الأرمن ، الذى رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريتوس مع أمير ميافارقين ضد احد ابناء جلدته حتى قتل الأخير ، فاقتسم فيلاريتوس الغنيمة مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهى التى سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه الى الرها وعندئذ اظهر فيلاريتوس خضوعه لارادة السلطان السلجوقى . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرض كلا الجانبين فى الوقت

---

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ص ١٣٩ (عن (Michel Le Syrien :

١٣٧ Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277

(١٣٨) Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٤٠) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦
Grousset : Ibid., p. 177.
واسم الرئيس الأرمنى الاخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم فى ساسون.

المناسب،مما جعله يحكم فى وقت من الأوقات المنطقة الشاسعة الممتدة من خرتبرت (١٤١) فيما وراء الفرات حتى المصيصه (١٤٢) وعين زربة وطرسوس فى قبليقية ، ماريين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش » (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام ارمينيا الجديدة التى وضع اسسها فيلاريتوس فى سنواته الأخيرة هو الحدث الذى جاء بين كارثة مانزكرت ومجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق (١٤٤) . واذا كانت نهاية فيلاريتوس قد جاءت فى الوقت الذى اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما راينا — فان هذا لا يعنى انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التى كانت تحت نفوذه ، اذ استطاع نوابه وبخاصة فى الرها وملطية ومرعش — ان يواصلوا سياسته .

ونكتفى هنا بالاشارة الى كل من ملطية ومرعش حيث أننا سنتعرض للرها فى موضع آخر .

اما ملطية فان آخر نواب فيلاريتوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو احد المغامرين الأرمن ، أدى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية الى ايجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فان،اخلاقه كانت ثمة تقارب مع أخلاق فيلاريتوس ، فنجد انه،عندما دعت الحاجة الى استرضاء الاتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فانه لم يحجم عن ارسال زوجته الى بغداد « للحصول على تأييد الخليفة العباس والسلطان السلجوقى لحكمه فى ملطية » (١٤٧) .وقد ذكر ميخائيل السريانى

---

(١٤١) — Khartabirt — الارمينية الآن معروفة اكثر باسم خربوت — Kharpût وهى قلعة حصن زياد التى يشير اليها ابن خردانبة بانها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط (Le Strnage : Op Cit., p. 117

(١٤٢) وهى من ضمن مدن الثغور بين المسلمين والروم قيل أنه كان بها خمسة من قبور الانبياء (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق١ ، ص٥٨).

(١٤٣) Grousset : L'Empire, p. 179 عن (Laurent : Byzance et les Seljaucides)

(١٤٤) Grousset : Ibid., p 150

(١٤٥) Michel : Op. Cit., p. 179.

(١٤٦) Grousset · L'Empire, p. 184, Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٤٧) Michel : Op. Cit.. p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 عن وليم الصورى
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١. ص ١٧٨ (عن ميخائيل السريانى) .

ان جبريل هذا ــ هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق ــ وعدهم ثلاث مرات بأن يسلمهم ملطيــة (١٤٨) .

اما مرعش التى ذكرنا انها شهدت خاتمة حيــاة فيلاريتوس فقد نجح الاتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قــدمت الحملة الصليبية الأولى استعادتها منهم وردتها للامبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حــدث فى ١٣ اكتوبر ١٠٩٧م وكان ان عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد الأرمن واسمه ثلتول Thatoul بحكمها فظل فيها حتى ١١٠٤م حــين اخذهــا منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع ان ثوروس ــ حاكم الرهــا والذى سنعود للكلام عنــه ــ وجبريل وثاتول ايضــــا ــ نواب فيلاريتوس والذين بداوا مثله حيــاتهم العــامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد أعطينا صورة عن ذلك النوع من تبعية بعض حكام الأرمن للدولة البيزنطية من قريب أو بعيد .

أما النوع الثانى من حكام الأرمن الذين ظلوا بعيــدين تمامــا من الخضـوع لبيزنطة فيمثله الاميران روبان وأوشين .

اما روبان (١٠٨٠ ــ ١٠٩٥م/٤٧٣ ــ ٤٨٩هـ) فقــد استطاع بمن انضم اليه ان يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

---

(١٤٨) Michel : Ibid., p. 188

(١٤٩) Grousset : L'Empire, p. 184,
سعيد عاشـور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص.١٧٨ ــ ١٧٩ من
Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)
The Crusades, V. 1,. p. 195.

(١٥٠) Runciman : Ibid., p. 195

(١٥١) Fridtjof Nansen : l'Arménie et le proche Orient, p 295
وهنــا يشير Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T.2, p. 373
« لقبت ولاية قيليقية باسم أرمينيــا لأنه بعد أن خلص المسيحيون الأرمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا بها فترة طويلة وقد واصل اهل أرمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى حد كبير ».

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . وأتخذ روبان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة ارمينيا الجديدة (١٥٤) ، التى اطلق عليها اسم ارمينيا الصغرى تمييزا لها عن ارمينيا العظمى (١٥٥) او الام .

ولم يلتمس روبان هذا الحماية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائما فى صورة تفوق بقية البارونات الارمن حتى مات وترك خلفه ابنه قنسطنطين (١٠٩٥م - ١٠٩٩م/٤٨٩ - ٤٩٣هـ) الذى « كان أول الروبانيين الذين حملوا لقب أمير اوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين أن وصول الصليبيين الى الشرق فى أواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هيأتها العناية الالهية ، لتمكن تلك الامارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها فى علاقات ود وتحالف مما شجع ارمينيا الصغرى على اتخاذ موقف عدائى تجاه الامبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

اما اوشين (١٠٧٢ - ١١١٠م / ٤٦٥ - ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القلاع القديمة فى ارمينيا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضغط

---

(١٥٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198. وهو يضيف فى نفس الصفحة ان الجنرال Bremond يعتبر محددا جدا فى تسميها مصر صغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.

(١٥٣) Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 387 وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زربة ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303. وهو يذكر ان روبان اعتمد فى الوصول الى هدفه على احد الارمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خدع الحرب . ولما كان ينقض دائما فجاة على عدوه . سمى باسيل اللص Basile Voleur

(١٥٥) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٦) Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166.

(١٥٧) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٨) Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ فجاء الى قيليقيا حيث اعطاه صديقه أبو الغريب الارزرونى قلعة نمرون ((Lampron)) وهى منطقة ذات اهمية كبرى لحماية كابادوكيا وامنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الأول أن يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne كما استطاع اوشين ان يؤسس الدولة الهيثومية — Héthomienne وهما الأسرتان اللتان كونتا عظمة أرمينيا الجديدة (١٦٠) .

ويمكن ان نضيف الى هؤلاء الزعماء الارمن كوغ باسيل اى اللص باسيل (١٦١)،وهو مغامر ارمنى بسط سيادته على كيسون ورعبان (١٦٢)، وظل فيهما منذ حوالى ١٠٨٢م — ٤٧٥ هـ حتى وفاته ١١١٢م — ٥٠٦هـ ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الاتراك (١٦٣).

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الأولى الى قيليقيــة فى سبتمبر ١٠٩٧م ، وجد الصليبيون فى الأرمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد الدولة البيزنطية من ناحيــة اخرى ولم يلبث ان قــدم الأرمن الكثير من الخدمات للجيوش الصليبية المتهالكة بعــد رحلتها الطويلة عبر هضبة

---

(١٥٩) Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et Relig.... p. 168. Nimroun-Kalessi القلعة اليوم هى نمرون — كاليسى شمال خليج طرسوس .

(١٦٠) Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر أن اوشين سيطر على مدينة اذنه) عن (Iorga) اما (ستون (فيذكر ان اوشين كان يسيطر على نصف اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit. V. 1, p. 301) ولكن احد البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الأولى استولى عليها (William : Op. Cit. V. 1, p. 181

(١٦١) Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ وقد اطلق عليه اللص لأنه سرق عدة قلاع من الثغور فتملكها الارمن بعده .

(١٦٢) Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299, سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52,

(١٦٣) Grousset : L'Empire, p. 184.

الأناضول وخلال الممرات المرتفعة فى طوروس كما قاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المساعدات التى قدمها الأرمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم اى شعب او اية امة مساعدات تلقائية للصليبيين اكثر من الأرمن. الذين امدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام» (١٦٤).

والواقع أننا نؤيد ذلك الرأى الذى يذكر أن « الصداقة التى قامت بين الأرمن والصليبيين فى أول الأمر انما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية أخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايعين من السكان الأرمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦).وفى مرعش قدم لهم حاكمها ثاتول الأرمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبى الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبة أيضا تنكريد ابن أخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبى ليعملا لحسابهما(١٦٨) .لكن حدث بينهما صدامان امامكل من طرسوس(١٦٩) والمصيصة (١٧٠) — سنتناولهما فيما بعد — وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبى

---

(١٦٤) Sirarpie : Op. Cit., p. 12.

(١٦٥)سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى،ص ١٤٣

(١٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 207.

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p.298.

(١٦٨) F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

(١٧٠) William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : p. 138.

(١٧١) Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301.

الاصلى فى مرعش وهناك علم بوفاة زوجته (١٧٢).وبعد مضى حوالى يومين فى ١٥ اكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفـاقه من جـديد ليبحث عن مستقر على ارض أرمينية (١٧٣) . ذلك بعد أن اخذ بنصيحة باكراد الأرمنى ــ اخو كوغ باسيل والذى سنتكلم عنه بعد قليل ــ بأن قـدره الحقيقى يرقد بعيدا فى الشرق على الفرات (١٧٤) . لأنـه هنـاك لن يلتقى بتنكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وببداية بلدوين البولونى رحلته هـذه تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخـه كمؤسس لامـارة الرهـا الصليبية وهنا يؤكد احـد الأرمن ان بلدوين البولونى « اتجه تحت تأثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجـاه الى السـهل القيليقى واصـبح بذلك على اتصـال مبـاشر بالقـوات الارمينية (١٧٦) » وانه بفضل باكراد الأرمنى نظم سيره فى قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر باكراد اتصاله بجيرانه الأرمن وامرائهم « وفى كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما اليعاقبـة السوريون الذين كونوا بقيـة السكان ، فكانـوا أكثر شـكا ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدوين ببكراد فقد بدا فى نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر وليم الصورى ان معرفـة بلدوين ببكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو أن هناك اشارة لأحد اللاتين تذكر أن « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح أن بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف باكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

---

(١٧٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138.

(١٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49.

(١٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(١٧٥) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(١٧٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(١٧٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45

(١٧٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

(١٧٩) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175.

(١٨٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 188
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١

(١٨١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 353.
هنـا يوضح Ioga ان باجراد كان قد حبس كرهينة فى القسطنطينية (Iorga : LéArménie Colicienne, p. 92).

هل كان صادقا فى معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه ام مصلحته هو ؟

هنا نرى وليم الصورى يصف باكراد بانه « كان محاربا شجاعا ولكنه كان مخادعا الى درجة كبيرة ومشكوكا فى اخلاصه .. كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشاركه فى حملة على الاقاليم المجاورة وهي الاقاليم التى قال عنها انه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رايه فى النهاية (١٨٢) » . فى حين يذكر رنسيمان « أن باجراد كان يود أن يضمن مساعدة بلدوين من اجل تثبيت اركان الامارات الارمينية القريبة من الفرات حيث يستقر اقاربه « (١٨٣) اما جروسيه فيقول ان باكراد كان يرى « أنه بفضل الاعتماد على للفرنج يمكنه أن يفوز باقطاع كبير يحكمه حكما متحررا ، وعند اللزوم يستطيع ان ينقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هذه هى سياسة فيلاريتوس تجاه منافسيه اذ ناور بين البيزنطيين والاتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فانه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان أن اصطحب بلدوين معه حوالى مائة فارس وعددا قليلا من المشاه وبدا رحلته من مرعش تحت ارشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المساعدات التى قدمها له بعض امراء الأرمن المحليين ، وبفضل هذه المعونة استولى على مدينتين هامتين هما تل باشر

---

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) (Albert) عن Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54

(١٨٤) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٦ عن (Albert) أن بلدوين انشق عن بقية الجيش الصليبى تحت ستار حماية ميسرة الصليبيين الزاحفين على انطاكية ليبحث لنفسه عن امارة جديدة صالحة فى البلاد الأرمينية .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك فى عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح المدينتين مساعدة الأهالى الأرمن فيهما لبلدوين وثورتهم ضد الحاميات التركيـــة وطردها الأمر الذى ســـاعد عليه ضــــعف تلك الحاميات (١٨٨) . وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلدوين راوندان لبكراد وتل باشر لأمير أرمنى آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا انه حدث فى تلك المرحلة — اى اثناء وجود بلدوين فى تل باشر — أن استدعاء ثرروس الأرمنى حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبى

---

(١٨٦) Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278
وهنا ذكر دوفال انهما :
شمال غـربى حـلب . امـــا المصـــادر اللاتينيـــة فتـذكر أن بلدوين استولى على كثير من المعسـكرات بالقوة تـــارة وبالحيـلة تارة اخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على افضلهم ويسمى تل باشر .
Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.
أما عن راوندان فقـد ذكر ياقوت الحموى : معجم البـلدان جـ ٩ ص ١٩ انها قلعـــة حصينة وكورة معشبة من نواحى حلب . واضاف ابن العـديم انها قلعة صغيرة على راس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل اليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٤٢٣ه تاريخ ص ٣٦٩).

(١٨٧) Grousset : L'Empire, p. 204,
اسحاق عبيد : رومـــا وبيزنطة ، ص ١٠٨
عن (Albert) . وهـو يسمـى القـــلعتين (رافنـــدل وتربسـل وهى ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية Turbessel, Ravendel - هنا نجد (شالندون) يخطىء فى ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر ان ذلك تم فى فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٣هـ (
Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)
وممـــا لا يرجـــح صحة هـــذا التـــاريخ أن المـــدينتين ســـقطتا فى أيدى الصليبيين قبل الرها التى تم دخولهم لها ١٠٩٨ م — ٤٩٢هـ .

(١٨٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)
سـعيد عاشـور : الحركة الصليبية ، جـ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

(١٨٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302 - 303, Grousset. Ibid., V. 1, p. 54.

(١٩٠) Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35.

بلدوين ذلك الطلب ويترك تل باشر ، كتب اليــه (فير) تقريرا بأن باكراد يتــآمر ضــده فى راونــدان (١٩١) ويبــدو كما يقــول (رنسيمان) « انه ليس هناك شك فى ان (فير) كان غيورا من باجراد الذى لم يرتكب كنبــا اكثر من الاتصــــال سرا باخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حسابا لسوء العــاقبة فدفع رجاله الى رواندان وقبض على باجراد الذى عــذب ليعترف فلم يصرح ســوى بالقليل النــادر ثم هرب فورا ليحتمى باخيــه . وهكذا بدا واضحا لعقلاء الارمن ان بلدوين جاء لا لكى يحررهم ولكن ليبنى لنفسه سلطانا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لعبور الفرات ، ليلبى طلب ثوروس الذى استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلتــه الى الرهــا آمنــة ، اذ كمن له فى الطريق اتراك سميساط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التى قــدمها له الارمن فى تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع أن نتصور اهمية المساعدات الارمينية لبلدوين البولونى من خلال تلك السطور التى كتبها (ميشو) : « لم يكن بلدوين فى حــاجة الى مرشــد ولا لنجدات فى منطقة هرع سكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى فى الأماكن البعيدة جــدا حتى ان اخبار فتوحاته سبقته الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرهــا (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة اخبارها وحكامها منذ أن بارحها فيلاريتوس بأمر السلطان السلجوقى ملكشــاه

---

(١٩١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(١٩٢) هنا يضيف (Runciman) من Setton : Ibid., V. 1, p. 303
الدبس : تاريخ سوريا جـ ٦ ص ١٢ ان باكراذ استحوذ على بعض الأماكن ولكن التــاريخ لم ينبئنا ما آل اليــه آمره .

(١٩٣) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena, Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.

(١٩٤) Fulcherii Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid.,) T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

(١٩٥) Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240.

١٠٨٧ : ١٠٩٤م (٤٨٠ ـ ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقى بوزان (١٩٦) .

يقول ابو شامه انه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلمش على يد تتش ان ملك تتش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ أرسل اهل القلعة الى ملكشاه ليسلموها اليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية النميرى كان قد باعها من الروم بعشرين الف دينار وسلمها اليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد واجلوا المسلمين عنها . وكان أن سار ملكشاه اليها فحاصرها رفتحها واقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذى وعد الأهالى الأرمن فى الرها باحترام مصالحهم فسلموا له المدينة جميعا(١٩٨).

وكان ان ظل بوزان هذا حاكما للمدينة الى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عندما قتل فى الحرب بين تتش وعمه بركياروق (١٩٩) وعندئذ استولى احد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيثوم على الرها بوصفه تابعا لفيلاريتوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته فى التأرجح بين ارضاء

---

(١٩٦) Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.
وهنا يعدد لنا دفريمبرى اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .
(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٠

(١٩٨) Grousset : L'Empire, p. 183.

(١٩٩) الاثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ١٥ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٥ ـ ٦٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ٩ ص ٧٦/٧٧ . وهنا يرجع الحسينى : اخبار الدولة السلوجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل توزان الى عدم اسراع بريكاروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله مع اتابكة الأمير الاسفسهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعقب على ذلك ببيت للصدر عماد الدين يوضح ذلك فيقول :
قد غرقنا فى الشرب والسكر حتى لم نفكر فى سنقر وبزان

(٢٠٠) The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628.

كل من الأتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحيــة أخرى « فقد تحــاشى الدخول فى صراع مع الأتراك ، ووفقا لملاحظة جيوبرت النوجنتى ، حفظ الرهــا من هجمــات الأتراك بالمفاوضات ودفــع الجزية فى الوقت المناسب ، لابالسلاح (٢٠١) » . وفى نفس الوقت فعل مثلما كان يفعـل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للامبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس هــذا فكان هو حاكم الرهـا عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى وقت احس ثوروس بأن امارته الأرمينية انتابها الضعف . وانها لم تظل على قيـد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياســة المهادنة التى اتبعها تجــاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ محاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعـذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمينى فرصــة كان يتمناها (٢٠٣) .

---

(٢٠١) سعيد عاشور
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.
الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)
(فقد اقره تتش أخر السـلطان ملكشاه فى حكم الرهــا سنة ١٠٩٤م)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٠١ ،
(٢٠٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel)
(٢٠٣) Cruasades, p. 60.

الباب الأول

قيام امارة الرها الصليبية واحوالها الداخلية

رأينا كيف كانت الرها بمثابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الأتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الأرمنى بمعجزة فى المحافظة على ذلك الحصن المسيحى البارز على أرض اسلامية ، لكنه أخذ يفقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركى على امارته (١) . وجاء ذلك فى الوقت الذى كانت شهرة بلدوين البولونى قد بلغت آفاقا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته فى حروبه ضد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس فى طلب المساعدة من بلدوين البولونى ولكنه فى نفس الوقت صمم على أن يستفيد من قوة الصليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك انه أراد أن يستغل بلدوين لخدمة مصالحه أى بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم يفصح عن نيته هذه لأحد حتى أشد المقربين اليه بدليل ما سيتعرض له بعد ذلك من معارضة حين تتكشف سياسته لبلدوين ولأهالى الرها أنفسهم .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل ثوروس الى بلدوين فى تل باشر يتوسل اليه أن يحضر لنجدته ضد أعدائه الأمراء المجاورين «الذين أقلقوه كثيرا(٦)»

---

(١) Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56.

(٢) Fulcharii : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, T. 3, p. 337.

(٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 352.

(٤) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54.

(٥) C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée p. 56, L'Empire, p. 204.

(٦) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد احد المصادر اللاتينية بقوله ان ثوروس استدعى بلدوين « ليسكت معارضيه فى الدولة (٧) » . ولهذا الغرض ارسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من اسقف المدينة يرافقه اثنى عشر كبيرا من كبار الامارة ، فطلبوا من بلدوين الحضور الى مدينتهم لحمايتهم من الاتراك (٨). ويقال انه من اسباب تلك الاستغاثة او ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من ان كربوغا اتابك الموصل كان يعد فى ذلك الوقت جيشا عظيما ليتجه لنجدة انطاكية ، مما اثار المخاوف من ان يستولى فى طريقه على الرها وغيرها من الولايات الارمينية (٩) .

ومن هذا يفهم ان استغاثة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وانه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة اخرى فانه لم يفهم من ظاهر هذه الاستغاثة رغبة ثوروس فى استخدام بلدوين كاجير مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الاتراك ، وان كان بعض المؤرخين ذكروا ان استغاثة ثوروس كانت تتضمن مؤازرة بلدوين لثوروس ضد الاتراك مقابل اجر مجز (١٠). والراجح ان بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو فى راوندان، وانما اكتشفها بعد ان وصل الى الرها ذاتها (١١) .

ولا عبرة هنا بما جاء فى بعض النصوص المعاصرة من ان بلدوين لم يكن يعلم شيئا عن الرها حتى وصوله اليها صحبة رجاله ، وانه تعرض لاطرافها بالنهب والسلب (١٢) . اذ لا يعقل ان بلدوين قام بعمليات اسر ونهب فى منطقة ارمينية .. مع ان مرشديه كانوا من الارمن ، هذا فضلا عما فى هذا الرأى من تعارض مع ما ذكره وليم الصورى من تقرب الارمن

---

(٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 352.

(٨) Alberti : Ibid., p. 352.

(٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Runciman: Op. Cit., V. 1, p. 203. (Albert of Aix) عن

سعيد عاشور و الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٨١

(١٠) C. Cahen : Op. Cit., p. 210.

(١١) C. Cahen : Ibid., p. 210.

(١٢) Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

لبلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما أن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصلبان والأعلام معلنين جبنا المتواضع للسيد المسيح ، حتى قبلوا اقدامنا وثيـابنا الممزقـة ، لأنهم سمعوا أننـا فى سبيلنا لحمايتهم من الأتراك (١٤) » .

ومهما يكن من أمر فـان بلدوين لم يكد يتلقى سـفارة ثوروس حتى استجاب لها فى الحال لمـا رأى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد فى المسير فورا ليعبر الفـرات فى نحو ثمانين فارسا فقط ، فى حين ترك بقية اتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها فى فبراير ١٠٩٨م(١٦) (٤٩٢هـ) استقبل استقبالا رائعا صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما اثار شعور الغيرة والحسد فى نفس ثوروس الذى اخذ يحس ان زمام الأمور سوف يفلت من يديه أمام

---

(١٣) William : Op. Cit., V. 1, p.. 188 - 189.

(١٤) Fulcherli Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 337.

(١٥) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. أمـا متى الرهـاوى فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا .
(Mattieu : Op. Cit., p. 36)
فى حين يشير مصـدر لاتينى آخر أنهم كانوا ثمانون .
Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

(١٦) Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman Op. Cit., V. 1, p. 24 من (Albert)
ذكر المرجعان أن ذلك كان فى بداية فبراير اما اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « انه دخل مدينة اذاسا فى العشرين من فبراير ١٠٩٨م » . من (Hagenmeyer : Chronologie)

(١٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191, Michaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وامام حب الأهالى الجارف له (١٨).ويروى بعض المؤرخين المعاصرين ان ثورس « حسد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . فى حين يذكر وليم الصورى أن ثوروس « بدأ يفكر فى التخلى عن الترتيبات التى اقحم نفسه فيها . فعندما استنجد ببلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه ايرادات المدينة ، على أن ينفرد بلدوين بكل شىء بعد وفاة ثوروس . ولكن الأخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير فى أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة واهلها ضد ضغط الأتراك،ويحميها من عدوانهم مقابل اجر معين . وهنا اخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل ان يعمل اجيراً مقابل مكافأة سنوية »(٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكا له فى الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحميه هو وشعبه مقابل مكافأة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح فى النص اللاتينى الذى يشير الى ان ثوروس عرض « ان يقدم الى بلدوين كثيرا من الذهب والفضة والاحجار الكريمة والآلاف من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط ان يثبت له وللأهالى والجهات المواجهة لكمائن الاتراك انه سيدفع عنهم خطرهم(٢١) » . ويقول وليم الصورى « ان بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى اعطاء بلدوين اجرا مقابل خدماته كأى جندى عادى ، وبدأ يعد العدة للعودة »(٢٢) . ويشير جروسيه أن بلدوين هدد « بالتخلى عن مهمته(٢٣) » بل اشترط « اما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

---

(١٨) Cahen : Op. Cit., p. 210.
(١٩) Albert Aquensis : Historiae... Liber III, T. 4, p.p. 352-353.
(٢٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 353.
(٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢٣) Grousset : L'Empire, p. 204.

الرها ويتنازل عن المدينة لهجمات الاتراك »(٢٤) . .

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته ان ثوروس تبنى بلدوين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الرأى ؟ أم ان بلدوين هو الذى أجبره على ذلك ؟ ام ان هذه الفكرة كانت رغبة اهل الرها انفسهم ؟ أم رغبة أعيان البلد الممثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لثوروس فى الحكم ؟

هناك اشارات فى المصادر المعاصرة الى أن هذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر ان « هذا الأرمنى كان شيخا لم ينجب اولادا ، ولذا تبنى بلدوين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه »(٢٥). هذا فى حين جاء فى مصادر اخرى أن بلدوين « اجبر ثيودور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر أن هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع أهالى الرها انفسهم ، وعندما احس ثوروس بالحاحهم وافق واذعن على مضض(٢٧) .

اما عن موقف اعيان الرها ومجلس شيوخها من بلدوين فيقال انه بمجرد أن هدد بلدوين بترك البلد والعودة من حيث اتى « وانه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدوين بالذهب أو الفضة او باية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافة الوسائل والرجاء الا يسمح لمثل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعودة وان يتخذه شريكا لنفسه من اجل المحافظة على مصير الامارة »(٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

---

(٢٤) Grousset : L'Epopée, p.p. 56 - 57.
(٢٥) Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 81.
(٢٦) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278.
(٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبنى (٢٩) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لمراسيم التبنى فى الكنيسة الأرمينية فى القرن الحادى عشر(٣٠) . وتم ذلك فى حضور سكان المدينة وفى احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين(٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « أرمنى — فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سميساط لمحاربة أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

---

(٢٩) Alberti : Ibid., p. 353. William : Op. Cit. V. 1, p. 191.
Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,
ويحكم هذا التبنى أصبح بلدوين الوارث الوحيد لثوروس
Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena
— Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 149.

(٣٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢ . عن
(Guibert de Nogent)
Grousset : L'Epopée, p. 57.
وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا الشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاربين لحمه وقميصه . . . الى آخر الشعائر ويؤيده فى ذلك
(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

(٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٣٢) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti
Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

(٣٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58.

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكأنهم لم يكفهم ما حدث له ولسلطانه الذى أصبح مناصفة بينـه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان عوامل الكره لثوروس ترجع الى أسباب عـديدة اولها واهمها فى نظر الأهـالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الأرمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمـل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخـذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الأصلى ، فضلا عن انفصـالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالمذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القـاعدة .. فأصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين أرمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) .

فاذا اضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧)) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه أرهق رعاياه بالضرائب ليرضى جشع الأتراك ويدفع لهم الأموال (٣٩) . فضلا عمـا يقـال من ان سـخط الأهـالى عليـه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . ادركنا فى النهاية أسباب التآمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهـاوى يعتبر ان كل تلك الأسباب الصـادرة عن الرهويين : « والتى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سـوى ، عللا وضعوها لكى يبرروا خيانتهم لثوروس وتآمرهم ضـده ،

---

(٣٤) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36 - 37, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. عن Albert)

(٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208

(٣٦) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139.

(٣٧) Cahen : Op. Cit., p. 210.

(٣٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)

(٣٩) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

حتى قتلوه وسط هيـاج شعبى مفتعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عـديدة للمدينـة ، لأنه « بسبب مهارته الحـذرة وبعبقريته وشجاعته استطاع ان يجنبها فعلا خطر السقوط فى قبضة المسلمين »(٤٢) . ويقال أن اهـالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قتسطنطين حاكم كركر(٤٣) . ولكن الذى يعنينـا ويتطلب منـا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين فى تلك المؤامرة . او على الأقل دراسـة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصمت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الموضوع ، فى حين نجد متى الرهاوى يتهم بلدوين صراحة بالمشاركة فى المؤامرة (٤٤) . هـذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احيط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض أن يشارك فيها (٤٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعـد عن الظهور على

---

(٤١) Mattieu : Op. Cit., p. 30.

(٤٢) Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56.
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (Mattieu من

(٤٣) Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

(٤٤) Mattieu : Ibid., p.p. 37-38, Chalandon : Hist. de la première Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570.

(٤٥) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoé : Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert) وهنا يذكر البرت انه عندما طلب أهالى الرهـا من بلدوين مشـاركتهم فى التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى اخـذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى اتوسل اليكم أن تسمحوا الى ان لا الوث بموته وبدمـه . وان تجعلوا اسمى خسيسا بين قـادة الجيش المسيحى .

مسرح الجريمة مع المتآمرين ، حيث ذكر انهم « اجتمعوا معه وذكروا له انهم سيجعلوه سيدا أوحدا على الرها اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . اى انه « اخبر بها لكنه ابعد عنها (٤٧) » . .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجمها الثوار ومعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة ان يمنع الهياج المدبر ، اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شيء وترك ثوروس يلقى مصيره(٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين عن طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا ليحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين أن يقوم بدور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه أن يسلم خزائنه للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تآمر كل المواطنين وحكام هذه الامارة ضدك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الأسلحة وفى هياج شديد وفى تهور واندفاع ، وهذا كله يسبب لى الألم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك أن تطلق سراح نفسك بأية وسيلة ، او بالتنازل عن كل سلطاتك ، فلن اتوان فى الاسراع اليك » . وكان ان استمع ثوروس بصعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى ارمينيا القديمة ، فحلف بلدوين على تلك المقدسات المبجله بالايصاب ثوروس بأذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

---

(٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, Grousset : L'Epopée, p. 57.

(٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 - 206.

(٤٨) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140.

(٤٩) Grousset : Hist. des Crois , V. ,1, p. 57, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

(٥٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354.

لبلدوين فدخلها مع كل أعيان المدينة(٥١) .

وثمة رواية اخرى تقول ان ثوروس استدعى بلدوين « وسكب امامه خزائنه بغزارة ملتمسا منه التشفع لمصلحته لدى الأهالى (٥٢) » . ويصور لنا احد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتى لا مثيل لها فى السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية »(٥٣) . ويبدو ان المتآمرين وافقوا بعد ذلك على ان يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مسلح (٥٤) . فينزح الى ملطية التى كان اميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الأهالى وندموا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصاحوا بالاجماع الا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا او معافى حتى لا يحدث اى تغيير للظروف او استرداد للأشياء »(٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بانهم اتهموه « بانه لم يوقع على الصلح الا مخادعا (٥٧) » . لذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخترقوا القلعة فى ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من اعلى الاسوار (٥٨) »

اما وليم الصورى والبرت فيذكران انه فى حالة شعور ثوروس باليأس . حاول أن يهرب من احدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدا ينزل

---

(٥١) Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 57, L'Epopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)
هنا يذكر ميشو (انه بمجرد ان استلم ثوروس ووعد بالتنازل عن حكومة الرها وطلب الانسحاب مع عائلته الى ملطية حتى قوبل ذلك الاقتراح بفرح وحلف الأهالى على الصليب وعلى الأنجيل باحترام الشروط)
Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud . Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جسده بالاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل أنهم سحلوا جثمانه فى الشوارع وقطعوا راسه وحملوا جثمانه للتشهير به فوق الحراب خلال كثير من قرى الامارة (٦٠) . والواقع أننا نطل من وراء هذا النص على البداية المبكرة لعملية السحل والتمثيل بالجثث .

هنا يكتفى فولشر بقوله أن بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن فى استطاعتهم عمل شىء من اجله » (٦١) دون أن يشير الى المؤامرة باى شىء، وربما يرجع ذلك الى شدة قربة ببلدوين حيث كان قسيسه الخاص . وهناك رأى وحيد يشير الى « أن بلدوين اشترك بالفعل فى المؤمراة زان له يدا فى مصرع ثوروس وانه اشترك مع زوجة ثوروس فى تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعد ذلك لكى يضفى على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قد يكون بعيدا عن الحقيقة فى نظرنا ، خاصة واننا لم نجد ما يؤيده فى المصادر المعاصرة

وفى ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغم من اعتراض بلدوين ، نادى الأهالى به حاكما لهم وحلفوا يمين الولاء له وقادوه فى موكب عظيم واجلال الى داخل قلعة المدينة حيث اغدقوا عليه كل الأموال والثراء الواسع الذى احتزنه حاكمهم السابق خلال سنوات عديدة ..وبهذا عاد للمدينة الامن والطمانينة (٦٣) » .

والواقع اننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول أنه كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو فى بداية امره كان يتطلع — شأنه شأن باقى امراء الحملة الصليبية الأولى — الى أن

---

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.

(٦٠) Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Mattieu Op Cit, p 38

(٦١) Fulcherii Carnotensis : Historia ..Hist Occid. T. 3, p. 338.

(٦٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٢٠٥ .

(٦٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid T. 4 p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له امارة يحكمها فى الشرق . وعندما اراد ثوروس ان يجعل منه جنديا مرتزقا هدد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة انه - وشعبه - لن يتخلوا عنه . ثم عندما دبرت المؤامرة ضد ثوروس رفض بلدوين المشاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس فى صورة الرجل المحافظ على عهوده ، ومن ناحية اخرى حتى لا يكون مثارا لشك الاهالى بعد نجاح المؤامرة واخيرا وبعد ان تمت المؤامرة وقتل ثوروس ؛ وعرض عليه حكم الامارة اذا به يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيها .

لكن هل جاءت فكرة تاسيس بلدوين « لامارة الرها الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعد استدعاء ثوروس له ومقتل الأول واختيار الأهالى لبلدوين مكانه ، ام ان تلك الفكرة كانت موجودة أصلا لدى بلدوين . وتم تنفيذها ، عندما اتيحت لها الفرصة ب .

هنا نجد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر أبدا فى فتح كنيسة القيامة - يقصد بيت المقدس - بل كان لديه نشاط جامح لاقامة مملكة خاصة به فى الشرق (٦٤) » . لذلك نجد أن بلدوين انفصل عن بقية الجيش الصليبى منذ وقت مبكر - وشاركه فى ذلك تنكريد ابن اخت بوهيموند - ليعملا لحسابهما (٦٥) . بل ان البعض يؤكد ان رغبة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطاع امارات لانفسهما فى آسيا الصغرى (٦٦) . هذا الى جانب راى وحيد انفرد بالقول بان هذه الفكرة نبعت من منافسة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولته تاسيس امارة بالشرق لعمه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح ان عنصر المنافسة وحده لايكفى ان لم تدعمه الامكانيات المختلفة . والواقع ان الفكرة كانت كامنة لدى بلدوين حتى كشف عنها فى الوقت المناسب عندما وجد المكان الصالح لتحقيقها وكان أن وجد فى اقليم الرها السكان الارمن المتلهفين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له ارض افضل للعمل بما يتفق مع خططه . ولكى ينجد مسيحيى

---

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Crois. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتر : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٩ .

(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ . وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الافضل ان يتحالف مع أولئك المسيحيين ضد الأتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التى رتب لها ، فهو لم يفكر فى قهر أرض على جانب من الأهمية بدون الأعتماد على السكان الوطنيين . وفى اقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع أنها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الأتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلدوين أن يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باءت بالفشل محاولة ثوروس فى اقامة حكومة ارمينية فرنجية (٦٩) . فقد كانت امارة الرها التى حكمها ثوروس بمفرده بيزنطية ارمينية ، ثم اصبحت لاتينية ارمينية بعد تبنيه لبلدوين (٧٠) . ثم تحولت شيئا فشيئا حتى اصبحت امارة لاتينية صرفه (٧١) .

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها : ١٠٩٨ — ١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على ان امارة الرها هى اولى الامارات التى أسسها الصليبيون فى الشرق ، وان تأسيسها يرجع الى بداية مارس ١٠٩٨م (٧٢) (٤٩٣هـ) (٧٣) وهى السنة التى أنفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

(٦٨) Zoé : Op. Cit., p. 139.

(٦٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629.

(٧٠) Grousset : L'Empire, p. 297,

(٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٤ Grousset : Ibid., p. 184.

(٧٢) هنا William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304. اخطأ البعض فى ذكر تاريخ تاسيس الامارة (الميلادى) فقد اشار مرجعان انها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩م وهما : Dictionnaire d'Histoire et de Geographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 1. فى حين يشير مرجع آخر الى أن ذلك كان سنة ١٠٩٧م Cam. Med. Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا ايضا اخطات بعض المصادر فى ذكر التاريخ الهجرى فمثلا ابن ايبك الدوادارى كنز الدرر ، ح ٦ ص ٤٥٠ يذكر ان ذلك كان سنة ٤٩٠هـ . اما التاريخ المظفرى : ميكروفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة ٤٩١هـ ، أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٩ فيذكران ان ذلك كان ٤٩١هـ .

وهكـــذا دخلت الرهـــا فى حوزة الفرنـــج بعـــد أن « كانت مركزا بيزنطيا فى مواجهة مركز اسلامى فى حران » (٧٤) . والواقـــع انه اذا كنا قـــد بينا من قبل اهمية تأسيس امارة الرهـــا بالنسبة للبناء الصليبى فى الشرق ، فان بعض البـــاحثين يرون أن تاسيس امـــارة الرهـــا يعتبر ســـابقة خطيرة ، لأنه شجع بقية أمراء الحملة الصليبية الأولى على أن يحذوا حذو بلدوين فى تكوين امارات لانفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبى فى الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا فى الشـــام أربع امارات صليبية اختلفت اهدافها باختلاف اصول مؤسسيها . وفى ذلك يقول (برويـــه — Prawer) أن امارة الرها كانت امارة أرمينية لورينية،(٧٦)ثم امارة انطاكية التى اسسها بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية وامارة طرابلس التى شيدت على الأسس التى وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية Provençale ومملكـــة بيت المقدس ، امـــارة لورينيـــة وفرنسية شمالية (٧٧) .

وقـــد اختلفت امارة الرهـــا من بقية الامارات الصليبية بانها اخـــذت ولم تقهر (٧٨) أو بمعنى آخر تحولت السلطـــة فيهـــا من رئيس أرمنى الى رئيس فرنجى (٧٩) .

امـــا عن شخصية مؤسس امـــارة الرهـــا الصليبية ، وهو بلدوين البولونى او بلدوين دى بوايون (٨٠) الـــذى حكم الرهـــا من ١٠٩٨ —

---

(٧٤) Cahen : Op. Cit., p. 111.

(٧٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) ســـار على راس احـــد الجيوش الصليبية ، الذى جند من فالونيا وفـــلاند واللورين ، قـــادة فرنســـيين هـــم : جـــود فرى دى بوايون Godefroy de Bouillon واخويـــه بلـــدوين وايوســـتاش وابن خـــاله بلـــدوين دى بـــورج . (F. Charles — Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 15).

(٧٧) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 249.

(٧٨) J. Prawer : Ibid., p. 249.

(٧٩) Cahen : Op. Cit., p. 225.

(٨٠) وبوايون Bouillon هى مدينـــة فى بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج

=

١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) (٨١) فالمعروف انه كـان اخـا لجود فرى دى بوايون وكان يصغر أخـاه بسنة او اثنتين . (٨٢) جمعته هو واخوه بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) ، كذلك تشابها فى الغطرسـة والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين فى طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحى المدنية والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة المظيمة ، اذ تربى تربية اميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن انه « كرس فى طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحيـة أخرى كان ذكيا طماعا ، صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شـديدا كما كان رجل سياسـة ورجل دولـة (٨٧) .

والواقع ان بلدوين عرف منـذ البدايـة انه لايستطيع ابدا الاعتماد الا على خاصته ولكن بالرغم من انـه لم تكن له شعبية مثل اخيه جود فرى او مثل بوهيموند ، الا انه عرف كيف يجعل نفسه محترما، مهاب الجانب ، فشجاعته وحزمه وحسمه للأمور فرضت احترامه على كل من أصدقائه

شمال فرنسـا . وكـانت بوايون فى القرن الحادى عشر الميلادى تحت حكم امراء الأردن Ardennes والذين تولى خمسـة منهم فيما بين ١٠١٢ — ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجرمان . ولـما كانت بوايون هى قلعتهـم الرئيسية فقـد اصبح من المـالوف ان يلقب هؤلاء الأمراء : بأمراء بوايون ، رغم ان بوايون نفسها لم تكن دوقية . والى بوايون هـذه ينسب اميرنا الصليبى بلدوين .
Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

(٨١) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٨٢) Zoé : Op. Cit., p. 116.

(٨٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.
ويضيف المرجـع الأخير بأن بلدوين كان المحـارب الأكثر ضراوة ، الاكثر شجاعة ، الذى لا يبالى بالتعب اطلاقـا (ص ١١٧) ذو السـلاح جيد وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

(٨٤) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C). Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1. p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

(٨٥) Zoé : Ibid., p. 135.

(٨٦) Zoé : Ibid., p. 117.

(٨٧) Zoé : Ibid., p. 117.

واعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الأصدقاء (٨٨) وربما يرجـع السبب فى ذلك الى انه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربــه عن طريق المهادنــة حينا والتهديد بالقوة احيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الاقوال فى ذكر صفاته الا انها فى مجموعها لا يمكن ان تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تفخر بهم الحروب الصليبية ، والا لمـــا استطاع ان يصل بعد ان كان اميرا لامارة الرهـــا اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠م .

ومنذ اللحظة الأولى لاعتلاء بلدوين حكم امارة الرهـــا ، وضـــع نصب عينيه ان يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الأول فى الصرح اللاتينى فى المشرق ، من طريق تـــدعيم الجبهـــة الداخليـــة للامـــارة وعن طريق التوســـع الخارجى .

ان ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرهـــا هو خطر الأتراك المحيطين به من كل جانب وتهديدهم لامارته ، هـــذا الى جـــانب قلة عـــدد قواته من فرســـان الصليبيين ، (٩١) وعـــدم ثقته الكاملة فى اهالى الامارة الأرمن بعـــد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالاضـــافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع ان يحقق بها مايدور فى خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تغلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع ان المشـــكلة الأولى التى واجهت سبيل بلدوين كانت قلـــة عـــدد فرســـانه من العـــليبيين الغربيين ، وهنـــا ســـاعده الحظ لأن عـــددا كبيرا من الصليبيين الذين شـــاركوا فى حصـــار انطاكية سئموا طول الحصـــار بعد ان ضـــاقت بهم الحال فاتجهوا الى الرهـــا ينشدون حياة افضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجح البعض انه اغراهم على

---

(٨٨) Zoé : Ibid., p. 141.

يقصد هنا بخاصته (فرسان بطانته وذوى قرباه والســـادة الصليبيين الذين ارتبطوا به عن طريق بعض الهبات)

(٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 180.

(٩٠) William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.

(٩١) ولو ان (آرتشية) يذكر هنا انه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.

(٩٢) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 465.

القدوم الى امارته لأنه كان فى حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من أمام انطاكية الى الأمير بلدوين بالرها كانوا على نوعين : نوع كان يأمل فى الحصول على اقطاعات (٩٤) وبالتالى ينشد الاستقرار فى الرها . وفريق آخر اسرع الى الرها للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الأصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الأخير واظهر لهم احتراما كبيرا ثم أعادهم الى اخوانهم بالشام فى حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هذا الفريق عن الرها الا ان الصليبيين تدفقوا فى أعداد هائلة على المدينة بعد ذلك حتى اصبحوا مصدر ازعاج للأهالى الأصليين (٩٦) . وكان ان نجح بلدوين فى اخضاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الأماكن الرئيسية الحصينة فى الامارة اقطاعات لهؤلاء الفرسان (٩٧) ومن بين الاقطاعات التى وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقد قدمهما لأخيه جود فرى عندما انسحب من انطاكية اثناء حصارها فى اغسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرها (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طموح جود فرى الذى غادر الرها بعد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكتسب بلدوين ود الأرمن ويقربهم منه ، ويضفى على حكمه صبغة شرعية فى نظر السكان المحلين (١٠٠) . فانه أسرع بعد وفاة

---

(٩٣) Zoé : Op. Cit., p. ...

(٩٤) Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234.

(٩٥) William : Op. Cit., p.p. 301 - 305.

(٩٦) William : Ibid., V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 248.

(٩٧) Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٩٨) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p.p. 440 - 441, William : Op. Cit. V. 1, p. 304.

Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 - 234, Zoé : Op. Cit. p. 142, 143.

(١٠٠) Grousset : L'Epopée, p. 58.

زوجته الاولى بالزواج من اميرة ارمينية اسمها اردا Arda (١٠١) . وكانت ابنة احـــد كبار النبلاء الارمن ، وانها تنحـــدر من نسل روبان على قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهـــذه الزيجة أن يكسب ود الارمن داخل الرهـــا ؛ فنظروا اليه فى البداية على أنه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (١٠٣) هذا الى انه حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد جزء من ديونه . ويقال ان هـــذا المصداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت يضـــاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بأن يرث أرضـــه بعد وفاته وان يؤمنه ضد الأتراك وأن يحميه من خشونة الأرمن فى قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهوين ويرجع ذلك فى الواقـــع الى تـــدفق الصـــليبيين الغربيين الى الرهـــا باعـــداد هائلـــة والذين لم يلبثوا أن سببوا مضـــايقات للأهالى الأصليين رغم ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فمنذ السنة الأولى لحكم بلدوين فى الرهـــا تكونت ارستقراطية فرنجية اتصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت الارمن والسريـــان باحتقـــار وعنف واعتبرتهم اجناســـا اقـــل منهـــم فى المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالى الرهـــا من المسيحيين الغربيين ـــ ســـكان الرهـــا الجـــدد ـــ على بلدوين نفســـه فانه لم يحسن انتقـــاء

---

(١٠١) Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 433, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(١٠٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 عز (Dulaurier)

(١٠٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٠٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 361. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman : Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.

(١٠٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٦) Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

العناصر الصليبية الغريبة الوافدة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصورى يسهبون فى وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا فى المدن المسيحية حيث استقبلوا فيها كاصدقاء ، اذ اساؤا معاملة النبلاء الأصليين ونزعوا منهم بالقوة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانات (١٠٧) . وفى ذلك المجال يذكر وليم الصورى ان بلدوين قلل من الاعتماد على مشورة نبلاء الرها الأصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مساعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعه ، وندم اهل الرها لأنهم مكنوه من السيادة عليهم وخافوا ان يسلبهم فى النهاية من كل ما يملكون (١٠٨) . يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « ان الاثنا عشر زعيما لدولة الرها — الذين يكونون مجلس شيوخها — تأملوا تدفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الاماكن على مدينتهم ، انهم دفعوا بلدوين معهم فى كل عمل ولكنه اهمل قراراتهم بصورة مفاجأة فاستشاطوا غضبا ضده وندموا كثيرا لانهم عينوا بلدوين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) .

وهكذا لم يلبث ان تآمر اهل الرها مع بعض امراء الاتراك المجاورين ، لقتل بلدوين على غرة ، او على الاقل طرده من مدينتهم — (١١٠) . ولكن المؤامرة كشفت وتغلب عليها بلدوين بوسائله العنيفة المعروفة عنه (١١١) ، فقبض على المتآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف فى الدولة البيزنطية بسمل اعينهم وقطع انوفهم وايديهم واقدامهم (١١٢) . اما الذين اشتبه فى امرهم فقد طردهم من المدينة، وصادر ممتلكاتهم ، فى حين عاقب من سمح لهم بالبقاء فى الرها ، بمصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على اموالهم (١١٣) .

وهكذا يبدو ان بلدوين استفاد من تلك الحركة باثراء خزانته واشباع

---

(١٠٧) Zoé : Ibid., p. 141.
(١٠٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.
(١٠٩) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., T. 4, p. 442.
(١١٠) Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306.
(١١١) Grousset : L'Empire, p. 297.
(١١٢) Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141.
(١١٣) Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306.

اتباعه من الصليبيين عن طريق المصادرات التى شملت كميات كبيرة من الذهب تقدر بحوالى عشرين الف قطعـة (١١٤) . هـذا الى جانب الأموال التى طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتى تراوحت بين عشرين او ثلاثين الف بيزانت وستين الف للفرد الواحـد (١١٥) .

ويجـدر بالذكر أن بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية التى واجهته بطرق مختلفة اشرنا الى بعضها ، منهـا صـداق زوجته والمصادرات والفديات ، هـذا الى جانب الأموال المكتنزة فى قلعة الرها والتى كان الكثير منها قـد سك من أيام البيزنطيين والتى كان ثوروس قـد اضـاف اليها الكثير (١١٦) .

ومهما يكن من امر ، فان بلدوين بعـد تغلبه على المؤامرة السـابقة اصبح يشعر بأنه سيد هنليم يمتلك امارة واسـعة الأطراف . استطاع ان يقبض على زمام امورها الداخلية ، مما جعله يحس بأنه يقف على أرض صلبه . وهـذا كله حمله يوجـه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان ان وجـه بلدوين اولى ضرباته ضـد الأتراك سميساط (١١٧) الذين بداوا بمعاداته وهو فى طريقه الى الرهـا عند استدعاء ثوروس له ولو انهم لم يصيبوه هو وجماعته بأى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدا بلدوين رحلتـه الاولى الى الرهـا ، سـمع الاتراك المقيمين فى مدينـة سميساط المنيعة الخبر فاسرعوا الى اقامة كمين له فى الطريق الذى تصوروا انه سيسير عبره . لكن احـد الارمن استضافه وجماعته ، فاختفى فى ذلك المكان حوالى يومين ، حتى مرت الأزمة بسلام (١١٨) .

وما أن تم تبنى ثوروس لبلدوين ــ كما رأينا ــ واصبح الأخير شريكا للاول فى حكم الرهـا ، حتى طلب منه ثوروس أن يحمى المدينـة من اتراك

---

(١١٤) Alberti : Ibid., p. 442. William : Ibid., p. 306.

(١١٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١١٦) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208.

(١١٧) مدينة على شـاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الارمن (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٥٨) .

(١١٨) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

سميساط وعلى راسهم الامير بلك بن الدانشمند (١١٩) . يوصفه اشد الاعداء قربا وعنادا وخطرا على الرهـا (١٢٠) .

كـان بلك وفقا لما ذكره وليم الصـوري والبرت محاربا شجاعا ، ماكرا شريرا ، سبب لأهالى الرهـا مضايقات عـديدة عن طريق فرض الاتاوات على حقولهم وارهاقهم بالخـدمات ، والاحتفاظ بابنائهم ليكونوا بمثابة رهائن لديه (١٢١) لذلك توسل اهل الرهـا باميرهم بلدوين لكى يحميهم من طغيان بلك حـاكم سميسـاط (١٢٢) . الأمر الـذى جعل بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) على راس حملة ضـد سميساط مصطحبا معـه فرسـانه الفرنج وجموع من أهل الرهـا انفسهم ، فضلا من المسـاعدات التى حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) . وبهـذا الجيش الكبير سـار بلدوين نحو سميسـاط حتى قارب اسوارها ونهب رجالـه ضواحيها فى الوقت الـذى كان الاتراك واثقين من قوة تحصينات المدينـة ولذا قاوموا بشـدة (١٢٤) . ومـع ان كفة بلدوين وأتباعه كانت راجحة فى البداية ، الا ان انصرافهم الى الغنائم لاقتسـامها بينهم (١٢٥) . اتـاحت فرصـة للعدو فهاجمهم ثلثمائـة فارس تركى وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فولوا الادبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك الغزوة حوالى الفا او الفين من الرجـال (١٢٧) . من بينهم سـتة من

---

(١١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 55, 61.

(١٢٠) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢١) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٢) William : Ibid., V. 1, p. 192.

(١٢٣) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher), Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٥) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 55.

(١٢٦) Mattieu : Op. Cit., pp. 36 - 37.

(١٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢

فرسان بلدوين الاشداء ، لذلك ساد الحزن العميق وانتشر العويل في كافة انحاء الامارة (١٢٨) .

ولما راى بلدوين انه يصعب التغلب على حامية سميساط عاد الى الرها بعد أن ترك حامية في حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعى أمامى يحول دون تهديد اتراك سميساط للرها . ويبدو أن هذا الاجراء خفف عن الرها فعلا ضغط الاتراك مما حقق لبلدوين قسطا من الشعبية والثقة داخل الرها ذاتها (١٢٩) .

وقد سبق ان راينا كيف أنه بعد حملة سميساط السابقة الذكر دبرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان ان اخذ بلدوين بعد انفرادهه بحكم الرها يعد من جديد للاستيلاء على سميساط الأمر الذى افزع بلك ، وكان ان ارسل بعثة الى بلدوين يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصورى ان بلدوين وافق بعد تفكير وروية على ذلك العرض ، اذ وجد انه من الصعب اخذ سميساط بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . اما (البرت) فيقول ان بلدوين لم يستجب اولا لعرض بلك ، لانه كان يعتقد ان الاخير استولى على سميساط من المسيحيين دون وجه حق . وما ان احس بلك بنوايا بلدوين وجفوته ، حتى عقد العزم على احراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من اهل الرها ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلدوين على العرض المقدم اليه من بلك (١٣٢) .

ولم يعجز بلدوين عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سميساط اذ كان في الخزائن التى تركها ثوروس كثير من الأموال المكدسة (١٣٣) .

---

(١٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 354.

(١٢٩) Alberti : Ibid., p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 (Albert - Mattieu). عن

(١٣٠) Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4. p. 355, Runciman : Op. Cit., V. 1. 1, p. 208 عن (Albert).

(١٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٣٢) Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355.

(١٣٣) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصورى) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفقة واستولى بلدوين على سميساط واصبح بلك منذ ذلك اليوم تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجد فى قلعتها رهائن عديدين كان بلك قد اخذهم من الرها ، فردهم بلدوين الى ذويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة فى الرها (١٣٦) .

ومع ذلك فان بلدوين كان يتشكك فى اخلاص بلك له وهو الأمر الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية فى حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته فهى ضم مدينة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات اهمية تجارية كبيرة ، بسبب ضاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قدوم الصليبيين هو الأمير التركى نور الدولة بلك بن بهرام الأرتقى (١٣٩) . وبلك هذا هو الذى سماه كل من البرت ووليم الصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين فى الرها حتى بدا بلك الأرتقى يشعر بقلق زائد حيث كان تأسيس امارة الرها الصليبية يمثل كارثة حقيقية لأقاربه من

---

(١٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer : Op. Cit. p. 62. عن (Albert.)

(١٣٥) Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194.

(١٣٦) William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على مثل صلح الرها فى ايام الخليفة عمر (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٢١٦) وكانت تقع الى الجنوب الغربى من الرها . (Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

(١٣٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869.

(١٣٩) Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - Mattieu) Runciman : Op. Cit.. V. 1, p. 209. عن (Albert)

(١٤٠) Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194, 306.

بنى ارتق ، الذين كانوا منذ فقدوا فلسطين يعملون على جعل الرهـا مركزا لممتلكاتهم فى الشمال . لذلك حـاول بلك فى بادىء الأمر الدخول فى علاقات ودية مـع بلدوين (١٤١) . ويقال أن بلك حاول من وراء ذلك ان يستعين ببلدوين والفرنـج لتحقيق مصـالحه الخاصـة وظن ان ـ بلدوين لا يعـدو احـد المغامرين (١٤٢) .

وفى مكان آخر يفكر وليم ان الأمير (بالاس) كان يضـايق باستمرار مدينـة الرهـا، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليـه الأهالى أن يجمع جيشـا ويتحرك ضـدها . ولكنه عندما توجـه اليها وحاصرهـا وبدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الأمان فى مقابل تسليم المدينـة (١٤٣) . وما أن سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم يفكر اطـلاق فى تركهـا تحت حكم بلك (١٤٤) . لذا فرض ضريبة على اهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية ارمينية تحت قيادة احـد الرجال الـذين تولوا المفاوضـات بينـه وبين بلك (١٤٥) هو فولشـر دى شـارتر (١٤٦) وهو غير سميه قسيس حملة بلدوين الـذى كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذى يعتبر أحـد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . وانمـا كـان فولشر هـذا رجلا لـه تجـارب كثيرة فى الحرب (١٤٧) وكـان « فارسـا ذو شجاعـة عظيمـة وذو سلوك

---

(١٤١) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., p.306 .

(١٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 62 عن (Albert)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٦ من البرت ايضـا .

(١٤٣) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194 - 195.

(١٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63.

(١٤٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 195.

(١٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4, p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869
عن (L'Anonyme)
المصـدر الأخير يسميه
Putshir اما متى الرهاوى فيسميه — Foucher de Chartres
فى حين يسميه وليم الصورى Folkert - Fulcher اما البرت فمره يقول Folbertus Carnotensis واخرى Folkerum Carnotensis

(١٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 308.

حميد ، (١٤٨) ترك بلدوين فولشر فى قلعة سروج مـــع مائه من أمهر الجنود المتمرســـين علـــى القتـــال (١٤٩) ، ومجهزين تجهيزا جيـــدا للتحرك (١٥٠) . وكان لفتح سروج فى ذلك الوقت اهمية كبيرة بالنسبة الرهـــا لأنه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين انطاكية (١٥١) .

ويبدو ان بلك لم يحافظ على علاقاته الودية مـــع بلدوين ، مما ادى الى فقـــد الأخير ثقتـــه فى الأتراك وادى بالتـــالى الى تخلصـــه من بلك الدانشمندى حـــاكم سميساط الســـابق ـــ كما سنرى ـ والذى كان حتى ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت ورليم الصورى فى بيـــان اسباب ذلك فيقولا انه عندما لاحظ (بالاس) ان عاطفة بلدوين تجاهه فترت دفعته مشـــاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منـــه ان يحضر شخصيا لتسلم القلعـــة الوحيـــدة التى بقيت فى يديـــه وانـــه سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته واولاده رهينـــة الى الرهـــا وتظاهر بأنه فى خوف عظيم من الأهالى لأنه اصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣). ويذكر البرت « أن الغرض الحقيقى الـــذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليـــه لتسليم القلعة توجه بلدوين مـــع مائتين من فرســـانه الى المكان حيث كان بلك قـــد سبقه وتوى دفاعها بأن وضـــع بها مائـــة فارس مسلحين تســـليحا رائعـــا . اختفت تلك القوة عنـــد وصول بلدوين . عندئـــذ طلب بلك من بلدوين الا يدخـــل الا بقوة صغيرة فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتموا رائحـــة الخيانة منعوه بالقوة من الدخول (١٥٦) . وتقرر ان يدخـــل المكـــان اثنا عشر فارســـا على ان يبقى بلدوين وبقية قوته عن قرب لمشـــاهدة ما يحـــدث . وما ان

---

(١٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(١٤٩) Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446.
(١٥٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 308.
(١٥١) William : Ibid., p. 195.
(١٥٢) Alberti : Op. Cit,, Liber III, T. 4, p. 355.
(١٥٣) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443 - 444, Williad : Op. Cit., V. 1, p.p. 306 - 307.
(١٥٤) Alberti : Ibid., p. 444.
(١٥٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 307.
(١٥٦) Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : Ibid., p. 307.

دخـل فرسـان بلدوين حتى وقعوا فى الكمين التركى المدبر لهم . عندئذ اقترب بلدوين من المكـان وحاول أن يذكر بلك بلليمين الذى تعهـد به وطلب منه اعادة فرسـانه لكنه « رفض أن يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابـة على طلبه هو الأخر واقسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرسـانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصـانة القلعة وانه من الصعب الاستيلاء عليها عـاد الى الرهـا وهو فى شـدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تضـايق فولشر حاكم قلعة سروج ـ أيضـا مما حـدث وصمم على الانتقـام من بلك ورجاله عن طريق الخديعـة . فوضـع كمينا بالقرب من القلعة ثم تقـدم مع بعض حرسـه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطعان ماشية هنا تتبعته حامية بلك ، فتظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انقض رجاله على الأتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الأخر واسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعـد فترة تبادل فولشر هؤلاء الستة بستة من رجالهم المأسورين لدى (بالاس) ثم استطاع اربعـة آخرون الهرب من قبضـة الأتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١). ومنذ ذلك الوقت فصـاعدا كره بلدوين الأتراك بشدة واسقط تحالفاته معهم (١٦٢) .

ولمـا كان اهالى سروج واثقين من ان بلدوين سيعود اليهم من جـديد للانتقـام من (بالاس) (١٦٣) . لذا ارسـلوا الى بلك الـدانشمندى الموجود فى الرهـا والى بعض القوى التركيـة القريبـة يطلبون منهم

---

(١٥٧) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., V. 1, p. 307.

(١٥٨) Alberti : Ibid., p. 445.

(١٥٩) Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307

(١٦٠) Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308.

(١٦١) Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. هنا يضيف البرت أن الأثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ، Piscello اجمل وانبل جند — Wizan

(١٦٢) Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308.

(١٦٣) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356.

الحضور لاستلام المدينة . وهنا يبدو ان بلك طمع فى الاستيلاء على سروج ، عسى أن يكون فى ذلك تعويضا عما لحقه من خسارة بضياع سميساط من يده ، ولذلك اخذ يستعد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤).

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الآخر بقوة كبيرة للتوجه الى سروج وما ان علم آهالى سروج بذلك حتى انتابهم الذعر وارسلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينة فى سلام مع تعهدهم بدفع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تملك بلك الخوف الشديد فقصد بلدوين ليعلن له أنه انما كان يقصد سروج ليخضعها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير ان يسلمه زوجته واطفاله رهائن . ولما ماطل بلك فى ذلك قبض عليه بلدوين وقطع رأسه (١٦٧) سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سميساط وسروج الى الرها وبذلك « استطاع بلدوين ان يجعل من الرها ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سميساط وسروج » (١٦٩) .

وفى سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهى مركز استراتجى هام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

---

(١٦٤) Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 62.

(١٦٥) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63. عن (Alberti)

(١٦٦) Alberti : Ibid., p. 356, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210, Grousset · Hist. des Crois. V. 1, p. 63,
(رنسيمان وجروسيه عن البرت)
ويفسر جروسيه ذلك بقوله « اسرع بلك الى الرها ورمى بنفسه على اقدام بلدوين متوسلا اليه بانه لم يات الى سروج الا لكى يمث الأهالى على تسليم المكان » .

(١٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

(١٦٨) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445.

(١٦٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

الى عينتاب (١٧٠) • وبعد أن استولى بلدوين على المدينة تركها فى يد أحد الرؤساء الارمن المحليين واسمه ابو الغريب (١٧١) •

وهكذا نمت امارة الرها نموا واسعا على عهد بلدوين البولونى حتى اشتملت على « كل الاقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) •

وبعد ان اكمل بلدوين البولونى تحقيق امنيته (الخاصة) واقام امارة لاتينية لا يشاركه أحد فى حكمها • • وبعد أن ضمن لامارته قدرا من الاستقرار الداخلى والخارجى • بدا يفكر فى زيارة بيت المقدس هو والأمير بوهيموند أمير انطاكية (١٧٣) حيث انهما حتى ذلك الوقت « لم يريا تلك المدينة التى خرجا من الغرب من اجلها(١٧٤) » وهنا يحرص فولشر المؤرخ اللاتينى المعاصر ــ وقسيس حملة بلدوين الخاص ــ على الدفاع عن بلدوين وتبرير عدم مصاحبته للجيش الصليبى الكبير فى زحفه على بيت المقدس ، فيقول ان بلدوين كان مشغولا فى ذلك الدور بتأمين الجناح الشرقى للصليبيين ضد الأتراك على جبهة الفرات • ويشارك فولشر فى هذا الراى المؤرخ وليم الصورى(١٧٥) • ومهما يكن من أمر فقد قام بلدوين وبوهيموند أمير انطاكية بتلك الرحلة وصادفا فيها كثيرا من المتاعب والأخطار التى يفصلها فولشر(١٧٦) • وسنتعرض لتلك الزيارة بالتفصيل فى باب العلاقات الخارجية مع مملكة بيت المقدس •

---

(١٧٠) (Ray Colonies Franques), L'Empire, p. 204, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٦ • عن (Grousset)

(١٧١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64.

(١٧٢) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

(١٧٣) Gesta Tancredi in Expedione ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 704.

(١٧٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261.

(١٧٥) Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بـدات تلك الرحلة ــ كما ذكر فولشر ص ٣٦٥ فى نوفمبر سنة ١٠٩٩م Fulcherii : Ibid., p. 364 - 366 وانتهت فى مارس ١١٠٠م كما حددتها الجستا Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكفى أن نشير الآن الى أن بلدوين وبوهيموند استقبلا فى بيت المقدس من جودفرى ورجال الدين والأهالى استقبالا طيبا وزاروا الأماكن المقدسة وراوا باعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه فى الماضى عن طريق الأخبار والتعليم فقط(١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين الى الرها خضعت له ملطية . والمعروف ان ملطية كانت احدى المدن الرئيسية للارمن فى ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الأطراف الشمالية للامارة ، وكانت تحت حكم الامير جبريل » (١٧٩) والراجح أن ملطية سلمت تحت ضغط الظروف الى بلدوين ، ذلك ان جبريل قصد بوهيموند فى انطاكية فى شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعلن خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله أحاطت به كمائن التركمان من بنى دانشمند واسروه(١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية أن بوهيموند ارسل الى بلدوين طالبا نجدته ولكى يتاكد بلدوين من أن الأمر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على ان يرسل خصلة من شعره الذهبى الى بلدوين مع الرسول الأرمنى(١٨١) .

وهنا اظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا أسيرهم بوهيموند وفروا بسرعة(١٨٢)

---

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١٧٨) William Ibid. V. 1, p. 421.

(١٧٩) R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia).
وتسمى ملطية هنا

(١٨٠) Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519, Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, pp. 551-552, Balduni III ; Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.) T. 5, Part 1, p. 177.
اما جروسيه فينقل لنا راى المؤلف السورى المجهول عن سبب توجه بوهيموند الى ملطية فيقول « ان بوهيموند كان متوجها الى ملطية ليتزوج مورفيا ابنة جبريل التى قدم والدها يدها اليه لكنه اسر »
عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٨١) Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

(١٨٢) Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanac ... Hist. Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعـــة نكسار(١٨٣) قرب البحر الاســـود(١٨٤) .

وعندما يئس بلدوين من اطلاق سراح بوهيموند ، عاد الى ملطية(١٨٥) ليستولى عليها بالاتفـاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكدته المصـــادر اللاتينيـــة(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيموند ببلدوين وهو الرأى الارجح او ان بلدوين هو الذى توجه بنفسه لنجدته ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة ام اخضعت له تلقائيـــا فقـــد ظل جبريل حاكما عليها وتابعا لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرهـــا بعد ذلك ، حتى وافاه الحظ مرة اخرى ليصبح الرجـــل الأول بين أمراء الصليبيين فى بلاد الشـــام . وذلك انه حـــدث فى شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (٤٩٤هـ) بعد عودة بلدوين الى الرها ان وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، أعلن له موت جودفرى فى الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطالبه بالحضور فورا ليحل محل اخيه فى حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح ان انتخاب بلدوين خلفا لأخيـــه الشقيق أثار خلافا عظيما واشعل نـــار الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسالة لم تكن من السهولة بمكان ما ذكره وليم الصـــورى من أن عرش بيت المقـــدس ظل خاليـــا

---

(١٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

(١٨٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٢

(١٨٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. Occid., T. 3, p. 519.

(١٨٦) Fulcherii Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525, Secundi Pars : Historiae... Hist. Occid., T. 3, p. 552. Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap.. LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(١٨٧) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae... Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85 - 86, Zoé : Op. Cit., p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

(١٨٨) Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706.

حوالى ثلاثة اشـــهر حتى استدعى بلدوين ليـــخلف اخـــاه فى العنـــاية بشئون المملكة(١٨٩) .

والواقع ان دايمبرت ، بطريرك القـــدس كان يطمع حتى فى حيـــاة جودفرى فى اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصـــل الضيق بجودفرى فى احـــدى المـــرات الى القـــول بان دايمبرت « كان اكثر ازعـــاجا له من المسلمين » ، بل لقـــد وعـــد بالتخلى عن حكم بيت المقـــدس للبطريرك اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها فى الأهمية مثل القاهرة او دمشق(١٩٠). بل وقيـــل أن جودفرى أوصى قبل وفاته بأن يخلفـــه البطرق دايمبرت فى حكم بيت المقـــدس ، وذلك فى حـــالة عـــدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى نفسه(١٩١) . ومن الواضح ان تنفيذ هـــذه الوصية كان يعنى تحـــويل حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على أن قيـــام حكومة ثيوقراطية فى بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظاما ملكيـــا وراثيـــا ، كان أمر صعب التحقيق . ذلك أن المدة القصيرة التى تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقـــدس كانت كافيـــة لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية فى بيت المقدس . هذا فضلا عن أن ارنولف مالكورن ـــ البطريرق السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايمبرت ـــ كان له انصـــاره من رجـــال الدين وهؤلاء شـــايعوا فكرة قيـــام ملكية علمانية وراثية فى بيت المقدس ، لا لشىء سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف فى وجه اطماعـــه وآمـــاله(١٩٢) .

ولم يلبث ان تكون حزب معارض للبطريرك دايمبرت « وامتلكوا برج داود واعلنوا انـــهم لا يعترفون بسيد عليـــهم الا اخ او قريب لســـيدهم الراحـــل »(١٩٣) . وكان من الطبيعى أن يتجه رفاق جودفرى واتبـــاعه تلقائيـــا الى بلدوين فقـــد بدا لهؤلاء الذين خدموا تحت زعـــامة جودفرى انه ليس من الامانة والشرف أن يعترفوا بسيد آخر(١٩٤) .

---

(١٨٩) William : Op. Cit. V. 1, p. 415.

(١٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 179.

(١٩١) سعيد عاشـــور : الحركة الصـــليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن وليم الصـــورى .

(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن (Albert)

(١٩٣) Zoé : Op. Cit., p. 180.

(١٩٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526.
William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180.
وسوف نذكر فى الملاحق نص الرسالة اشفوية التى حملها اتباع جودفرى لأخيه بلدوين .

وعندما احس دايمبرت بالمعارضـــة الشـــديدة ضده فكر فى ان يجعل الحكم لتنكريد ابن اخت بوهيموند ولكن هـذا الراى صـــادف معـارضة شديدة من ارنولف(١٩٥) وعندئذ لم يجد دايمبرت وسيلة سوى أن يرسل الى بوهيموند فى انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس(١٩٦). لكن خطاب دايمبرت الى بوهيموند لم يصـــل اليـــه فقد احتجزه أتبـــاع ريموند الصنجيل قرب طرابلس ، وفى نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا فى قبضة بنى داشمند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق أن اشرنـــا(١٩٧) .

وهكذا تبدد آخر امل امـــام دايمبرت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين فى ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى ديار بكر وما بين النهرين(١٩٨) . والواقع أنه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من اجـــل امـــارته فقط حتى انه هجر القضية الصليبية من اجلها ،لكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقـــدس فـــانه لم يتردد أبدا فى ترك الامـــارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا(١٩٩) .

وكان ان رتب بلدوين أمور الرها ، وأثقل كاهل اهلها بكافـــة انواع الضرائب كما اغتصب منـــهم امـــوالا كثيرة ليســـتعين بهـــا فى نفقـــات سفره (٢٠٠).ثم اتخذ اهبته واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة فى رعاية احد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها فى ٢ أكتوبر سنة ١١٠٠م(٢٠٣) مصطحبا معه

---

(١٩٥) Charles — Joseph Hefele : Histoire de Conciles. T.V, Part 1, p. 484. (Albert) من

(١٩٦) Zoé : Op. Cit., p. 181.

(١٩٧) Zoé : Ibid., p.p. 182 - 183.

(١٩٨) Grousset : L'Epopée, p. 59.

(١٩٩) Grousset : Ibid., p. 59.

(٢٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 52. Setton : Op. Cit. V. 1, p. 381.

(٢٠١) Mattieu ; Ibid., p. 52, William : Op. Cit. V. 1, p. 422, Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII ... Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(٢٠٢) Gesta Francorum ; Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 543, William : Ibid.. V. 1, p. 422.

(٢٠٣) عن William : Ibid. p. 421, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 (Foulcher). Grousset : L'Epopée, p. 60.

مائتين من الفرسان وسبعمائة من المشاه(٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الأميرة الأرمنية(٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوفا بالمخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتى فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت المقدس . « لكنه كان يتصف دائما بالحذر فاستطاع ان يعبر البلاد دون أن يؤسر أو يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكيـة ثم اللاذقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، فخر الملك بن عمار (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وابلغه عن كمين وضعه المسلمون فى طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع ان يتحاشى تلك العقبة(٢٠٨).

اخيرا وصل بلدوين الى القدس فى ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م(٢٠٩)، بعد عدة مصاعب فى الطريق والاشتباكات مع القوات الاسلامية(٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالى مدى الصعاب التى تجشمها « وكان أن خرج رجال الدين والناس بالقدس لاستقباله ومعهم الأناجيل وهم ينشدون التراتيل والأناشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه فى حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايمبرت عندئذ ؟ والواقع ان (اولدنبرج) يشير الى ان الحماسة الجارفة التى قوبل بها بلدوين جعلت دايمبرت يلوذ

---

(٢٠٤) Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher)

فى حين يذكر وليم الصورى أن المشاه كانوا ثمانمائة
(William : Op. Cit., V. I, p. 421)

أما البرت فيذكر أن عدد الفرسان كان أربعمائة وعدد المشاه كان الفا .
(Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

(٢٠٥) Zoé : Op. Cit., p. 183.
Zoé : Ibid., p. 183.

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٧٩

(٢٠٨) Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520,
Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٢٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٢١٠) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ — ١٣٩
William : Op. Cit., V. 1, p. 422. Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية جـ ٦ ص ٤٠
William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة فى جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد وليم الصورى ذلك بقوله « ان دايمبرت الذى توقع شرا من مجىء بلدوين انسحب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كافة الخلافات ، وبذلك لم يحضر احتفالات استقبال الأمير بلدوين ليشارك فى تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الأهالى(٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارسل الى البابا متهما البطريرك دايمبرت بالقتل وبانه حنث فى يمينه ، لأنه حرض الأمير بوهيموند على قتله عندما كان فى طريقه من الرها الى القدس ، لذا ارسل البابا مندوبا عنه هو الكردينال موريس دى بورتو فاوقف البطريرك حتى يبت فى امره(٢١٤) .

على انه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريرك وبلدوين(٢١٥) وكان ذلك عن طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء . مما ادى الى تتويج بلدوين ملكا على بيت المقدس فى كنيسة العذراء ببيت لحم فى ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م(٢١٦) وبيد دايمبرت نفسه(٢١٧) .

---

(٢١٢) Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185.

(٢١٣) William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426.

(٢١٤) Aeblrti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 484

(٢١٥) Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484.

(٢١٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Bréhier : l'Eglise..., p. 86, عن (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1, p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 326 عن (Fuacher) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٧ عن (Stevenson)

(٢١٧) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, Part 1, p: 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.

ويبدو ان العلاقات الطيبة لم تستمر طويلا بين دايمبرت وبلدوين فقد ذكر البرت انه فى سنة ١١٠٢م ارسل (البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ — ١١١٨م) مندوبا عنه مرة أخرى الى بيت المقدس هو الأسقف موريس ، للبت فى أمرد ايمبرت ولتصحيح الأمور الخاصة بالكنيسة الشرقية . ويظهر من كلام البرت ان الخلاف بين بلدوين والبطريرك فى هذه المرة كان بسبب ما يخفيه البطريرك من نقود تحت الأرض . وانتهى الأمر بتنحيه دايمبرت من جديد عن منصبه

(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك فى ان تتويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا فى تاريخ الصليبيين بالشام لان اخاه جود فرى لم يتوج ولم يحمل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولانه فى ذلك المكان « لبس عيسى المسيح تاجا من الاشواك » ولكن قدر لبلدوين دى بوايون أن يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب فى بيت المقدس (٢٢٠) .

امارة بلدوين دى بورج على الرها : ١١٠٠ - ١١١٨م (٢٢١) (٤٩٤ - ٥١٢هـ) .

اما من امارة الرها بعد ان وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بوايون .

والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عند حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان «رجلا جديرا بالتقدير فى كل علاقاته» نعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشاط عظيم ، جعلت الاعداء المحيطين به ينظرون اليه نظرة احترام ورهبة (٢٢٢) » . فاذا اردنا ان نقارن بين الاميرين الأولين للرها نجد أن دماثة خلق الثانى بالمقارنة بشراسة الاول مكنت بلدوين دى بورج من ان يستحوذ على مشاعر الأرمن الودية (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان امير الرها السابق مكروها من الارمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طاغية فظا جشعا ، اما بلدوين دى بورج فقد استحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الذى يقول : « كان هذا الأمير احد الفرنج المشهورين بمكانتهم العالية ، كما كان محاربا قديرا ، عفيف النفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئة ، يفيض رقة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شاب هذه الصفات الطيبة جشعة ، فهو ماهر فى الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

---

(٢١٨) Bréhier : L'Eglise... p. 86 من (Hagenmeyer).

(٢١٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist: Occid. T. 4, p. 526.

(٢٢٠) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Fracos, (R.H.C.) Hist., Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.

(٢٢١) G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3.

(٢٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٣) Grosset : L'Empire, p. 298.

(٢٢٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

نتيجة شراهته فى المال فضلا من بخله وامساكه . أما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جدا محافظا فى سلوكه وطباعه » (٢٢٥) .

وكانت اولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذى كانت غالبيته من الارمن ، هو الزواج من الأميرة الارمينية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتى سبق أن ذكرنا أن والدها كان قد توجه لطلب النجدة من بلدوين ضد الاتراك الذين أسروا بوهيموند وهو فى طريقه لنجدته وللزواج من ابنته هذه .

وكانت هذه فرصة امام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن ان يتزوج من ابنة جبريل ، حيث انه لم يكن له زوجة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين صداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح أن جبريل كان يمتلك ثروة خرافية لأن ابنته حملت هدية زواج بلغت ...ر٥٠ بيزانت ذهبيا ، بل انه ساعد بلدوين فى عدة مناسبات بعد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد افادت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقة فعالة . ومن ناحية اخرى ، فانه على الرغم من انه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعة الا انه كان الزواج الوحيد الذى شارك فى شعائره الأمراء الاقطاعيون وقوبل بسرور كبير ، فضلا عن ان بلدوين يعتبر مثاليا بين الأزواج (٢٣٠) . بل ان بلدوين فى زواجه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركية الأرمينية ، باسيل الأول الذى قدم سنة ١١٠٣م (٤٩٧هـ) . من آنى (٢٣١) الى الرها ، فاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

---

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٦) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cohen : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٨) William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٢٩) William : Ibid., p. 450.

(٢٣٠) Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٣١) كانت آنى فى نظر الشاعر الأرمنى نيرسيس شنورهالى الذى رثى الرها بعد سقوطها هى (عاصمة المشرق)

Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,

أما الناشر دولوييه فيقول : (البيت رقم ٢٧٦) Op. Cit., p. 236 =

وقـدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا » (٢٣٢).

والواقـع أن قدوم هـذا الخبر من آنى ذات الاهمية الدينية الكبير لدى الأرمن يشهد باهمية تلك الزيجة . هـذا فضلا عن اهمية مركز كل من جبريل وبلدوين دى بورج فى نظر الارمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هى احـدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التى اكدت الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلـدوين ان يثبت اولى دعائم حكمـة فى الرهـا .

امـا عن مـدى انتفـاع جبريل من تلك الزيجـة فان بلدوين استطاع ان يحميـه من العـديد من هجمات بنى دانشمند ، وان لم يستطـع ان يمنـع سقوط ملطية فى ايديهم سنة ١١٠٣م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التاليـة لتدعيم حكم بلدوين دى بورج الداخلى فى الرهـا وهى انه اختـار مسـاعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) أو بعدها بقليل (٢٣٥) . ولـما كان جوسلين « لا يملك مـالا ولا اى مصـدر آخر من مصـادر الثروة فقـد افـدق عليه بلدوين ١١٠٢م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة العيش . وشـملت تلك الهبـة قورس (٢٣٦) . ودلـوك (٢٣٧) .

---

* « كانت آنى من اشـهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهى تقع فى منطقة كماخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة فخمة وقد تعرضت للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥م والأتراك ١٠٦٤م والجيورجيون ١١٢٤م والمغول ١٢٣٩ . وفى ١٣١٩ قضى عليها نهائيا زلزال مـدمر حولهـا الى خرائب واطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70 - 71, Grousset : L'Empire, p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

(٢٣٣) Grousset : L'Empire, p. 185.

(٢٣٤) Grousset : Ibid., p. 298.

(٢٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصورى Gouris, Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126. وقورس كما ذكرهـا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤١٢ هى «مدينة ازليةبـها آثار قديمة وكورة من نوحاحى حلب».

(٢٣٧) بليدة من نواحى حلب ، بالعواصم (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٨ ص ٤٦١) وهى قديمـة لها ذكر ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة قيل أن مقـام دود عليـه السلام كان بها (ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ — ٣٠٧).

وعين تـاب (٢٣٨) . وقلعـة تل باشر المتراميـة الأطراف (٢٣٩) . والشديدةللخصوبة ورلوندان ومدنـا اخرى واحتفظ الأمير لنفسه بالاقليم الواقـع غربى الفرات لقريـة من ممتلكات العـدو واستبقى فقط احدى المـدن فى الجزيرة وهى سميساط » (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الأجزاء لجوسـلين لكى يستطيع أن يتفرغ كليـة لمتلكاته شرقى الفرات والى الجنوب من امارة كوغ باسيل ، ومن تل باشر استطاع جوسلين منـذ نهاية ١١٠٣م أن يقطـع طرق الاتصـال بين حلب والفرات ، بينمـا غزا بلدوين دى بورج الامتدادات الشرقيـة لنفس تلك الطرق حتى حـدود قلعـة جعبر والرقة ، وتتابعت غزواتـه حتى اقليم ماردين (٢٤١) .

هكذا اصبح جوسـلين دى كورتناى الرجل الثانى فى امارة الرهـا بعـد بلدوين دى بورج وشـاركه فى السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقـع ان جوسلين هـذا كان من أقوى الشخصيات الصليبية على الأطلاق لـذا كان سندا قويا لبلدوين دى بورج ولحكمه فى الرهـا .

ولم تلبث الأحـداث ان شدت بلدوين دى بورج الى سروج ، اذ حدث فى يناير ١١٠١م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . أن توجـه سقمان بن أرتق ــ عم بلك حاكم سروج السـابق الى سروج لما جهتها وكان بصحبة جمـع كبير من التركمان (٢٤٤) . وقـام بالعـديد من الغارات على كل الاقاليم المجاورة (٢٤٥) . فتوجـه بلدوين دى بورج لمحاربته مع فوشيه حاكم

---

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقطـاع تل باشر يمتد من الفرات الى حـدود انطاكيـة (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(٢٤٠) (R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٢٤١) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٤٢) سعيد عاشـور : الحركـة الصليبيـة حـ ١ ص ٤٣٩ (عن (Setton

(٢٤٣) Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 63.
العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م٣: ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلانسى:الذيل ص ١٣٨،ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٢٠٤

(٢٤٥) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

سروج (٢٤٦) . وبمؤازرة العديد من السكان الذين ضغط عليهم فوشيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصومهم واهمالهم ادى الى هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع فى كمين الا انه أفلت منه وهرب مسرعا الى الرها ومنها اسرع الى انطاكية لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والاتراك هزم فيها الفرنج(٢٥٠).واستطاع الأراتقة الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة التى التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتينى Benoit أو Babios الذى قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . أما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير من الأهالى فى حين وقع عدد كبير فى الأسر (٢٥٢) . لكن بلدوين ارسل الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالى خمسة وعشرين يوما وصل بلدوين ومعه ستمائة فارس وسبعمائة من المشاه (٢٥٤) ، وفجاة فى الفجر اشعلوا بعض المشاعل على اسنة الرماح وباغتوا المعسكر التركى ومن ناحية اخرى مساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين فهزم الأتراك وفروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيرا من اهالى سروج وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما (٢٥٦) ».
وكان ذلك فى أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع الفرنجى

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.
(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869 عن (L'Anonyme Syriaque).
(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (L'Anonyme)
(٢٥٠) ابن دقماق : نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١ تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53,
(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270 عن (L'Anonyme)
(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;
(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.
(٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.
(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث ٣٠١ — ٥٠٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ، ص ١٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ٥٤٠ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٨٩ .
(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٠ من (Mattieu)

يرجع هزيمة المسلمين الى قوة وبراعة بلدوين فان المصدر العربى يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمان فخمفت نفس سكمان وانهزم (٢٥٨) » . وبذلك استولى الفرنج على سروج بالسيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) .

وكان ان شجع هذا الانتصار بلدوين على القيام باغارات على المدن والاقاليم الاسلامية المجاورة التابعة للأراتقة ومن ذلك ما قام به فى سبتمبر واكتوبر سنة ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) من هجمات على الأراتقة حول ماردين فاسر منهم كثيرين وحمل قدرا كبيرا من الغنائم (٢٦٠) . ومن النواحى التى استولى عليها « تل موزن (٢٦١) . وتل قراد (٢٦٢) . فى شمال شرق شبختان بالقرب جدا من ماردين (٢٦٣) » .

وهكذا استطاع بلدوين دى بورج ان يقضى على الخطر الأرتقى فى سروج عن طريق الأمدادات التى زودته بها انطاكية . ولا شك ان هذه الخطوة شجعته على ان يخطو خطوة أكبر ضد حران الواقعة الى الجنوب الشرقى من الرها ، والتى كانت المدينة الكبرى الوحيدة القريبة من الرها ؛ التى لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكتمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمساعدة بلدوين دى بورج فى تدبير فدية

---

(٢٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ .

(٢٥٩) الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية، حـ ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٥٤م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على أن ضم سروج لامارة الرها كان فى ٤٩٤هـ — يناير ١١٠١م فان ابن ايبك يذكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ المظفرى ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٤٩٥هـ فيذكر انه كان ٤٩٥هـ . والراجح ان ذلك راجع الى الخطأ فى ضبط التواريخ او الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى) Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قديم بين رأس عين وسروج . فتحه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور فى بلاد الأرمن من نواحى شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(٢٦٣) Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

(٢٦٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871.

بوهيموند امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . أثره فى تعاون أميرى أنطاكية والرها فى هذا العمل .

اوضاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعة حران (١١٠٤م - ٤٩٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشىء من التفصيل يجدر بنا ان نعطى صورة واضحة عن الوضع فى الحقل الاسلامى المحيط بها بل والوضع الداخلى فيها والذى شجع الفرنج على التوجه اليها .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجة الحرب الأهلية بين السلطان السلجوقى باركياروق واخيه محمد . والتى امتدت منذ ٤٩٢هـ حتى ٤٩٧هـ (١٠٩٨م - يناير ١١٠٤م) . ففى سنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب للسلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ ١٠٩٩م دخل السلطان بركياروق بغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه محمد فبعث الى الخليفة العباسى بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف أن دب من جديد فى نفس السنة بين الأخوين فانهزم بركياروق واعيدت الخطبة لأخيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الأخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الأخوان من جديد فانهزم السلطان محمد ولكن عندما دخل بركياروق بغداد اساء السيرة فى أهلها ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه أخوه محمد ، فشكا اليه الخليفة العباسى من سوء سيرة أخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا ان رحل الى واسط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقاتل السلطان بركياروق والسلطان محمد وجرت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها

---

(٢٦٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212.

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة (ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابع عشر رجب (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين ٤٩٦هـ — ١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السلاطين ان تذكروا انــه يجب عليهم ان يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم بعد ان طمع العدو فى الأطراف لذلك بداوا التشاور لعقد الصلح فارسل السلطان بركياروق رسولين الى أخيه لتقرير قواعد الصلح « ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخرابه ، وطمع عدو الاسلام فى أطراف الأرض » . فأجابه الى الصلح واستقر الأمر بينهما فى ربيع الثانى ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢). لذا لم يكن لدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضد العدو المشترك (٢٧٣) .

وفى الجزيرة نفسها اثار موت اتابك الموصل كربوغا حربا أهلية ، فقد فشل سقمان الأرتقى امير ماردين فى الاحتفاظ بالحكم المرشح له مما اوقعه فى حالة حرب مع الاتابك الجديد جكرمش الذى اختير بواسطة محمد السلجوقى (٢٧٤) .

اما حران فقد كانت لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه ، فاناب عنه فى حكمها محمد الأصفهانى وهو الذى تخلص من قراجه بواسطة الأهالى الذين ظلمهم قراجه . ثم تخلص الأصفهنى من اصحاب قراجه فيما عدا غلام واحد يسمى جاولى ، الذى اتفق مع احد خدم الاصفهانى فقتله وهو سكران (٢٧٥) .

والواقع ان حران الى جانب ذلك الأضطراب السياسى فى حكمها ، كانت تعاني من اضطراب اقتصادي ايضا بسبب سياسة بلدوان

---

(٢٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل . ج ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثير : ج ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40 - 41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ، ص ٣٣ ، العيني : عقد الجمان ، جـ ١٥م ، ٣ ص ٥٦٨ (عن تاريخ بيبرس) .

دى بورج نفســه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاولة الزراعــة فى أراضيهم ، لاعتقاده انــه يستطيع أن يؤمن جزءا وفيرا من المؤن لمواطنيه من الأقليم الواقــع خلف الفرات ومن الأقليم الواقــع ايضا فى المنطقــة الوسطى بين الرهــا وذلك النهر ، ولذا وصل اهالى حران ــ الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليهــا من تلك الأرض المشتركة الى حالــة شــديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهز الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصــادى الذى كانت تعانيه حران ، وارادوا أن يستفيدوا من موقــع تلك المدينــة بوصفها مركزا اماميا فى اتجاه بغــداد يمكنهم من مواجهــة اية طعنة اسلامية (٢٧٧) .

وكان أن اجتمع من زعماء الصليبيين بلدوين دى بورج وبوهيموند امير انطاكية ومعــه ابن اخته تنكريد (٢٧٨) ، هــذا الى جانب جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر وتضــافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بــذلك جيشــا كبير العــدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مــع تلك الجيوش ثلاثــة من كبار رجال الدين هم برنارد دى فالنس Bernard de Valence — بطريرك انطاكية اللاتينى ، بندكت رئيس اســاقفة الــرها اللاتين هذا بالاضــافة الى دايمبرت بطريرك القدس الســابق الــذكر والذى كــان وقتذاك يعيش فى انطاكيــة منفيا لاجئا — والــذى تبــع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطــة الصليبيين تقضى بعبور الفرات وحصــار مدينــة حران (٢٨١) .

---

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميهما سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ بيمند وطنكره) اما ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٣٣ فيسميهما (سمند صــاحب انطاكية ونيكرى صــاحب السواحل ، اما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ فيقول (بيمنــد صــاحب انطاكية وتنكرى صــاحب الســواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX, T. 4, p.p. 614 - 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 403 - 404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V.1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403 عن (Alberti) Runciman : Op. Cit., V: 2, p. 42.

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William : Ibid. V. 1, p. 456

وفى ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصة. فاتفق الأمير معين الدولة سقمان بن ارتق القبطى أمير ماردين وحصن كيفا (٢٨٢) . مع شمس الدولة جكرمش امير الموصل وصاحب جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وانهوا خلافاتهما وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا الى الرها فى ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥).

وفى ذلك الوقت كانت حران كما اشرنا تعانى من محنة شديدة بسبب قلة الاقوات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهاوى مثالا واقعيا فى تاريخه (٢٨٧) ولما عرف الأهالى أن المسيحيين وصلوا الى مدينتهم ارسلوا الى أمراء الشرق يطلبون منهم مساعدة عاجلة ، فلما تاخرت عليهم هذه المساعدة ووجدوا انفسهم امام الصليبيين وجها لوجه قرروا تسليم مدينتهم بدلا من تعريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على ان بلدوين دى بورج لم يشأ ان يشغل قوات الصليبيين باقتسام الغنيمة قبل ان يطمئن الى القضاء على خطر الجيوش الاسلامية التى اقتربت

---

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ تحقيق بدوى عبد اللطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٥ ص ٣٣ بل ان ابن الاثير : الباهر ص ١٦ يذكر انه « كان صاحب حصن كيفا وآمد من ٤٩٥ ــ ٤٩٨هـ وقد توفى ٤٩٨هـ » . ويذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ص ٦٢٥ ان حصن كيفا ويقال كيبا وهى بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٢٨٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ا ق ا ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٢٨٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٢٨٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبى العبر ، حـ ٣ ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦ فيذكر أن سقمان التقى بالفرنج فى حران ومعه عشرة آلاف وربما جمع بذلك قواته وقوات جكرمش .

(٢٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p: 457.

(٢٨٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٨) Michel Le Syrien : Op. : Op. Cit., Cit., p. 195, William V. 1, p.p. 457 - 458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

منه لانقاذ حران (٢٨٩) . وكان ان دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حــول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقــاش حول ايهما يرفع علمــه اولا على المدينــة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالى . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالى وصــل جيش كبير من الاتراك حتى ان المســيحيين بداوا يشــكون حتى فى امكانيــة النجــاة بارواحهم (٢٩٢) » .

وفى المعركــة التى دارت بين الفريقين كان جيش الرهــا على اليســار ليشغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش انطاكية خلف تل منخفض على بعــد ميل من جهــة اليمين ، مستعدا للتدخل فى آخر وقت (٢٩٣) .

اما المسلمون فقــد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين احــدهما يشغل المسيحيين دون اى اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر او الهزيمة وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بامدادهم بالطعام (٢٩٤). وفى الحــال وبعــد طلوع النهــار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركــة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم فى الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبى .

ويقــال ان المسلمين خــدعوا خصومهم ، فتظاهروا بالفرار ، وامعن الصليبيون فى مطــاردتهم حتى وقعوا فى كمين (٢٩٦) . وهكــذا حلت هزيمة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهــاوى يقول ان جثث الأرمن

---

(٢٨٩) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michel)

(٢٩٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٢٩١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٢٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset : Hist des Crois., V. 1, p. 405.

(٢٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ؛ ص ٢٢١ Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p.43.

ودمـــاءهم غطت ســـطح الأرض فى حيـــن امتـــلأت ايـــدى التركمـــان بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك راى فى المصـــادر العربية يقول أن جيش بوهيموند وتنكريد لم يشتركا فى المعركـــة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصـــادر اللاتينية تشير الى غير ذلك وتؤكـــد ان الاتراك اســـتداروا نحو بوهيمونـــد وتنكريـــد واجلوهما (٢٩٩) .

ومهما يكن من امر فان المعســـكر الانطاكى لم يصب باى ضرر واخـــذ قائداه بوهيموند وتنكريد « رجالهمَا الشجعان واسرعوا للبحث عن ملجـــأ فى الرهـــا (٣٠٠) » . اما مصير قائـــدى المعسكر الرهوى فكما روى المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم مـــع جماعة من قمامصتهم وخاضـــوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجـــاء تركمـــانى من اصـــحاب سقمان فاخـــذهم وحمـــل بردويـــل الى خيم صاحبه (٣٠٢) » . اما المؤرخون اللاتين فثمة اشـــارة فى الجستا الى انه « لم يســـمح لاهل الرهـــا بالتطلـــع الى انفسهم او حاجياتهم واسر بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك اسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » . واشـــار (البـــرت) الى ذلك بقولـــه « هزم بلـــدوين واســـر واقتيـــد

---

(٢٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٩٩) Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710, Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid., T. 4, p. 615.

(٣٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠١) ذكر اسم بلدوين دى بورج فى المصـــادر الاسلامية بهـــذا الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خـــلدون : العبـــر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العـــينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٩ ، بل انه احيانا يذكر (بردويل) فقط كما فى : عقـــد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٦٣ واحيانا اخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ ص ٤٩٧ ؛ اما ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القميص) .

(٣٠٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ سوريـــة ، حـ ٦ ص ٤٥ Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

(٣٠٣) Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

بعيـــدا (٣٠٤) » . لكن لم يقتصر الأمر على أسر بلدوين وحـــده ، بل أسر معه أيضا جوسلين أعظم أتباعه ، واقتيد الاثنان أسيرين (٣٠٥) .

وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) فى تلك المعركة التى تعرف باسم موقعـــة حران او البليخ (٣٠٧) . ويمكننا أن نستشف مدى عظمتهـــا بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسى ووليم الصورى فيذكر الأول « كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله وبه قويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم فى نصرة الدين ومجـــاهدة الملحـــدين ، وتباشر الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم (٣٠٨) » . أما الثـــانى فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل أو بعـــد ذلك الحـــدث من معركـــة فادحة الخســـارة كهذه التى ترتب عليها مذبحـــة مروعـــة للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .

ونشعر بمدى وقـــع موقعـــة البليخ على الرهـــا نفسها من خـــلال تلك السطور التى كتبها متى الرهـــاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح والكآبة والدموع . اى منظر ذلك الذى حل بالرهـــا ؟ اننا لا نسمع فى كل مكان سوى التأوهات والصراخ والأنين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت لحزن شـــديد (٣١٠) » .

والواقـــع أن موقعة حران او البليخ سنة ٤٩٧هـ (٣١١) (١١٠٤م)

---

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616.

(٣٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Cahen : Op. Cit., p. 238, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ .

(٣٠٩) William : Op. Cit.. V. 1, p. 459.

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٣١١) بينما اجمعت معظم المصـــادر على أن تلك الموقعـــة حدثت ٤٩٧هـ — ١١٠٤م مثل ابن الأثير: الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احـــوات ٤٩٧هـ . هـــذا الى جـــانب
(Mattieu : Op. Cit. p.p. 71 - 73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459
فان ابن الأزرق الفارقى : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ ينفرد بالقول بانها كانت سنة ٤٩٩هـ . كذلك اذا كانت كل المصـــادر تقريبـــا تشير الى أن أسر

لم تترك اثرا واضحا فى حيـاة الرهـا السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حـدا جغرافيا او حـدا اقصى للتوسـع اللاتينى جهـة المشرق (٣١٢) . هـذا الى ما ترتب على هـذه الموقعة من فشـل خطة الصليبيين فى عزل المسلمين فى الأناضول والعراق والشـام بعضهم عن بعض (٣١٣) . اما من ناحيـة انطاكية فقـد شجعت الهزيمة التى حلت بالصـليبيين فى البليـخ كل من البيزنطيين والمسلمين فى حلب على غزوها (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدا يتكشف من جديد الخلاف بين قـادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قـد اسر كما راينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلمـا راى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مـال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل قـالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند النـاس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلمـا عـاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوثر شفاء غيظى بشماتة الأعـداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحـل سقمان واخـذ

= بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (بريبه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقـة على الفرات فى مايو ١١٠٤م . والراجح ان ذلك غير صحيح .
(Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٢)

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركـة الصـليبية ، حـ ١ ص ٤٤٥ . عن (Runciman)

(٣١٤) (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,
فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية
فى حين استولى رضوان حاكم حلب على الفوعة وسرمين ومعرة مصرين .
Grousset : L'Epopée, p. 80)
(Brehier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390,
(الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١

(٣١٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٠ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يانى حصون شبختان وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم أن اصحابهم نصروا فيقتلهم وياخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، فى حين اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها فى حالة حداد عام بعد أسر اميرها بلدوين دى بورج ووقوع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى واسرى (٣١٧) . اما من نجوا فقد فروا نحو اسوار الرها للدفاع من المدينة واقامة التحصينات ، قبل ان يصل الاتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان أن أسرع بوهيموند وتنكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للأهالى ووضعوا المدينة بسرعة فى وضع الدفاع (٣١٩) . اما اهالى الرها فقد حاولوا الخروج من ذلك المازق بسرعة وبحزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتنكريد حاكما جاء مشروطا بأن يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) . أما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢). اى أن الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا فى

---

(٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٣٩٣ . اما كاهين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المسيحية فى شبختان أولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها . Cahen : p. 238

(٣١٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣١٨) Alberti Aquensis : Historiae ...Liber IX..., T. 4, p. 616,

(٣١٩) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616.
Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3, p. 712,
Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit.
V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.

(٣٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٣٢٣) Zoé . Op. Cit, p. 235.

حين عـاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضـع ممتلكات جوسلين فى تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل امام الرهـا حتى صـار السهل الذى فى مواجهتها مكسوا بآلاف من خيـام الاتراك ولكن تنكريد الذى لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن يصمد ويستثير حماسـة الارمن ، ممـا جعـلهم يقومون بدور مرموق ، ذلك أن الأرمن فى الرهـا تكتلوا حول زعيمهم الفرنجى ليسـدوا الطريق امام الغزو التركى (٣٢٦) . وفى الوقت نفسـه ارسل تنكريد سرا الى انطاكيـة ليحـذر بوهيموند من ان الرهـا نفذ صبرها وانه بدون نجـدة سريعةفان العبء سيغدو ثقيلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند رغم حرج موقفه فى امارته امام غزوات حلب المتكررة ضـد انطاكيـة ، فاعد جيشـا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشـاه وسـار الى الرهـا لكنه لم يستطع ان يصـل اليها الا فى اليوم السـابع من الحصـار بعد ان اشتدت وطأة الهجمات التى شنها الاتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) . وعندما فقـد تنكريد الامل فى وصول معونة اليه ، وضـع خطـة فدائية مع فريق من اهل المدينـة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا فى فجر احـد الأيام وباغتوا الجنـد الاتراك الذين كانوا قـد اشتد بهم

---

(٣٢٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, Wiliam : Op. Cit., V. 1, p. 459.

ذلك لان جيرانها كانوا قد بداوا يستعدون لاحراز اى منفعة من وراء هزيمة الفرنج (Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 459.

(٣٢٦) Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Albert)

هنـا يذكر البرت أن تنكريد حصن المدينـة بحراسـة قوية وشـجع المواطنين ووعدهم بانه سيحارب اعدائه بشجاعة وبدون تأخير . وما أن ادرك المواطنين مواسـاته وانه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجمين وطردوهم .

(٣٢٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 408.

وسنذكر نص رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنـا يذكر البرت أن سقمان اشترك فى مهاجمة الرهـا مع جكرمش . والراجح أن هذا غير صحيح .

(٣٢٨) Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408.

التعب وقيل ان بعضهم كان فى حالة من السكر ، واخذوهم على غرة واعملوا فيهم السيف فى الوقت الذى وصل بوهيموند على رأس فرسان انطاكية ليتموا النصر (٣٢٩) . اما جكرمش فقد عاد الى الموصل عندئذ (٣٣٠) .

الرها تحت حكم تنكريد :

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكى ممثلا فى تنكريد . فماذا كان وضعها اثناء حكمه . الذىاستمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ — ٥٠٢هـ) ؟

ويبدو ان هذه الفترة كانت مظلمة فى تاريخ الرها بدليل ما يقول البرت عنه انه « دنس المدينة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع ان الحاكم الحقيقى للرها فى تلك الفترة ، والتى قاسى فيها الأهالى كثيرا كان ريتشارد دى سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) .
ذلك أن بوهيموند اضطر الى السفر الى ايطاليا فى اوخر ١١٠٤م — ٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الأمبراطور البيزنطى (٣٣٤) .

---

(٣٢٩) Grousset Ibid., p. 408, L'Epopée, p. 79, Cahen : p. 238.
(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٣ .
Grousset : Ibid., p. 409

(٣٣١) Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T .4, p. 616.
(٣٣٢) Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872.
وريتشارد هذا هو الذى أسره جيش بلدوين البولونى من جيش تنكريد فى معركة المصيصة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م
(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)
وأسر مرة اخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشمنديين سنة ١١٠٠م .
Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).
(٣٣٣) Mattieu : Ibid., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 416, Zoé : Op. Cit., p. 235.
اما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٩ فيذكران ذلك كان ٤٩٦هـ . وهو ماذكره الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١ . والراجح ان هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه حران التى شارك فيها بوهيموند .
(٣٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620, Matticu : Op. Cit., p. 73.

وعندما ابحر الى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) ». وترك حكم انطاكية والرها فى يد ابن اخته تنكريد (٣٣٦) فأودع تنكريد بدوره الرها فى يد ريتشارد دى برنسيبات(٣٣٧). لكن ريتشارد هذا أنزل كثير من الأضرار بأهالي الرهـا(٣٣٨) . ولم يتبع اسلوب بلدوين البولونى . وبلدوين دى بورج اللذين حكما قبله الرها (٣٣٩) . وبعبارة اخرى فان حكم ريتشارد فى الرها اتصف بالجشع والصلابة (٣٤٠) . وكانت تنقصه المقدرة ، لذا لم يستطع كبح طغيان وجشع اتباعه الفرنج ففقد بسرعة اخلاص اتباعه الأرمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب اذا وصفه المؤرخون بانه كان طماعا ، طاغية ، صادر مواطنى الرها المعروفين بثرائهم ، دون أن يعنى الا باثراء نفسه قبل ان يعود الأمير الشرعى للبلاد (٣٤٢) . ولذا تعرضت الرها فى ايامه للتهديد من جانب جكرمش (١١٠٥م) (٤٩٩هـ) . وقلج أرسلان (١١٠٦ — ١١٠٧م) (٥٠٠ — ٥٠١هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشارد للرها ١١٠٤ — ١١٠٨م تتصف بالضعف وتعرضها للخطر (٣٤٣) .

والواقع ان ذلك الوضع السيء الذى تعرضت له الرها طوال اربع سنوات لم يضع حدا سوى اطلاق سراح اميرها الشرعى بلدوين دى بورج .

وكان جوسلين هو اول من اطلق سراحه من الأسرى بسبب اخلاص رعاياه فى تل باشر « فقد ذهب بعض رجال من تل باشر وحددوا فدية جوسلين وبقواهم انفسهم فى السجن كرهائن وخرج جوسلين ليحمل

---

(٣٣٥) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٧) Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246. Zoé Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872, V. 1, p. 415.

(٣٣٨) Michel : Ibid., p. 195.

(٣٣٩) Zoé : Op. Cit., p. 293.

(٣٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 246.

(٣٤١) Setton : Op. Cit, V. 1, p. 393.
اما جروسية فيقول « انه كدر العنصر الأرمنى » بسبب جشعه واخفاقه العسكرى
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.

(٣٤٢) Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque)

(٣٤٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

الذهب المطلوب لاطلاق سراح الرهائن (٣٤٤) » . وبمجرد ان اطلق سراح جوسلين ثقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذى سجنوا فيه وهربوا « واطلق سراح جوسلين بدون فدية (٣٤٥) » .

اما المصادر العربية فتذكر ان جوسلين افتدى نفسه بالفعل « بعشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل نائبا على اطلاق سراح سيده الأعلى بلدوين دى بورج الذى كان قد فقد الأمل فى استعادة حريته . وحاول جوسلين جاهدا ان يغرى جكرمش باطلاق سراحه فى مقابل مبلغ من المال لكن طلبه رفض (٣٤٧) . وبعد موت الاتابك جكرمش غدا الأمير بلدوين فى يد جاولى (٣٤٨) . أمير الموصل الجديد .

كانت ولاية جاولى سقاووا او سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هى اولى بوادر الامل لاطلاق سراح بلدوين . على ان جاولى لم يلبث ان عزل عن الموصل وحل محله الأمير مودود بن التونتكين سنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعه الأمير بلدوين

---

(٣٤٤) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 433.

(٣٤٥) Michel : Ibid, p. 195, Grousset ; Ibid., p. 433.

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (أ) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434.

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (أ) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ ويذكر الأخير ان حكم جاولى على الموصل امتد من ٥٠٠هـ — ٥٠٢هـ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٢٠ (أ ، ب) ، ٢١ (أ) Michel : Op. Cit. p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارقى . تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . واذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ . ابو الفدا المختصر حـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ١٩ يذكرون ان ذلك كان فى صفر ٥٠٢هـ فان ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٣٩ يذكر « ان مودود ابى شتكين استولى على الموصل واعمالها فى المحرم ٥٠٢هـ » ولكن الراجح ان ذلك التاريخ غير صحيح استنادا لراى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بورج ليطلق سراحه بعد قليل ، بعد ان قضى فى الأسر خمس سنوات (٣٥١) . وقد تعهد بلدوين بأن يفدى نفسه بمال وان يطلق أسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعساكره وماله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحدد اما ميخائيل ومن اخذ عنه فيحددها بسبعين الف دينار (٣٥٣) .

وكان أن سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضات فى أمر اطلاق سراح بلدوين دى بورج كل من سالم بن مالك نفسه وجوسلين دى كورتناى الذى كان قد أطلق سراحه من فترة قليلة . وقد تم الاتفاق بينهما على اطلاق سراح بلدوين على ان يبقى جوسلين رهينة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجاب جاولى بشخصية جوسلين الذى كان الجميع يتحاكون به . ويفصل ميخائيل السريانى قصة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضع نفسه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل — يقصد جاولى — بعودة جوسلين أخذته الدهشة وطلب رؤيته لأنه لم يره من قبل وبالفعل توجه جوسلين الى الموصل فلما رآه السلطان انتقص عشرة آلاف دينار من فدية بلدوين . فسجد جوسلين ورفع وجهه من الأرض ليحييه ، وعندئذ انتقص السلطان مرة أخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج السلطان مع قواته امر جوسلين ان يركب حصانا وان يأخذ سلاحه . وعندما راى

---

(٣٥١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ، وكان اطلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، مخطوط حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٣٥٣) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434.

(٣٥٤) عن (Dussaud) Grousset : Ibid., p. 434

(٣٥٥) ابن الأثير الكامل : ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات: مخطوط ، حـ ١ ص ٢٢ (أ) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، اعجب به واسقط كل الفدية المطلوبة عن بلدوين ، فعاد جوسلين وهو فى غاية الفرح (٣٥٧) » .

فى هذا النص يشير ميخائيل الى ان جوسلين توجه الى سلطان الموصل — ويقصد هنا جاولى — ولكن المعروف أن اطلاق سراح بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصل فلم يكن اميرا لها وقتذاك . وان اطلاق سراح بلدوين كان فى ماكسين والمفاوضات كانت فى قلعة جعبر وليست فى الموصل . كما يفهم من النص السابق ايضا ان بلدوين دى بورج اطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن الراجح ان جاولى اخذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقى كما سنرى .

ويذكر متى الرهاوى أن جوسلين اطلق سراح بلدوين امير الرها فى مقابل مبلغ كبير من المال (٣٥٨) . اما المصدر اللاتينى فيقول « أن بلدوين بعد ان امضى خمس سنوات فى الأسر ، وبعد ان قتلت الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن(٣٥٩) » . ويؤيد هذا الراى ما ذكره وليم الصورى من انه « فى صيف ١١٠٨م أو فى بداية ١١٠٩م ومن طريق الصدفة قتل رهائن بلدوين وجوسلين الحراس المسئولين عن الاشراف عليهم بينما كان هؤلاء الحراس فى سبات عميق اثر شرب الخمر ، ثم سافر فى الليل بواسطة بعض الطرق الجانبية الملتوية استطاعا ان يتخذا طريقهما الى بلادهما (٣٦٠) » .

اما ابن الاثير فيذكر انه « لما وصل جوسلين الى قلعة جعبر واقام رهينة عوض القمص واطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولى

---

(٣٥٧) Michel : Op. Cit. p.p. 195 - 196, Zoé : p. 294.
والأخير يعلق على ذلك بقوله
أن لطف جوسلين ورقته ساعدته تلقائيا على اقامة
علاقات انسانية مع اعدائه ، وهو يقصد هنا جاولى(p. 295)
اما جروسيه فيعلق على ذلك النص بانه لم يكن الا صدى للأخبار المروية من آدب الفروسية ؛ ونوع من التحالف الشخصى بين جاولى من ناحية وبلدوين دى بورج وجوسلين من ناحية أخرى .
(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

(٣٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 85.

(٣٥٩) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.

(٣٦٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخــذ عوضـــه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليحثه على اطلاق الأسرى وانفاذ المـــال وما ضمنه (٣٦١) » . اى انه كانت هنـــاك فديه بالفعل . هنـــا تذكر المصـــادر العربية أن فداء بلدوين كان « خمســـة وثلاثين دينـــارا ومائة وستين آسيرا من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصـــادر فى موضـوع الفدية — التى يرجح وجودهـــا من ناحية المبدأ بالفعل — فان الجميع اتفقوا على ان بلدوين اطلق سراحة وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحيـــة وبلـــدوين وجوســـلين من ناحيـــة اخرى .

وتقول بعض المصـــادر انه عندما تم اطلاق سراح بلدوين فانه توجه الى امارته الســـابقة فى الرهـــا ولكنه لم يستطع دخولها ، لأن رجـــال تنكريد منعوه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح — كمـــورد فى المصـــادر الاســـلامية وغيرهـــا ، انه توجـــه فور اطلاق سراحـــه الى انطاكيـــة للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكى يسترد امارته من تنكريد ، السيد الاعلى للرها وقتذاك:فاعطاه تنكريد ثلاثين الف دينارا وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك (٣٦٤) ، ولكنه رفض رد امارته اليـــه فخرج بلدوين من عنده غاضبا الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصـــدر تنكريد لوامره الى نائبه فى الرهـــا ريتشـــارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

---

(٣٦١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، الصبغ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الأثير : المصـــدر الســـابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ، ص ٢٣ ، العينى : عقد الجمـــان ، حـ ١٥م ٢ ، ص ٥٦٩ ، الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٤٥ ، الطباخ : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ .

(٣٦٣) Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., V. 1, p.p 373; 474.

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٤١ العينى : عقد الجمان ، مخطوط حـ ١٥م ٢ ص ٦٢٨ .

Grousset : Hist des Crois.. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الأثير : نفس المصـــدر والصفحة ، ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون المصـــدر والصفحة ، العينى ، حـ ١٥م ٢ ص ٦٢٩

Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

(٣٦٦) Mattieu : Op. Cit p 86

والواقـع ان اصرار تنكريـد على التمسـك بحق غير شرعى له ، ادى فى النهاية الى انقسـام الصليبيين - بل الى انقسـام المسلمين - على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها فى باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرهـا فى بعض المصـادر والمراجع (٣٦٧) . وعندما وصل الأمر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حرصـا على الكيان الصليبى فى الشرق . فتدخل الرؤسـاء والنبلاء فى البلاد وذوى المكانـة العاليـة . لقـد عرموا ان قيـام العداوة بين الرجلين فى مثل تلك الدرجة العالية امر بالـغ الخطورة وسـوف يكون مصـدرا لضرر فـعـال للأهـالى المسيحيين . وبنـاء على ذلك اخـذوا على عاتقهم مهمة التوفيق بين الطرفين ونجحوا فى ايجاد صـلح بينهما (٣٦٨) . والراجح ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا فى المقـام الأول الى تـدخل رجـال الدين فقـد « توسط بينهما البطرك الذى لهم ، وهو عنـدهم كالأمام الـذى للمسلمين ، لا يخالف أمره وشهد جماعـة من البطارقة والقسيسين ان بيموند خـال طنكرى قال له لـا اراد ركوب البحر والعودة الى بلاده ان يعيد الرهـا الى القمص اذا خلص من الأسر (٣٦٩) » .

ويؤكـد وليم الصورى وفولشر ان تنكريد « بعد تفكير عن رؤية فيه غيرفكره (٣٧٠) » . وتذكر تلك القسم الذى اقسمه بوهيموند « حتى يتجنب اى صراع فى اى مكان او اى زمان (٣٧١) » . وبذلك استعاد بلـدوين امارتـه فى التاسـع من صفر ٥٠٢هـ (٣٧٢) ، ١٨ سبتمبر

---

(٣٦٧) Mattieu : Ibid., p. 85 - 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, Cahen : Op. Cit. p. 249 - 251, Zoé : Op. Cit., p.p. 230 - 240, Grousset : L'Epopée, p. 83, Hist. des Crois., V. 1, p.p. 439 - 442.

(٣٦٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ١٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ .

ويورد ابن خلدون نفس المعنى فى كتابه العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ مـع الاشـارة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيموند باسم اسيد .

(٣٧٠) William : Op. Cit. V. 1. p. 474.

(٣٧١) Fulcherri : Op. Cit., T. 3 p. 410.

(٣٧٢) ابن الأثير : الكامل . حـ ٨ ص ٢٥٤ . ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) وينفرد ابن خلدون ضمن ذلك كان فى صفر سنة ٥٠٢هـ (ابن خلدون العبر . حـ ٥ ص ١٩١) .

١١٠٨م (٣٧٣) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بورج قد عـاد من جـديد لامارته الا انه بدأ فترة جـديدة من الصراع المنيف ضـد القوى الاسلامية ممثـلة فى الاتراك الذين تعـددت هجماتهم على الرهـا ، كمـا سيأتى شرح ذلك بالتفصيل فى باب العلاقات مع جيران الرهـا من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين : سنة ١١١٣م — (٥٠٧هـ) .

فى ١١١٣ م (٥٠٧هـ) بدأت العلاقات تسـوء بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقـد انفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث فى تلك السنة ان ارسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن ريتشـارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر اولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حـدث اثنـاء وجودهم فى ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يذمون الرسـل وينتقدون فقر الأمير بلدوين ، وفى نفس الوقت تفـاخروا بثراء سـيدهم جوسلين ، وبمـا يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخمور والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاه وضمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها ان الأمير بلدوين غدا غير صـالح لحكم تلك البلاد وانه من دواعى الحكمة ان يبيع امـارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المـال يعود به الى فرنسـا(٣٧٤) . ويعلق جروسيه بان جوسلين نفسـه اخطأ فى حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل انه يستطيع ان يشترى ارض الرها من سيدها المفلس(٣٧٥) .

وكان ان عاد الرسل الى أميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله(٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

---

(٣٧٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

(ما وليم الصورى فيذكر ان ذلك كان فى ١٨ ابريل ١١٠٩م (William : Op. Cit., V. 1, p. 475) والواقـع ان ٥٠٢هـ يقابلها ميلادى من ١١ اغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية ١١٠٩م (زامبور : معجم الانسـاب ، حـ ٢ ص ٥٢٧) .

(٣٧٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٥) Grousset : L'Epopée, p. 111.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

بلدوين تاثر تاثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لانه السبب فى نعمته ، وعز عليه ان يتنكر له وينسى الجميل والمعروف(٣٧٧) .

وكان ان تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر فى الحال دون أن يتسرب اى شك الى قلبه. وعند وصوله الى الرها وجد الأمير بلدوين فى قلعة المدينة ، مستلقيا ، فى حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد ان ادى التحية المعتادة سال الامير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تتمنى » . ثم أخذ بلدوين يوبخ جوسلين لعدم وفائه وتنكره له . وطالبه بان يسلم له فورا ممتلكاته التى انعم بها عليه(٣٧٨) . وفى الحال أصدر بلدوين اوامره بزج جوسلين فى السجن حيث تعرض لكل انواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلى عن كل المناصب والحقوق التى تلقاها على شكل هبات من بلدوين(٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة ممتلكاته فترك الرها ، وتوجه الى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا مفصلا عما حدث وافصح عن رغبته فى العودة الى وطنه فى الغرب الأوربى وبعد ان استمع اليه الملك ، اقطعه طبرية(٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . « لأنه يعلم ان جوسلين سيفيد المملكة بخدماته العظيمة ورغب فى أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله » (٣٨١) ويشير ابن الفرات الى تلك القصة

---

(٣٧٧) William : Ibid., p.p. 498 - 499.

(٣٧٨) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشيه Grousset : L'Epopée, p.p. 111 - 112 :

(٣٧٩) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126. Cahen : Op. Cit., p. 265.

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57.
بينما يذكر ميشو انه اخذ اقطاع طبريه يذكر أولدنبرج انه اخذ اقطاع الجليل الذى كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق
Hugues de Saint-Omer
ويؤيده فى هذا الراى كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265 ويجمع جروسيه بين الرايين بقوله « اعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث اظهر فى تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيوجودى سانت أومير
(Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.126, Grousset : L'Epopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كان اللعين جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو واللعين بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدويل صاحب القدس فاقطعه طبرية »(٣٨٢) .

وبعد أن تخلص بلدوين دى بورج من كل العنصر المنسوئه له وقبض بيد قوية على شئون امارته وحماها من الاخطار التركية . اخذ يتطلع نحو الشمال ، اى الى المناطق الأرمينية ليتوسع على حسبها . والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان دخلت مدينة مرعش فى حوزة امارة الرها ، تحت سيادة جوسلين دى كورتناى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) (٣٨٣) . وسنشير الى توسع بلدوين دى بورج فى هذا الاتجاه بالتفصيل فى فصل العلاقات مع الارمن خارج الرها .

وهكذا دعم بلدوين دى بورج الأسس التى وضعها بلدوين البولونى فى الرها واضاف اليها الجديد ، كما امن الامارة من الأخطار الخارجية والداخلية . « فلأكثر من ثمانية عشر عاما حكم الامارة بنشاط ونجاح . واخيرا ، اى فى السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تاكد من ان امارته غدت فى حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على زيارة ملك القدس سيده الأعلى وقريبه وولى نعمته ، فضلا عن رغبته فى نفس الوقت فى زيارة الأماكن المقدسة(٣٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته الى ابن خالته جاليران دى يوبيست Galeran du Puiset حاكم البيرة(٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة فى اخلاصه ويقظته(٣٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه أن قابلته سفارة ، اخبرته أن الملك بلدوين قد مات فى مصر ، فقلق كثيرا لتلك الأخبار . ومع ذلك فانه استمر

---

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ص٦٧(أ) ،

(٣٨٣) Michel : Op. Cit., p. 75.

سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٢ ، ص Runciman ،

(٣٨٤) William Op Cit., V. 1, p. 518.

(٣٨٥) Grousset L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 91 عن (L'Anonyme)

(٣٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 518.

فى رحلتــه مسرعا نحو بيت المقــدس ؛ حتى وصلها فى يوم عيد ســعف النخيل(٣٨٧) وهو احد الشعانين(٣٨٨) وكان توافقا عجيبا انه « فى نفس الوقت الذى دخــل فيه الأمير بلدوين دى بورج وحرسه المدينة من باب امرام كان تابوت الملك بلدوين الأول محمولا فى موكب جنائزى فى الجهة المقــابلة من جهة باب دمشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الاول ، قد خرج فى اوائل تلك السنة ١١١٨م (٥١١هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى الفرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث ان مرض فقرر العودة بسرعة الى القــدس ، ومات فى الطريق قبل وصوله الى العريش(٣٩٠) . وذلك فى ٢ ابريل ١١١٨م (٥١١هـ) (٣٩١) .

ولا شك فى ان وفاة بلدوين الأول المفاجئة ادت الى موقف صعب فى مملكة بيت المقــدس الصليبية لأنه لم يخلف اولادا (٣٩٢) - ولذا تضاربت الآراء فى كيفية ملء عرش القدس . فنذكر متى الرهــاوى « انه قبــل ان يموت الملك بلــدوين مبــاشرة اوصى باستدعاء بلــدوين دى بورج ليكون وصيا على مملكة بيت المقدس حتى يصل أخوه ايوستاش **Eustache** من فرنسا وان يعطوا التــاج ذلك الاخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لأخيه وليست لبلدوين دى بورج .

اما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الأول قد « اوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « واجتمع له القدس والرهــا (٣٩٥) » اى ان

---

(٣٨٧) William : Ibid., p. 518.
(٣٨٨) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56.
(٣٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, p. 56.
(٣٩٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تــاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٨٠ .
(٣٩١) Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.
(٣٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 410.
(٣٩٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 118 - 119.
(٣٩٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العمــاد : شذرات الذهب ، حـ ٤ ص ٣٠ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب الســابع .
(٣٩٥) ابن الاثير : المصدر الســابق والصفحة ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، حـ ١ ص ٢١٢ (أ) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج، وربما يرجع ذلك الى محض الاستنتاج لانه الذى تولى بعده بالفعل ، اما المصدر السريانى فيذكر « أن الملك اوصى أن يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن اخت الملك ملكا من بعده (٣٩٦) » والواقع أن بلدوين دى بورج لم يكن ابن اخت الملك بلدوين الأول لكنه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشير بعض المراجع الافرنجية الى ان الملك اختار ايوستاش اولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى ان الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى فى حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش الملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من امر فان وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى وصل فيه جثمان الملك الراحل ، قوبل من اهل المدينة وأمرائها على انه نوع من التدبير الالهى ، على قول متى الرهاوى ، فعهدوا اليه بالوصاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق ابدا على ذلك ، ووعد بأن ينهض بمهمة الوصاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها اخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش الملكة (٤٠١) .

على ان هذا الحل قوبل بمعارضة من جانب المتمسكين بمبدأ الوراثة وفق القانون الاقطاعى والذين راوا ضرورة انتظار وصول اخى الملك بلدوين من الغرب مهما تكن الأحوال (٤٠٢) . وهنا تدخل جوسلين دى كورتناى لحسم الموقف ، وانضم الى جانبه البطريرك ارنولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك فى الحال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

---

(٣٩٦) Michel : Op. Cit., p. 196.
(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٣٨
Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.
(٣٩٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.
(٣٩٩) Zot : Op. Cit., p. 261.
(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٩٨) عن (William)
(٤٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 119.
(٤٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.
(٤٠٣) Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

بأخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن أنه من أقاربه الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة فى الحرب ، ولا يمكن أن يطمع الصليبيون فى رجل آخر أفضـل منـه . وبنـاء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقاذا لموقف المملكة بدلا من الانتظار وسط أخطار مجهولة (٤٠٤) » .

ولمـا كان الخير ما شهد به الأعـداء ، فقـد أدرك جميع النبـلاء الحاضرين عندئذ كلمات جوسلين وأكبروا صراحته وصـدقه ، لمعرفتهم بالعداء الذى كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤٠٥)

والذى سبق أن أشرنـا اليه بالتفصيل . وهنا أشار بعض المؤرخين الى أن جوسلين رأى فى ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما فى نفسه من رواسب المـاضى (٤٠٦) . كما أشـار وليم بأن هـدف جوسـلين الحقيقى من وراء موقفـه « أنه كان يهدف أن يخـلف بلدوين دى بورج فى امـارة الرهـا فى المستقبل (٤٠٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيـار بلدوين دى بورج ملـكا على بيت المقـدس (٤٠٨) . وحـدث ذلك باجمـاع كل الآراء والأطراف (٤٠٩) فتوج بلدوين ملكا فى ١٤ ابريل ١١١٨م وهو يوم عيـد الفصح (٤١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بأمير صليبى له خبرته وتجـاربه الشـاقة فى محـاربة المسلمين ، بل قضى بضع سـنوات فى سجونهم (٤١١) » . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثانى (٤١٢) .

---

(٤٠٤) William : Ibid., p. 520.

(٤٠٥) William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159.

(٤٠٦) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٩٨

(٤٠٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 520.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٠٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 709.

(٤١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

اما ميخائيل السريانى فقـد ذكر أن ذلك تم فى يـوم الثلاثاء ٩٠ (نيسان) ابريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين فى كنيسة بيت لحم فى يوم عيد الميلاد . William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤١١) Iorga : Op. Cit., p. 81.

(٤١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534.

ولكى يكافىء الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى ان ينسيه القسوة التى عامله بها من قبل ، اعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد أن حلف بلدوين دى بورج اليمين تخلى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل باشر وذلك ١١١٩م — ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدات بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تتويجه ملكا للقدس ، فى رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالة بلدوين نفسه (٤١٥) . وبتعيين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ — ١١٣١م (٤١٧) ٥١٣ — ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمة بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد أجمع المؤرخون على امتداح شجاعته واخلاقه فيذكر (اولد نبرج) « انه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الأمور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . أما ميخائيل السريانى فيصفه بأنه

---

(٤١٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 196.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٤١٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٩٩، عن Stevenson

(٤١٥) Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2. p. 874
عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما لالبيره منذ سنة ١١١٧م اى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من أبو الغريب الأرمنى .

(٤١٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874 - 875.

(٤١٧) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٤١٨) Zoé : Op. Cit., p. 294.

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . فى حين يشير اليــه متى الرهــاوى بانه « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسالته الفائقة (٤٢١) » . ولو أنه يفهم من كلامه انه كان قاسى الطباع قبل ان يتولى امارة الرهـا ، ثم تخلى عن تلك الصفة بعـد ذلك « واظهر العطف والشفقة على سكان الرهــا وتخلى عن القسوة التى اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكـد جوسلين يتولى امــارة الرهــا حتى باشر حيـاة نشطة وخاصــة فيما يتعلق بمحاربة المسلمين ، ففى أثناء توجهه من بيت المقدس الى الرها ليتولى امرتها « اسرى الى وادى بطنان والى مايلى الفرات من جهــة الشــام وقتل وسبى مــا يقرب من الف نفس ، وأغار على منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية واخــذ كل ما وجده من دواب واسر رجالا ونســاء واسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمــان كــانت قطعت الفرات فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) » . وعند وصوله الرها وجــد امامه موقفا يتطلب العمل فورا لانقاذ المدينــة . ذلك انــه حـدث قبل وصول جوســلين مباشرة ان راى بعض الارمن أن الاتراك قــد نهبوا اقليم الرهــا وتقــدموا حتى اسوارهــا ففضلوا الاستسلام لهم ، وادخلوهم فى احــد الأبراج ، ولكن شــاءت المقادير ان يصـل جوســلين فى تلك اللحظة فتصــدى للاتراك فى البرج وقتل منهم جماعــة فى حين القى الباقون بانفسهم من البرج (٤٢٤) .

على انه يلاحظ ان جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الاول اتخــذ من تل باشر مقرا لحكمــه وفعل ذلك من بعــده ابنه جوســلين الثــانى (٤٢٥) . وربما يرجــع ذلك الى ارتباطه الشــديد بها ، فقــد كانت مقر نفوذه منذ قــدم من فرنســا حتى صــار اميرا على الرهــا باكملهــا . وبالاضــافة الى ذلك كــان جوســلين محبوبــا جــدا من اهلهــا (٤٢٦) .

---

(٤٢٠) Michel : Op. Cit., p. 196.
(٤٢١) Mattieu : Op. Cit., p. 126.
(٤٢٢) Mattieu : Ibid., p. 126.
(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ١٩٤ .
(٤٢٤) Michel : Op. Cit., p. 196.
(٤٢٥) Cahen : Op. Cit., p. 116.
(٤٢٦) Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة ارمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه فى حكم الرها ، اما هذه الأميرة فكانت اخت الأمير ليون Léon الارمنى وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، او ابن قنسطنطين واتو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعا من امراء ارمينيا الصغرى (٤٢٩) .

ثم ان جوسلين تزوج بعد وفاة زوجته الأولى الأرمينية من ابنة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هدية الزواج التى قدمتها لزوجها مدينة اعزاز او عزاز الواقعة على الحدود بين الامارتين (٤٣١) . وعلى ذلك فاذا كانت الزيجة الأولى قد وطدت علاقاته بالأرمن فان الزيجة الثانية ، الى جانب انها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فانها اضافت الى امارة الرها ارضا جديدة .

اما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخاء ، رغم انه كان عليه ان يتابع حربا مستمرة ضد الاتراك ، صادف فيها الانتصار تارة وتعرض للاسر تارة أخرى (٤٣٢) . ذلك أن مهمة جوسلين فى حكم الامارة بعد اتساع اطرافها كانت غاية فى الصعوبة ،

---

(٤٢٧) Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 من L'Anonyme), Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87 - 88.

(٤٢٩) Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

روبان الأول من ١٠٨٠م الى ١٠٩٥م
قنسطنطين الأول (ابن) ١٠٩٥ — ١٠٩٩م
ثيودور الأول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
ليو الأول (أخ) ١١٢٩ — ١١٣٨م

(٤٣٠) Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875. المرجعان الأخيران عن (L'Anonyme)

(٤٣١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.

يشير اليها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٣ ص ١١٨ بانها عزاز ويقول انها ربما قيلت بالألف فى أولها . والعزاز الأرض الصلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب .

(٤٣٢) E.R. Hayes : Op. Cit.. p. 290.

فاقت مهمة من سبقوه فى حكمها ، اذ كان لزاما عليه ان يثبت تلك اللبنات الاساسية فى بنـاء الامـارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الأطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون أن يكون فى حالة حرب مع المسلمين ، وهـذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيد المسـلمين .

اسر جوسـلين :

حدث فى سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) — رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن تقدم بلك بن بهرام ابن اخى ايلغازى (٤٣٥).ابن أرتق صاحب ميافارقين وماردين وحلب (٤٣٦) وامير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينـة الرهـا وبقى على حصرهـا مدة فلم يظفر بها فرحل عنهـا فجاءه أحـد التركمـان واخبره أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكبسه . وكان بلك عندئذ قد تفرق عنه أصحابه وبقى فى أربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتـال الفرنـج . وفى الموقعـة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمـة بالصليبيين ووقع جوسلين نفسه أسيرا ، ووقع معه فى الاسر ابن خالته

---

(٤٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 166. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583 عن (Mattieu).

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقـد ذكر هذا التاريخ كل من العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، (Gibb : Ibid., p. 166) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ ، العينى عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨١٧ . ولو ان الاخيران يعودان مرة اخرى فيذكران أن ذلك كان ٥١٥هـ (الطباخ ص ٤٤٢ ، العينى ص ٧٩٢) والسبب يرجـع الى انهما نقلا مرة كلام ابى العديم ومرة اخرى كلام ابن الأثير الذى يذكر أن ذلك كان ٥١٥هـ . وشـارك ابن الأثير فى ذلك مصـادر اخرى (ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٠٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ . اما ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ .

(٤٣٥) (Mattieu : Op. Cit., p. 131)
ينفرد متى الرهاوى بالقول انه ابن أخته
اما معظم المصادر العربية فتذكر انه ابن اخيه مثـل ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨(ب) .

(٤٣٧) Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875 عن (L'Anonyme)

جاليران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) أو كاليام (٤٤٠) وتشير اليـه بأنه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضـع بلك جوسلين « فى جـلد جمل وخيط عليـه وطلب منـه أن يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسـه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يقبلها بلك (٤٤٢) » وهنا يورد لنـا ابن العديم رد جوسـلين على بلك عندما عرض عليه فداء نفسه بتسليم الرها قـال : « نحن والبلاد كالجمـال والحدج ، متى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بايدينا قد صـار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بلك معه اخذه مع ابن خالته وحبسهما فى قلعـة خرتبرت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

---

(٤٣٨) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٤٨ (ب) ، ابو الفدا : حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : حـ ٥ ص ١٩٨ (كلمام) .

(٤٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ ، أبو الفـدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ . والحدج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤)
Mattheu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois. V. 1, p. 584
(عن متى الرهـاوى) ، ابن كثير : البداية والنهايـة ، حـ ١٢ ص ١٨٨ . أبو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، كرد علي : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٥) Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit . p. 162.

وهكذا اصبحت امـــارة الرها مرة اخرى دون امير يرعى شئونها ، وهى الامـــارة الأكثر تعرضا للخطر من غيرها من الامـــارات الصليبيـــة فى الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس يسارع بتعيين جيوفرى الـــراهب Geoffrey The Monk (٤٤٦) اميـــر مرعش ورعبـــان وكيســوم اميرا على الرها (٤٤٧) وقد وصف متى الرهاوى هذا الأمير بأنه محارب مقدام تقى ورع (٤٤٨) وزاد من وقـــع اسر جوسلين انه جاء فى وقت ســـاءت احوال الصليبيين فى الشرق بعد مقتل روجر امير انطاكية قبـل ذلك بثلاث سنوات (٤٤٩) فى حين تدهورت احـــوال حكومة بيت المقدس (٤٥٠) بل ان الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس لم يلبث ان وقع اسيرا هو الآخر فى قبضة بلك فى العـــام التـــالى ١١٢٣م (٥١٧هـ) وكان ذلك عنـــدما توجـــه الملك بلدوين الى قلعـــة كركر (٤٥١) لانقاذها من حصـار بلك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين واسره ومعـــه جماعة من أعيان فرسانه ، وسيق الى قلعـــة خرتبرت مقيدا فى الأغلال (٤٥٢) .

---

(٤٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300
(Fulcher), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme).

(٤٤٧) Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٤٩) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI,
(R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

(٤٥٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(٤٥١) Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme)

هنا يذكر ان كركر كان
يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمنى فتخلى عنها تلقائيا لبلدوين الثانى وتلقى بدلا منهـــا دلوك . ويذكر جروسيه رأيا آخر عن ميخائيل السريانى يذكر فيه « ان ميخـــائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحـــالف مع الفرنج وعرض عليهم التنازل عن مدينتـــه خوفـــا من بلك الذى كانت غزواته لا تنتهى على اقليم ملطية لذا توجه بلك الى كركر بحملة تاديبية فى ينـــاير ١١٢٣م ، حيث كان جوسلين فى ذلك الوقت للمرة الاولى بعيدا عن بلاده .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587 عن (Michel).

(٤٥٢) ابن العـــديم : زبدة الحـــلب ، حـ ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ ، ابن الفـــرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمـــان ، حـ ١٥م٤ ، ص ٨٢٣ — ٨٢٤ .
Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 58,
Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا اصبح وضع الصليبيين فى بلاد الشـــام ١١٢٣م شـائكا للغاية . فبعـــد اسر الملك بلدوين الثـــانى أصبحت مملكة القـــدس وامـــارتى الرهـــا وانطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . اما الامارة الرابعة وهى طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعـــل لهـــا زعامة مؤقتة على بقية الامـــارات (٤٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على اسرى خرتبرت حتى بدأت الجهود تتكتل لتخليصهم من السجن . وفى هذا المجال تتعدد الروايات والأخبـــار عن كيفية تخليصـهم (٤٥٤) .

والواقع ان ارمن الرهـــا كان لهم دورهم فى تخليص سيدهم جوسلين من اسره لانهم غدوا بعـــد اسره فى حزن عميق (٤٥٥) ذلك ان جوسلين كان محبوبا جدا من رعـــاياه الأرمن (٤٥٦) بسبب حبـــه هو الآخـــر الشديد لهم (٤٥٧) . بل ان حب الأرمن لجوسلين تمـــدى حـــدود الرها نفسها الى خرتبرت بمن فيها من الأرمن (٤٥٨) . لذا قرر رعـــايا جوسلين الأرمن ان يبذلوا كل ما فى وسعهم لانقـــاذ حرية سيدهم (٤٥٩) . فتنكر خمســـن رجلا من ذوى الشجاعة والحنكة فى زى رهبان وتجار ومتسولين

---

(٤٥٣) Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121.

(٤٥٤) تذكر المصـــادر العربيـــة ان تخليص الأسرى كان عن طريق مصانعه حراسهم وباستخدام الحيله (ابن العـــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦ ب) ، ٧٧ (أ) تـــاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥١٧هـ) . اما ميخائيل السريانى فيقول ان ذلك كان عن طريق بعض عمال قلعة خرتبرت (Michel : Op. Cit., p. 211)

اما متى الرهـــاوى فيقول ان ذلك كان بمساعدة خمســـة عشر من اهـــل بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)

اما جروسيه عن مصـــدر سريـــانى فيقـــول انه كان عن طريق عشرين شخصا من اهل كيسون

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876 عن (L'Anonyme)

(٤٥٥) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٦) Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٥٧) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٥٨) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٩) Archer : Op. Cit., p. 162.

واخفـوا اسلحتهم تحت ثيـابهم وتوجهوا الى خرتبرت (٤٦٠) . وتختلف الآراء بين المراجع الافرنجيـة حـول ما تم فى خرتبرت ، فالبعض يشير الى انهم تضامنوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربمـا يقترب هذا الراى من راى ميخـائيل السريانى . والبعض يذكر « انهم هربوا الى داخل المدينة واحـدا اثر الآخر ، بحذر شـديد ، ومنها الى اسوار القلعة . هناك وجدوا حـارس القلعة غـافلا يتلهى يلعب الشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للمتآمرين (٤٦٢) » .

وكان ان امتلك الملك الصليبى ورفاقه القلعة ورفعوا علمـا مسيحيا على اعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك فى ربيع الأول ٥١٧هـمايو ١١٢٣م ، وعلى اثـر سـماع ما حـدث هرب قـادة المسـلمين الموجـودين فى البلد (٤٦٤) . اما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بلك فى القلعـة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اشـار عليهم جوسلين باخـذ ما فى المكان وتركه فقال « كناقد اشرفنـا على الهلاك ، والآن فقـد خلصنا ، والصواب ان نمضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغـدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا ان الملك بادوين ظل فى القلعـة بعد استيلائه عليها . فى حين تشير بعض المصـادر الاسلامية الى ان بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان المـلك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبـدو ان الفرنج صمموا على الصمود

---

(٤٦٠) عن Zoé : Op. Cit., p. 297, Grousset : L'Empire, p. 300. (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخـطوط ، ص ٧٧ (أ) ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) .
واتفق رايهم على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل لحما ولا يشرب الا وقت القربان الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل بهم الى خرتبرت ويخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان فى فجر ٦ اغسطس (٤٧٠) مصحوبا بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية ايجمع القوات ويحمل النجدة للملك ورفاقه الاسرى (٤٧٢) وارشده فى الوصول الى الرها فلاح ارمنى (٤٧٣) .

اما بلك فكان بحلب عندما سمع بما حدث فى خرتبرت ، فاتى مسرعا عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الأسوار

---

(٤٦٨) Archer : Op. Cit., p. 163

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٤٩ .
Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٧٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧١) Fulcherii Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, p. 455
رهنا يذكر اولدنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من الارمن من البلاد وأن جوسلين خرج متنكرا فى زى متسول يموت من الجوع والعطش (Zoé : Op. Cit., p. 298)

(٤٧٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٧٣) Fulcherii Carnotensis : Historia: Hist. Occid. T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298, Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543
هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بلك انزعج فى تلك الليلة برؤية مرعبة ، فقد راى فى منامه ان الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة يديه لذا قام مذعورا وارسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل أن يصل الرسل كان جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فتراجعوا بسرعة . واخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير فى الحال القوات من كل مكان واسرع الى هناك .
(Fulcherii : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الاكبر بعد ان فشلت محاولات اخذ القلعه باسلوب التفاوض مع الملك (٤٧٥) . بل قيل انه نصب عليها اربعة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . اما المصدر العربى فيذكر « ان بلك فتح خرتبرت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من اصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى بغدوين الملك وقران وابن اخت بغدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بلك ان يسيطر من جديد على خرتبرت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقدم لنجدتهم ومعه جيوفرى الراهب على رأس جيش فرنجى « سمعوا بذلك الحادث المشئوم فتوقفوا فى حزن بالغ وعادوا بقلوب دامية كل الى جهته (٤٧٩) » ويحكى ابن العديم الكثير عن اعمال الانتقام التى قام بها جوسلين ضد مسلمى حلب بالذات (٤٨٠) ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم ان جوسلين لم يهدأ مرة اخرى فى صراعه ضد المسلمين بل ان الفرنج استطاعوا تحت قيادته ان يصلوا فى ١١٢٨ — ١١٢٩م (٥٢٣ —

---

(٤٧٥) Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧٦) Michel : Op. Cit., p. 211
ويذكر ميخائيل هنا ان عدد من قتلوا كان حوالى سبعين رجلا ، اما متى الرهاوى فيذكر ان الامير بلك اباد كل أسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسة وستون شخصا Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ أبو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ . هذا قال ان ذلك كان فى ١٦ سبتمبر (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

(٤٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherii : Op. Cit., Hist Occid T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين وراس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرهـا يقـاتل المسـلمين فى شجاعة لا تعرف اليأس حتى كانت وفاته فى دلوك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما سنرى فى الفصـل الخاص عن علاقة الرهـا بالمسلمين .

جوسلين الثـانى : ١١٣١ — ١١٤٤ — ١١٤٦م (٥٢٦ — ٥٣٩ — ٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثـانى من ام ارمينيـة هى أخت ليون الأرمنى (٤٨٣) السـابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من أمراء الفرنج الذين ولدوا فى الشرق ، وقد اتصف جوسلين الثـانى بالبراعة الحربيـة ، مع حب اللهو والأسراف فى الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، أرملة وليم حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية (٤٨٥) . وانجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنتين : الأولى هى آجنى Agnes التى تزوجت فيما بعـد رينـو Renaud حـاكم مرعش ثم من بعده عمورى امير يافـا الذى اصبح ملك القدس .

---

(٤٨١) (Bar Hebraeus) عن Grousset : L'Empire, p. 300
وآمد بلد قديم حصين على نشز دجلة . فتحت سنة عشرين من الهجرة وسـار اليها عيـاض بن غنم بعـد ما افتتح الجزيرة (يـاقوت : حـ ١ ص ٥٦) و ونصيبين مدينـة بالجزيرة ايضا (ياقوت : حـ ١٩، ص ٢٨٨) أما راس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودينسر ، وفى راس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصيرنهر الخـابور (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga · Breve Hist. des Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : Ibid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية — وهى الصغرى — ازابيلا (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن ان امـه كانت ارمينيـة (٤٨٧) . ولكن جوسـلين كان دون شك اقـل من والده بكثير فى المقـدرة الحربيـة والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع أن امارة الرها كانت عندئذ فى حاجة الى محارب فذ من طراز والده جوسلين الأول . ولكن شـاءت الظروف الا يخلف ذلك الأمير القوى على عرش امـارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهاون فى شئون امـارته ، وهو امر افـاد منه المسلمون .

ذلك ان تهـاون جوسلين الثـانى ادى الى ضياع الأراضى والممتلكات التى اجهـد والده نفسه فى الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجـر مدينـة الرهـا وانسحب ليقيم فى تل باشر ، مثلما فعـل والده ، ولكن على العكس منـه ، اقـام اقـامة مترفة على شـواطىء الفـرات ، وهنـاك استسلم كليـة لميوله المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات المـواقع ، ونسى العنـاية بالحكومة امـام تهديد المسـلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشـار اليـه نيرسيس فى قصيدته عن رثاء الرهـا . فهو عندما يشير الي أن زنكى هـاجم المدينـة اثنـاء غيـاب جوسلين الثانى منها يقول (٤٩١) :

اختبـأ فى الحقـول (يعنى زنكى)
ثم اجهز على على حين غرة

---

(٤٨٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8.
(٤٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 399.
(٤٨٨) Zoé : Ibid., p. 292.
(٤٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 53.
(٤٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102.
(٤٩١) Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246.
الأبيات من ٦٢٤ — ٦٣٠

فى ســـاعة لا انتظرهـــا
اذ انه مـا أن تحقق وتيقن
من غيـــاب رجالى وحماتى
حتى حاصرنى من كل جانب
وهــــاجمنى بقســـواته

والواقع ان تلك الظروف ، الى جـــانب ظروف أخرى ـــ سنذكرها فيما بعـــد عند الكلام بالتفصـــيل عن عمـــاد الدين زنكى والرهـــا ـــ شجعت عماد الدين زنكى على التوجـــه الى الرهـــا ١١٤٤م (٥٣٩هـ) وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنـــه نور الدين فى نفس السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط امـــارة الرهـــا يعتبر من أبرز الموضوعات التى يمكن بحثـــها فى عهد جوسلين الثـــانى .

وباعطاء فكرة عن جوسلين الثـــانى وعهده تكن صـــورة الوضـــع الداخلى للامارة قد اتضحت ، وســـوف تتضح معـــالمها أكثر بالكلام عن العلاقات الخارجية للامـــارة سواء مع المسلمين او الصـــليبيين او مع الأرمن أو البيزنطيين ، وهو ما سنتعرض له بالدراسة فى الباب الثـــانى من بحثنـــا هذا . ولكن قبـــل أن ننتقل من هـــذا الباب الى ما يليـــه ، يجدر بنا أن نوضح نقطة هـــامة ربما تتردد على السنة المتسائلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضـــارية بوجـــه عـــام لامارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر من المصـــادر التى رجعنا اليها على مجرد اشـــارة عـــابرة عن اى نوع من المنشآت التى خلفها الصليبيون فى الرهـــا . وربمـــا نجـــد تفسيرا لذلك فى أن الفترة التى عاشتها الامارة كانت أقصر من غيرها من الامارات الاخرى فى الشرق ، فهى لم تعش أكثر من نصف قرن تقريبـــا ، قضى حكامها ـــ اذا استثنينا جوســـلين الثـــانى ـــ معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم المتعددين . لذا لم تكن هنـــاك اية فرصة للشعور بالاستقرار والطمأنينة بسبب موقع الامـــارة المعرض للخطر كما رأينـــا . والمعروف أن النشاط الحضارى لابد له من سياج من الاستقرار والأمن ، وهو مـــا لم يتوافر لتلك الامـــارة القصيرة العمر .

الباب الثانى

علاقة امـارة الرهـا الصليبية بجيرانها

أ ــ علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها .
ب ــ علاقتها بالامـارات الصليبية فى بلاد الشـام .
ج ــ علاقتها بالأرمن خارجها .
د ــ علاقتها بالدولة البيزنطية .

اولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع امـارة الرهـا وسط اقليم الجزيرة ، جعـل منها قلعة مسيحية وسط محيط اسلامى كبير ، احاط بها من جميع النواحى والجـهات . ولا شـك فى أن هـذه الحقيقة تعنى أن امـارة الرهـا الصليبية كانت أكثر تعرضا من غيرها لضغط القوى الاسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثـانى عشر الميلادى فى صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

أما من تلك القوى الاسلامية التى احاطت بامـارة الرهـا ودخلت معها فى صراع طويل ، فاولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية فى بغداد .

والى جانب تلك القوة الاسلامية الكبرى وجـد بالعراق مركز آخـر من مراكز القوى الاسلامية ممثلا فى بنى مزيد امراء الحله (١) . وهؤلاء لعبوا دورا هـاما ــ وخاصـة أميرهم دبيس بن صدقة ــ فى مناصرة الفرنج كما سنرى فيما بعد . والى الغرب من نهر الفرات وجـد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم أو سلاطين قونية(٢) . امـا فى الشمال الغربى من الرهـا ، فقـد وجـد مركز آخر للاتراك المسلمين ممثلا فى بنى دانشمند الذين استقروا فى شرق آسيا الصغرى(٣) .

---

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغـداد وكانت تسمى الجامعين (ياقـوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ٣٣٢ ــ طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسدى رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

(٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

فاذا اضفنا الى هؤلاء جميعا الارانقة او بنى ارتق وهم زعماء مجموعة هامة من التركمان اتحدوا مع السلاجقة فى غزوهم لبلاد الشام (٤) ونجحوا فى الاستقرار بالقدس قبيل قدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا فى استرداد القدس منهم مما جعل زعيمهم ايلغازى يسير الى بغداد فى حين اتجه اخوه سقمان الى الرها ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . ادركنا أن امارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعة قوية من جيرانها المسلمين .

اما عن علاقة الرها بسلاجقة فارس ، فيبدو أن محور هذه العلاقة كان اتابكية الموصل التى كانت تتبع سلطنة السلاجقة وبالتالى فقد عهد اليها سلاطين السلاجقة بمواصلة سياسة الجهاد باسمهم ضد الصليبيين فى اقليم الجزيرة فضلا عن بلاد الشام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١هـ) (٦) حتى خرج كربوغا اتابك الموصل (٧) على راس حملة كبيرة لتخليص انطاكية من الحصار الصليبى . وفى طريقه من الموصل الى انطاكية مر كربوغا بالرها فى مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢هـ) ، فشرع فى حصارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كربوغا ارسل مقدما الى الرها

---

(٤) Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٥) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كربوغا قد سجن فى حمص بواسطة تاج الدولة تتش اثناء الصراع بينه وبين بركياروق وكان كربوغا من المناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كربوغا من السجن وتوجه الى حران فملكها . ثم صار الى نصيبين فملكها ايضا وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلى - الذى استنابه بها تتش بن الب ارسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصل الى صدقة بن مزيد بالحلة . ثم سار كربوغا نحو ماردين فملكها ايضا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٠٨) .

(٨) Setton :Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٩) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396.

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذى يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على انه يبدو ان فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معـــه تماما فى فكرة حصـــاره للرها (١١) . ولكن كربوغا ــ على قول وليم الصورى ــ « صمم عندئـــذ قبـــل عبور الفرات ، أن يهاجم الرهـــا وان ياخذهـــا بالقوة (١٢) » . وبمجرد ان تلقى بلدوين البولونى انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرهـــا لمســـاعدته ، واختزن فى المدينـــة كميات كبيرة من الطعام والســـلاح ، استعداد لحصـــار طويل ، ولم يبد تاثرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الأمر كان اصعب مما تصور كربوغا ، فقـــد ظل امام الرهـــا حوالى ثلاثـــة اسابيع دون أن يحقق غرضـــه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض اعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستانف طريقه الى انطاكيـــة ، على ان يعودوا الى الرهـــا لحصـــارها وتاديب صـــاحبها بلـــدوين بعـــد الفراغ من الاستيلاء على انطاكية (١٥) . وفعلا ترك كربوغا الرهـــا واسرع الى انطاكية لمســـاعدة صـــاحبها (١٦) ياغى سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصـــل بدقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صـــاحب حمص وارســـلان تاش صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجـــه الجميع قاصـــدين انطاكيـــة (١٧) . ومن

---

(١٠) Alberti : Ibid., p. 397.

(١١) Alberti : Ibid., p. 397.

(١٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(١٣) William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246.

(١٤) Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500,
Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345,
William : Ibid., V. 1, p. 246.
(يذكر وليم انها من ٤ الى ٢٥ مايـــو)
Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman :
Op. Cit., V. 1, p. 210 من (Fulcher, Mattew).

(١٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397,
William : Ibid., V. 1, p. 246.

(١٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345.

(١٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٨٧ .

الواضح ان اخفاق كربوغا امامها ادى الى « رفـع مكانة بلدوين ، كما ان الصليبيين امام انطاكية افادوا من الوقت الذى اضـاعه كربوغا امام الرهـا (١٨) » . ويؤيد وليم الصورى هـذا الراى فيشير الى ان التاخير من جانب جيش المسلمين امام الرهـا انقذ الصليبيين امام انطاكية لانه لو كان كربوغا قـد سـار مباشرة الى انطاكية قبل وقوعها فى قبضـة المسيحيين ، لوقـع الصليبيون فى مازق (١٩) .

اما (الجستا) فتشير الى ان بلدوين تعمد تعويق كربوغا وجيشـه امام الرهـا رغبة منه فى مسـاعدة اخوانه الصليبيين امام انطاكية (٢٠). ومهما يكن من امر ، فان كربوغا لم يقدر له ان يصبح مصدر خطر على الرهـا بعد فشله امام الصليبيين فى الشـام . وقـد خلف كربوغا فى حكم الموصل الامير جكرمش (٢١) . الذى راينا انتصـاره على الصليبيين فى موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما اثر على الرهـا تاثيرا شـديدا خاصة بعـد اسر اميرهـا بلدوين دى بورج وجوسـلين دى كورتناى اخطر اعوانه . هـذا الى ان جكرمش لم يكتف باسر بلدوين بل اسرع الى الرها وحاصرها ولكنه اخفق فى الاستيلاء عليها بسبب بسـالة تنكريد فى الدفاع عنها وصمود سكانها الارمن (٢٢) ، لذا عـاد جكرمش الى الموصل باسيره بلدوين (٢٣) .

ويبـدو ان جكرمش صمم على ان ينتقم من هزيمته هو وقواته امام اسوار الرهـا ١١٠٤م فعـاد الى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على راس

---

(١٨) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210 من (Fulcher, Mattew)

(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينهما لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائبا عن كربوغا بحصن كيفا ، فلما مات كربوغا كاتبه اعيان الموصل ليسلموا اليه البلد فسـار اليها وقتل سنقرجة الذى عهد اليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتسـلم البلـد وقـد قتل موسى فى نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الاثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Alberti)

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ .

قواته ، ووصل الى المدينة وقت الحصاد (٢٤) . وكانت أوضاع الرها قد تبدلت فى ذلك الوقت اثناء أسر بلدوين دى بورج بسبب المظالم التى انزلها ريتشارد دى سالرنو بأهالى المدينة ، مما أتاح ظروفا مناسبة لجكرمش وجيوشه .

ذلك ان ريتشارد اندفع على رأس قواته المشاه ، ليشتبك مع جكرمش ، ولكن قوات الاخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت برجال ريتشارد والقت بهم داخل الخنادق المحيطة بالبلد . وخسر المسيحيون فى تلك الموقعة أربعمائة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك اضافت تلك الحملة التركية الاسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ، جرحا جديدا الى جرح العام السابق فى الرها .

وجدير بالذكر ان المؤرخ وليم الصورى انفرد بالاشارة الى حملة قام بها الأتراك السلاجقة اثناء اسر بلدوين وجوسلين . وفى الفترة التى حكم فيها ريتشارد دى سالرنو . وبدراسة هذا النص (٢٦) . الذى ذكره وليم الصورى نجد هناك تشابها بين احداث تلك الحملة وبين حملة مودود على الرها ١١١٠م ــ ٥٠٤هـ ، على انه لا يمكن ان نتصور أن وليم يقصد هنا حملة مودود لأن هذه الحملة كما سنرى فيما بعد كانت قد تمت بعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن فى فترة وصاية تنكريد على الرها ، وانما حدثت فى وقت استحكم فيه الخلاف بين كل من بلدوين وتنكريد ، حتى ان تنكريد لم يحضر لمساعدة الرها ضد حملة مودود هذه الا تحت ضغط ملك القدس سيده الأعلى . وحقيقة هذه الحملة التى اشار اليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

ومهما يكن من أمر ، فقد امتلك الموصل بعد جكرمش ، جاولى سقاو الذى حكمها من ٥٠٠ ــ ٥٠٢هـ (١١٠٦ ــ ١١٠٨م) وهو الذى عصى السلطان محمد كما اشرنا ، كما اطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد ان تم اتفاق بين الجانبين بأن ينجد كل منهما الآخر وبان يطلق بلدوين من لديه من اسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صاحب جاولى مايه

---

(٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 437 (Mattieu) عن

(٢٥) Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438.

(٢٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473.

وستين اسيرا من المسلمين بعد أن كساهم جميعهم ، وكان هذا من عجيب الأشياء (٢٧) » .

كذلك اتضح هذا التعاون بين الجانبين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م عندما لبى جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وساعدهما فى هجومهما على تنكريد أمير انطاكية (٢٨) . وعلل متى هذا العداء بين امراء الصليبيين بأن تنكريد انتهز فرصة اسر بلدوين وجوسلين وانتزع أجزاء من أراضيهما ورفض رد تلك الأراضى بعد اطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم الى هذا الحدث فيقول انه « فى ٥٠١هـ أو ٥٠٢هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسلين الفرنجى على حرب تنكريد صاحب انطاكية واستنجد تنكريد برضوان فأمده بعسكر حلب والتقوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب ان نشير اليه هو انه اذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية اخرى من اجل استرجاع اراضى امارة الرها لصاحبها الشرعى بلدوين بعد اطلاق سراحه كان من الأسباب التى دفعت بلدوين الى ان يمد يده لجاولى ، فان جاولى من ناحية اخرى مد يده لبلدوين لانه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود ــ كما سبق ان اشرنا ــ كان يطمع فى تكوين امارة لنفسه ، ان لم يكن فى الجزيرة فليكن فى حلب على حساب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من أن جاولى صمم العبور الى الشام والاستيلاء على حلب بعد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التى كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قد استولى بالفعل ٥٠٢هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة بالس وهى من اعمال حلب (٣٢) . وانتزعها من اصحاب رضوان بن

---

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٢٨) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٢٩) Mattieu : Ibid., p. 86.

(٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (أ) .

(٣٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

منش وقتل جماعة من أهلها (٣٣) . ولما تحقق الملك رضوان من عزم الأمير جاولى على قصده استنجد بتنكريد أمير انطاكية وخوفه عاقبة استيلائه على حلب لأنه فى هذه الحالة لن يكتفى بتهديد انطاكية وحدها وانما سيهدد الصليبيين جميعا بالشام « والصواب أن أكون أنا وأنت يدا واحدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فأجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث أن خرج تنكريد من انطاكية فأرسل اليه الملك رضوان بأحد اعوانه من الأتراك ومعه ستمائة فارس (٣٥) .

ولما علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته ووهب له ما بقى عليه من مال المفاداة الذى قرره عليه حين اطلقه من أسره فسار فى عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبدوا أن بلدوين لم ينس أن جاولى اكرمه فى الموصل (٣٧) .

وفى تلك الأثناء وصلت الأخبار الى جاولى بأن الموصل اخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضاعت خزائنه وامواله فتالم لذلك (٣٨) . وبقى جاولى فى الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعة ونزل على تل باشر والتجأ الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضح ان احداث تلك الفترة تبدو مضطربة متداخلة فى

وسعيد عاشور . الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشام بين حلب والرقة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، حـ ٢٥ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ، ص ٦٤٠ ، الطباخ الحلبى . اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى) Michel : Op. Cit, p. 215,

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (أ) - العينى : حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ . Grousset : L'Empire, p. 83.

(٣٦) ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ ـ ٤١ الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

(٣٧) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ، ص ٢٥ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، حـ ٥ ، ص ٤١ ، الطباخ ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

المصـــادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق ان ذكرنا من ان جاولى قـــد أخرج بالفعل من الموصـــل عندما عبر الى الشـــام واستولى على بالس واستعان ببلدوين مما يتعارض مع ما ذكرتـــه بعض المصـــادر من ان أخبار استيلاء مودود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشـــام . ويبدو أن المقصود بذلك هو الاستيلاء الكـــامل على الموصل من قبل مودود بدليل مـــا ذكره ميخائيل السريانى من أن رجـــال جاولى كـــانوا متحصنين فى القلعة (٤٠) . وأن زوجته كانت بالقلعة لتتولى أمر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجى اسلامى ، الأول ويضم جاولى وبلدوين دى بورج وجوسلين ، فى حين يضم الثـــانى تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحـــدث الاشتباك بين الفريقين عند أطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الأول ، ولكنها تحولت بسرعة الى جانب تنكريد الذى نجح فى ان ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

وبعـــد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد الى انطاكية (٤٤) ، فى حين فر بلـــدوين هاربـــا واحتمى بقلعـــة الراوندان (٤٥) ، وقيـــل بقلعـــة دلوك (٤٦) . أما جوسـلين ففر الى تل باشر حيث اصبح فى مأمن (٤٧) . ولابن الفرات وصف شيق لتلك المعركـــة سنذكره عندما نتناول العلاقـــة

---

(٤٠) Michel : Op. Cit., p. 215.
(٤١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394.
(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ .
Grousset : L'Epopée, p. 83.
(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 87
الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٠٣
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,
(٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 87.
(٤٥) Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250.
(٤٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649.
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ عن
Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert)
(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 87
أمـــا ابن الأثيـــر : الكـــامل ، حـ ٨ ، ص ٢٥٥ فيـــذكر (أن القمص وجوسلين هربا الى تل باشر) يذكر هـــذا أيضـــا ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤١ .

بانطاكية . اما عسكر حلب فعاد الى رضوان وتسلم بالس من أصحاب جاولى (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه — ٤٩٩ — ٥١٢هـ/١١٠٥م — ١١١٨م (٤٩) . الذى خلف اخاه بركياروق فى حكم سلاجقة فارس — استاء من تقدم الفرنج فى الشام فعزم على تجهيز جيش قوى ليشرع فى حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته فى ديسمبر ١١٠٩م/٥٠٣هـ وأرسل الى الأمير سكمان القبطى أو سكمان بن أرتق (٥١) . صاحب أرمينيا وأخلاط وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالسير فى العساكر الى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) . وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة الى الأمير مودود أمير الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش اسلامى كبير زاد عدده عن مائة الف مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الاسلامية على الرها فى شوال ٥٠٣هـ (٥٥) (مايو ١١١٠م) (٥٦) . وحاصروها . وهنا

---

(٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

(٥٠) Zoé : Op. Cit., p. 241.

(٥١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ . يسميه شالندون ، ككمان Kokman
Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

(٥٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٠٣هـ .

(٥٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 449.

(٥٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٥٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ Gibb : p. 101

(٥٦) ابن القلانسى : نفس المصدر والصفحة .
Gibb : Ibid., p. 102.

يصور متى الرهاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيش انتشر حول المدينة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان مصطفا تحت اعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المسلمون بالمدينة منعوا الداخل والخارج بالمسير اليها ، مما اثر تاثيرا سيئا فى المدينة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر (٥٨) . وفى ذلك الوقت كان ملك القدس وامير طرابلس يحاصران بيروت فارسل اليهم الأمير بلدوين دى بورج الأمير جوسلين دى كورتناى يطلب النجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالشام ، واجتمعت قوات بيت المقدس وطرابلس وانطاكية لمحاربة المسلمين (٦٠) . وبعبارة اخرى « اتفق الفرنج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء فتصافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعد النفار (٦١) » . وعندما سمع طغتكين فى دمشق باجتماع كلمة الفرنج سار هو الآخر ليلحق بالجيوش الاسلامية المحاصرة للرها (٦٢) .

وعندما علم المسلمون باقتراب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

---

(٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 91.

(٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ
Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣١ ،
Gibb : Ibid., p. 99
Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٦٠) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٦ Gibb : Ibid., p. 102.
وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « تم الاتفاق واتحدت القوات والاسلحة » .
Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ .
Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

، وملاقات خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها فى آخر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ ــ الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا ارض حران على سبيل الخديعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حدث فى موقعة حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج فى فخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربة السابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمة أو من الخوف كما يفهم من كلام بعض المصادر والمراجع (٦٥) .

وفى ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقى (٦٦) . اما الفرنج الذين عبروا الفرات ليتعقبوا المسلمين فى حران فقد فطنوا لهذا التدبير فخافوا واستشعروا الهلاك واسرعوا بالانسحاب الى شاطىء الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم واتوا على عدد كبير من أتباعهم قتلا واسرا وتغريقا فى الفرات ، حتى امتلأت أيدى المسلمين من الغنائم والأسلاب والسبى والدواب (٦٧) .

وكان أن اسرع الفرنج الى الرها ليجلوا عنها كافة السكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الارمن للدفاع عنها وزودوها بالمؤن

---

(٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٦ ، تاريخ ابو الهيجاء حـ ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ. Gibb : Ibid., p. 103.

(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 p. 453.

(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 196, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ .

(٦٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ ، وهذا ما أشار اليه البرت بقوله « أن الملك وتنكريد تتبعوا المسلمين الى حران كى يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بداوا فى الهرب وانتشروا خلال المناطق المنعزلة لكن ارهق الكثير من بلاط الملك واحتجزته الكثير من القطعان والأطعمة وحملت بعيدا

Albertl : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافيــة (٦٨) . ويعلل المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حماية ممتلكاتهم فى الشــام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صــاحب حلب لمــا عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التى كان الافرنج أخذوها باعمال حلب (٦٩) » . فى حين يشير (كاهين) الى ان من أهم الأسباب التى جعلت الصليبيين يجلون عن الرهــا وعلى راسهم الملك بلدوين هو « انه سمع ان الفاطميين انتهزوا فرصــة غيابه وهاجموا بيروت والقــدس (٧٠) » .

على ان الســكان الذين أجلوا من الرهــا لم يسلموا من المسلمين فقــد باغتهم مودود وقــامت مذبحـــة كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعــد ذلك فى كل ديــار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالت اقامة الجيش الاسلامى حول الرهــا أخــذ المسلمون يعانون مشــاكل الامـــداد والتموين ممــا اضطرهم الى التفرق وانصرف كثيرون منهم (٧٢) . وهكــذا تبددت الحملة الاسلامية بعــد أن أشرفت على النجــاح ، فعاد بلدوين دى بورج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

ومهما يكن من فشــل هــذه المحاولة ، فى سلســلة الجهاد ضــد الصليبيين فى تحقيق أهدافها ، فانها تدل فى الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقــع أن تلك الحملــة تركت آثارا واضحة على

---

(٦٨) ابن القلانسى : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر أن الرهــا زودت بمحصول عــام ، لأن المواطنين كانوا فى حاجــة اليه كثيرا بعــد أن دمر الاتراك المنطقــة المحيطة بالمدينــة .

Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ١٩٤ .

(٧٠) Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94. Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 105

(٧٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٠٠ عن Albert .

Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرهـا من الناحيتين الاقتصـادية والسـكانية سنتناولهما بالتفصيل فى مكان آخر من هـذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان السـلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تنكريد لجـأ الى شراء مسالمة أمير حلب بالمـال ١١١٠م الا أنه عـاد فى العـام التالى وقام بغزوة على حلب اثارت الرعب فى قلوب الأهالى (٧٥) . الأمر الذى جعل رضوان صـاحب حلب يرسل مستصرخا كلا من السلطان السـلجوقى والخليفة العباس فى بغداد (٧٦).

ويقال ان جماعـة من اهل حلب سـاروا الى بغـداد « مستنفرين الناس على الفرنج فاجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصـدوا جامـع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعـدهم السلطان بتجهيز العسـاكر وارسل من دار الخليفـة منبرا الى جامـع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية قصـدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغـداد فمنعهم صـاحب البـاب من الدخول فغلبوا عليـه ودخلوا الجـامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكسـروه وبطلت الجمعـة وارسل الخليفـة الى السـلطان فى المعنى يـأمره بالاهتمام بهـذا الفتق (٧٧) » .

وفى ذلك الوقت كان العـداء قـد بلغ اشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الأمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقى يحضـه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . « وترك التراخى فى امرهم واستعمال الجـد والاجتهاد فى الفتك بهم قبل

---

(٧٥) Archer : Op. Cit., p. 148,

(٧٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦١ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الاثير ، وكان ذلك ٥٠٤هـ ـــ ١١١٠م . بة

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٠ ـــ ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضـــال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) » . وقـــد كان وصول رسول ملك الروم الى بغـــداد فى نفس ٥٠٤هـ ١١١٠م التى وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفـــع أهالى حلب الى السلطان قائلين « أما تتقى الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك فى جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان ان يكون الكسيوس قـــد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومـــع ان هـــذا الراى قـــد خفى على المسلمين الا أن عزيمة بغـــداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١).

وادى هذا التيـــار الى استئناف حركة الجهاد ضـــد الصـــليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥هـ) حركة تعبئـــة حقيقيـــة داخـــل الدولة السلجوقية فى فارس (٨٢) ، وجهز الســـلطان جيشـــا كبيرا ضم « الأمير مودود صـــاحب الموصـــل وسكان القطبى صـــاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر و الأميران ايلنكى وزنكى أبنا برسق حاكم همدان وخوزستان والأمير احمد بك واحمديل أو احمد الثـــانى الكردى (٨٣) صـــاحب مراغـــة فى آذربيجان ، وابو الهيجـــاء صـــاحب أربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

---

(٧٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٦١ عن ابن القلانسي ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الأخيران الامبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الامبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية فى طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الأثير ، الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٦ ، ســـعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦١ عن ابن الاثير

Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

(٨٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، ســـبط بن الجـــوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : النجـــوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١ ، العينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٤هـ والراجح أن ذلك غير صحيح) ، ابن خـــلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩٤

Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيـادة مودود من جديد لمحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يشـا مودود ان يضيع الوقت ، وانمـا راى أن يهـاجم بعض القلاع الصليبية فى منطقة الرها ، ونجح فى الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى اذا ما تكامل تجمع الجيوش الاسـلامية فى سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرهـا ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليـها (٨٨) . ذلك ان مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منـذ العـام السابق (٨٩) ، فى الوقت الذى كان الجيش الاسلامى يعانى من نقص المؤن ، ممـا اضطر مودود الى التخلى عن حصـارها (٩٠) .

وهنـا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة ١١١١م (٥٠٥هـ) هـذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٠٣هـ) . فذكرت

---

(٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216.

(٨٦) ابن الاثير : البـاهر ص ١٧ ،
Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216
ابو شـامه : الروضـتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر ان ذلك كان سنة ٥٠٢هـ والصحيح ٥٠٥هـ)
Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 من (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٢ . سـعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٤٦١ من ابن الاثير .

(٨٨) ابن الاثير : البـاهر ، ص ١٧ ،
Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,
ابو شـامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٨ ، ابو الفـدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٢٥ ابن لوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ .

(٨٩) Fulcherii : Op Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463, L'Epopée, p. 89.

(٩٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

أن المسلمين عندما فشلوا فى الاستيلاء على الرهـــا ٥٠٥هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرهـــا وحملوا اليـــها المؤن والذخـــائر ثم أجـلوا الضعفاء من المدينـــة ونقـلوهم الى الجـــانب الشـــامى (٩١) .

والواقع هو أن الجيوش الاســـلامية قضت امـــام الرهـــا ١١١١م (٥٠٥هـ) بضـعة أيـــام ثم تركتها بعـــد ذلك واتجهت الى سروج ولكنهم قبل أن يعبروا نهر الفرات توقفوا أمام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك فى نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥هـ) وكان بهـــا عندئذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الاتراك بامدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمســـة واربعين يوما لكنهم اخفقـــوا فى الاســـتيلاء عليها (٩٤) ، فاكتفوا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفى تل باشر حـــدثت بعض الظروف التى حـــالت بين مودود وبين تكملة مهمته فى امـــارة الرهـــا ، اذ توفى عندئذ سكمان القطبى وحمـــل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتشفى متى الرهـــاوى من موت سكمان ويعتبر ذلك « عقـــابا انزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لاقليم الرها والمذابح التى قـــام بها فيه (٩٧) » .

---

(٩١) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ١٩٤ ، عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ (من تـــاريخ بيبرس) ، الطبـــاخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ، ص ٤٠٦ .

(٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٩٤) ابو شـــامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٩ . Mattieu : Op. Cit., p. 96.

(٩٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٦) الفـــارقى : تاريخـــه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفـــارقى : تلخيـــص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

(٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

كذلك كان البرسقى صاحب همذان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من اهم العقبات التى فككت وحدة الجيوش الاسلامية وقتذاك هذا بالاضافة الى ما دب فى صفوفهم من خلاف « فقد طمع احمد يل فى بلاد سكمان وهى أرمينية وخلاط وديار بكر (٩٩) » .

ولا ادل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذى تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك انه « منذ فترة طويلة سمع احمد يل من تمجيد شجاعة جوسلين فتم بينهما اتفاق ودى اصبحا عن طريقه اخين »(١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد ان المصادر والمراجع تشير الى انه فى الوقت الذى كانت تل باشر على وشك السقوط فى أيدى المسلمين التمس جوسلين النجدة من احمد يل الكردى وحمل اليه مبلغا من المال فى مقابل قيامه بابعاد الجيش المحاصر فوافق احمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا الى أن المسلمين بالشام ارسلوا الى مودود يستنجدونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تنكريد الذى هدد شيزر وقطع منها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رضوان صاحب حلب بمودود واحمد الكردى وارسل يستحثهما على الاسراع اليه قائلا

---

(٩٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان . حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٦ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464, سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢ المرجعين عن (ابن العديم)، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ (عن ابن العديم ، ابن القلانسى) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« انني قد تلفت واريد الخروج عن حلب فبادروا الى الرحيل » وعندئذ اقنع أحمد الكردى الاتراك بترك حصار تل باشر والاتجاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمأن جوسلين الى ابتعاد المسلمين عن قلعته خرج على راس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومائة من المشاة وباغتت مؤخرة الجيش المنسحب وقتل منه حوالى الف رجل وعاد الى تل باشر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهاوى أن مودود غادر تل باشر الى شيزر (١٠٥) نجد المصادر الأخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهى المفروض ان يمر عليها أولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحملة بالتفصيل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالاشارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجد بالسلطان والخليفة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسلمين وهم امام تل باشر . ذلك انه حدث عندما اقترب الجيش الاسلامى من حلب أن خاف رضوان على امارته من جيش المسلمين وبدأ يعمل حسابا لأطماع أمراء المسلمين اكثر مما عمل لأطماع تنكريد (١٠٧) . لذلك ارسل الى مودود وأحمد الكردى يخبرهم « بانه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبادر عند وصول الجيش الاسلامى

---

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢ (من ابن العديم) .
(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة عن (Albert)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.
(١٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 97.
(١٠٦) Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 244.
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، أبو الفدا : حـ ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .
(١٠٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400.
(١٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 464, L'Epopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة فى وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بأن عاثوا فى ضواحى حلب و « فعلوا اقبح من فعل الفرنج »(١١٠) .

وفى ١١١٢م (٥٠٥ ــ ٥٠٦هـ) قام مودود بحملته الثالثة على الرها وفى تلك المرة توجه اليها بمفرده (١١١) . دون ان يشاركه احد من باقى امراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التى احاطت ببقية الأمراء فى ذلك الوقت وانشغالهم بخلافاتهم او بمرض بعضهم او وفاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الي تلك الحملة بشيء من الايجاز فوصفت كيف سار مودود صاحب الموصل الى الرها فى المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شان الفرنج ولم يحترز منهم ، فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المراعى فاخذ الفرنج كثيرا من العسكر فلما تاهب المسلمون للقائه انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع ان مودود ظل محاصرا للرها حوالى شهرين من ابريل الى

---

(١٠٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ٢١ ، كرد على خطط الشام ، حـ ١ ص ٢٩٧ ،

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit., p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١١١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٦٧١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

يونيه ١١١٢م (١١٣) (ذو القعدة ٥٠٥هـ ، المحرم ٥٠٦هـ)(١١٤) كما ذكر ابن القلانسي . وفي خلال هذين الشهرين حاول مهاجمةالرها مرتين(١١٥) . ويبدو ان هجومه كان مباغتا لم يتوقعه أهل الرها الذين كانوا مشغولين ببعض أعيادهم (١١٦) .

وعندما وجد مودود أن الرها صعبة المنال تحول الى سروج المركز الفرنجي الثاني شرقي الفرات(١١٧) . وهناك ترك خيوله ترعى في المناطق المحيطة دون ان يعنى باتخاذ اية تدابير وقائية ضد أعدائه(١١٨) . ونسى أن جوسلين أسرع الى سروج ليعاقبه بضربة قاسية(١١٩) . ذلك ان جوسلين اسرع على رأس ثلثمائة فارس ومائة من المشاة الى سروج حيث انقض على الاتراك البالغ عددهم الف وخمسمائة ، فاوقع بهم واخذ خمسة من زعمائهم أسرى وغنم امتعتهم ، وعندئذ أسرع من نجـة من الاتراك بالفرار الى حيث مودود قرب الرها . وعندما علم مودود بما حدث تقدم ضد جوسلين الى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا الى الرها (١٢٠) .

---

(١١٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١

Gibb : Op. Cit., p. 127.

والراجح ان التاريخ الذي حدده ابن القلانسي هو الصحيح لانه المعاصر اكثر لتلك الأحداث وان بقية المصادر السابقة قد أخرت بداية تلك الحملة شهرا عنه .

(١١٥) Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٨) ابن القلانسي: الذيل ، ص ١٨١ Gibb : Op. Cit., p. 127.

(١١٩) ابن القلانسي : نفس الصفحة Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١٢٠) Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

وبعد أن قضى مودود سبعة أيام امام سروج عاد مرة اخرى الى الرها (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه اليها ليساعد بلدوين دى بورج (١٢٢) . ولكن حدث أن قام الأرمن بمؤامرتهم فى الرها ، وهى المؤامرة التى سنتعرض لها بالتفصيل فى فصل طبقات المجتمع . ويهمنا من أمر هذه المؤامرة الآن ان بعض المراجع اشارت الى أن مودود اوشك أن يستفيد من تلك الأحداث ويستولى على الرها(١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مودود لم يوفق فى حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربيـة الى حملة اخرى قام بها مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) بالاشتراك مع « تميرك صاحب سنجار والأمير اياز بن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق . وساروا جميعا الى الشام فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منهم عندئذ بغدوين صاحب القدس وجوسلين صاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية فى ثالث عشر المحرم فهزم الفرنج وكثر القتل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك أن جوسلين كان يحارب عندئذ بوصفه تابعا لملك بيت المقدس . ولم يكن فى ذلك الوقت « صاحب تل باشر والرها » . كما ذكر ابن الأثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينه وبين بلدوين دى بورج وبعد طرده من امارة الرها .

ويهمنا من أمر هذه الحملة انها كانت اول بادرة للاتحاد بين الأمراء

---

(١٢١) Mattieu : Ibid., p. 101.

(١٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١٢٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٢٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٨ .

المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة لتلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يذكر انه كان لها تاثيرها البالغ عليها . وهو ينفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧هـ) ان تقدم الأمير مودود قائد جيوش المسلمين على رأس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران فى الوقت الذى كان بلدوين أمير الرها موجودا بقواته فى مدينة تل باشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه ان حشدا من الأهالى تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الأمير تلك الوشايات فارسل فى الحال الى امير سروج بأن يحضر الى الرها وامره باخراج الأهالى المشتبه فى سلوكهم . وهكذا سفكت دماء كثير من الابرياء وهلك اناس لا ذنب لهم مما ترك اثرا سيئا فى نفوس اهل الرها الأرمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد احد الباطنية وذلك فى ربيع الأول (١٢٩) أكتوبر ١١١٣م (١٣٠) . وبعد مقتل مودود « اقطع السلطان

---

(١٢٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

(١٢٨) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 - 105.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٦٧ (أ) . ويبين ابن الاثير ذلك بقوله : ان الأمير مودود كان قد اذن للعسكر الاسلامى بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه فى الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ممسكا بيد طغدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائما فحمل الى دار طغدكين الذى حاول ان يجعله يفطر فرفض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فانى ميت لا محالة » . وتوفى بعد ذلك فقيل أن الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغدكين فوضع عليه من قتله .

(١٣٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) » . ويبدو ان ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى السلطان مكانه من هو أكفأ ، ولم يلبث ان سير السلطان الأمير قسيم الدولة آقسنقر الى الموصل واعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر وتمبرك صاحب سنجار وغيرهما (١٣٣) . وكان ان زحف البرسقى على ماردين فنازلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا يقدر بثلثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل الجميع الى الرها فى ذى الحجة ٥٠٨هـ (١٣٥) — ١٥ مايو ١١١٤م (١٣٦). وبلغ عدد جيش البرسقى فى تلك الحملة حوالى خمسة عشر الف فارس (١٣٧) .

على ان الرها صمدت لآقسنقر « واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ

---

(١٣١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٢٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٠٧ . Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit., p. 403.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط جـ ١ ص ٨٠ (أ) .

وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم (١٣٨) » . وقد ظل حصار الرها مدة « شهرين وأيام (١٣٩) » . وقيل شهرا (١٤٠) .

وكان أن دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن آقسنقر، الى رفع حصاره من الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتى سميساط وسروج (١٤١) . ويقول متى الرهاوى انه وصل الى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فاجتمع كل الفرنج فى تلك الضفة الغربية من النهر ضده فعاد البرسقى الى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢). والراجح أنه اشتبك وهو فى طريق عودته فى معركة مع ايلغازى بن ارتق امير ماردين لانه لم يلحق به بنفسه.(١٤٣) . فقاتله ايلغازى « والحق به الهزيمة واسر ابن السلطان ولكنه اطلقه بعد فترة (١٤٤) » . وعاد آقسنقر بعد حملته هذه الى بغداد . وترك الموصل ليقيم بها الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة اربع عشرة وخمسمائة (١٤٥).

---

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٤٧٢ .

(١٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491. .

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٩ اما ابن الفرات: مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (ب) فيذكر انه نزل على سروج خمسة ايام واكل العسكر غلاتها وزرعها . اما ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجار وسميساط) والراجح انه اخطأ ووضع سنجار بينهما .

(١٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل . حـ ٨ ص ٢٦٩ .

(١٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

اما اثر الهزيمة التى حلت باقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقــام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومــع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هــذا بالاضــافة الى ان السلطان احل برسق بن برسق حاكم همذان ، محل آقسنقر قائدا عاما لحركة الجهاد ضــد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصــل امام الرهــا ١١١٥م (٥٠٩هـ) وبعــد أن « اســتراح بضعة أيــام (١٤٧) » . عبر الفرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . فى حين يشير متى الرهــاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد أن استراح امام الرهــا ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى انطاكية وشيزر . وفى تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الأولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن أرتق وطغتكين امير دمشق ولؤلؤ الخصى امير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة الب ارسلان (١٥٠) . وقــد أوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو أن البعض يذكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبــا لم تخرج فيها حملات من قبــل الســلاجقة او الموصل ضــد الرها ، وأن كانت الرها قــد تعرضت فى

---

(١٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(١٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(١٤٨) Setton : Op. Cit., p. 404.

(١٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(١٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.

(١٥١) Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.

(١٥٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

ربما يكون الفاصــل هنا هو راى ابن الأثير الذى ذكر عن تلك الحملــة انه عندما توجــه جيش برسق ابن برسق الى حمــاه للاستيلاء عليهــا ســار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصــاحبها روجيل وسألوه أن يســاعدهم على حفظ مدينة حمــاه فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صــاحب القــدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رايهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقــام تفرقوا فعــاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشــق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢) » .

تلك الفترة لهجمات من جانب الأراتقة كما سنرى ، وفى أثناء تلك الفترة توفى الخليفة المستظهر بالله فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (١١١٨م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفى السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب أرسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١هـ (١١١٧م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفى صفر ٥١٥هـ (١١٢١م) اقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها للأمير آقسنقر البرسقى (١٥٦) . وهذه هى ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا فى عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استنجاد أهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تمرتاش بن ايلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب فى حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكات دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

---

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .

(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ ويذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧ انه توفى فى ٢٤ ذى الحجة ٥١١هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك فى الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ هنا يذكر ابن الأثير فى الكامل سبب توليته فيقول « انه كان فى خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الأثر الحسن فى الحرب بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى وتقدم الى سائر الأمراء بطاعته وأمره بمجاهده الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها فى عساكر كثيرة وملكها وأقام يدبر أمورها ويصلح أحوالها » .

(١٥٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ . العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

تنـاول العلاقات بينه وبين الصليبيين فى تلك الفترة ـ اى حملاته ضـد الفرنج عامـة والرهـا خاصـه فى سـنة ٥١٨هـ (١١٢٤م) ، ٥١٩هـ (١١٢٥م) ، ٥٢٠هـ (١١٢٦م) ـ الى الجزء الخـاص بالعلاقات بين حلب والرهـا حتى تولى حكم حلب عماد الدين زنكى ٥٢٢هـ (١٥٨) (١١٢٨م) .

وفى سنة ٥٢٠هـ قتل آقسنقر البرسقى بالجامـع العتيق بمدينـة الموصل بعد صـلاة الجمعـة بيـد الباطنية (١٥٩) . فلما توفى ولى السلطان مكانه ابنه عز الدين مسعود الذى سـار فى الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث ان توفى ٥٢١هـ (١٦٠) . (١١٢٧م) بعـد ثلاثة اشهر فقط قضـاها فى حكم الموصل (١٦١) .

وقـد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على الرحبـة (١٦٢ ، وهى التى توفى اثنـاء حصـارها . ولم يكن لهـذه الوفاة المفاجئة من نتيجـة سوى ان جوسلين اسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من اهلها بخنقهم واسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعـد وفاة مسعود قام اخوه الأصغر بالحكم بدلا منه وسـاعده فى ذلك جاولى مولى ابيه فارسـل الى السـلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرسقى وبذل الأموال الكثيرة فى ذلك (١٦٤) ». لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكي على الموصـل وذلك فى رمضـان

---

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٨ .
(١٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .
(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .
(١٦١) Michel : Op. Cit., p. 228
(١٦٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٢٣ ، ابو الفدا ، المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .
Michel : Ibid., p. 228.
(١٦٣) Michel : Ibid., p. 228.
(١٦٤) ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣١ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يسأله ان يولى دبيس بن صدقة على الموصل فقبح الخليفة المسترشد

---

(١٦٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٤ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ١١١ (ب) ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الياغيسيانى — امير حاجب البرسقى « فحضرا دركاة السلطان ليخاطباه فى ذلك ، وكان يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين محمد الياغيسيانى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفشى اليه سره فخوفه نصر الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وأمثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم » .

وتحدث معه صلاح الدين فى أن يخاطب السلطان فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه فى ذلك وضمن له كل ما أراده فوافقهما على مطلبا . وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين انوشروان ابن خالد فقالا « انه قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حد ماردين الى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — وقد كان البرسقى — مع شجاعته — يكف بعض عاديتهم ، فمنذ قتل زاد طمعهم وولده طفل ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع يذب منها ويحمى حوزتها . وقد انهينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الاثم من الله واللوم من السلطان . فانهى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه — تقربا الى خزانة السلطان — مالا جليلا ، فاجاب السلطان الى ذلك لما يعلمه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ص ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن خلدون ، العبر حـ ٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « ان هذا اعان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكي على الموصل :

واصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكي على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب ارسلان او فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه وجعل زنكي أتابكه ومن ثم عرف زنكي بالأتابك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكي الموصل وولى الأمير جاولى على الرحبة واعمالها (١٦٩) .

وفي ٥٢٣هـ (١١٢٩م) « سار اتابك ووطيء بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله (١٧٠) » .

ومنذ تولى اتابك زنكي حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامي وعن التفكير في الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

---

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٢ ص ١١٠ (ب) ، ١١١ (أ) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرماني : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٢ ، ص ١١١ أ ، ب ، الذهبي : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرماني هنا ان معنى اتابك اي الذي يربي اولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ١١١ (ب) ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٤ ، ابو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٦ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

الاسلامى فاننــا سنجد أنفسنا فى حاجــة الى ان نفرد لتلك الشخصية بحثا باكمله ، لذلك سنكتفى هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الاسلامى العظيم ضــد الرهــا قبل سقوطها فى يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتى مثل السلاجقة فيها ولاتهم بالموصل .

كان زنكى منذ اللحظة الأولى لتوليه حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على النفوذ الصــليبى فى الشرق . لكنــه لم يرغب أن يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشــام ، وانما كان يرمى الى أبعــد من ذلك . ولكى يحقق ما صمم عليه رأى أن يتانى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جــانب الصــليبيين فى الرهــا وسروج والبيرة وغيرهــا (١٧٢) . من المراكز الصليبية التابعة لامارة الرها الصليبية ، نجــده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى اسلوب السياســة ، فارســل الى جوسلين وهادنه حتى يتفرغ له وتم الصــلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هــذا هو السبب فى أن ابن العديم عند كلامه عن توجــه زنكى الى حلب فى تلك السنة اقتصر على القول بأنه « رعى عسكره زرع الرهــا (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكى بمحاولة جــادة ضــد امارة الرهــا فى بدايــة حكمه للموصــل ، وان كان هــذا لم يمنعه من ارســال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين فى الرهــا وغيرها بين حين وآخر من ذلك انه ارسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ ــ ١١٣٠م) الفى فارس لمهاجمة معرة مصرين ــ وهى للفرنج ــ فاغارت تلك القوة على تل باشر واوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حــدث حوالى ١١٣١م ــ ٥٢٦هـ أن

---

(١٧٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شــامة : الروضتين، حـ ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلــدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ يــذكر الاخير ان ذلك كان ٥٢٣هـ اما متى الرهــاوى فيــذكر انــه كان ١١٢٨م ــ ٥٢٢هـ
Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ .

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، حـ ٣ مخطوط، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى امير الموصل ضد الرها ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزموهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سلاجقة قونية وامارة الرها :

المقصود هنا بسلاجقة قونيه ، سلاجقة الروم . وجد هذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعة ماتريكرت افسطس (١٠٧١م — ٤٦٣هـ) التي منى فيها البيزنطيون بهزيمة منكرة(١٧٨) ، جاء سليمان بن قتلمش الى آسيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة رباعها تقريبا(١٧٩) . وقد اختار سليمان مدينة نيقية لتكون مراكزا له وهى المدينة التى اصبحت أول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الأناضول حتى حلت محلها قونيه . والواقع انه فى ١٠٩٢م/٤٨٥هـ قامت سلطنة قونيه على يد قلج ارسلان الأول بن سليمان(١٨٠) .

كانت أولى احتكاكات سلاجقة قونية بامارة الرها ، فى عهد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢م الى ١١٠٧م(١٨٢)/٤٨٥ — ٥٠٠هـ (١٨٣) . ذلك انه وصل فى ٤٩٩هـ (١١٠٦م) فى عسكر كثير وقصد الرها ونزل قريبا منها فارسل أصحاب جكرمش المقيمون بحران يستدعونه لتسليمها اليه ، فوصل اليهم وتسلمها منهم واستبشر الناس بوصوله الى الجهاد واقام اياما

---

(١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.
(١٧٧) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .
(١٧٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 344 (1968),
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥م) ،
سعيد عاشور : الحركة . حـ ١ ، ص ٨٨
(١٧٩) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٩٠ .
(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ — ٩٣ .
(١٨١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .
(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.
(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا اوجب عودته الى ملطيـة فى حين اقام اصحابه بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هـذه الحملة بانهـا كانت فى ١١٠٦م اى (٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سبق ان قلج أرسلان قدم بجيش هائل وحاصر الرهـا لبضعة أيـام مؤملا ان يصبح سيد هـذه المدينـة لكنه اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة ثم عاد الى بلاده (١٨٥) .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى أن سلطان ملطية السلجوقى كان من جملة اعضاء التحالف الفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالف الذى كان يضم الملك بلدوين الثـانى وجوسـلين الاول ودبيس بن صدقه وأخرين (١٨٦) والذى سنتكلم عنـه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ، وهـذا يعنى انه كانت هنـاك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع ملطيـة وبين الرها . كما يعنى ايضا أن سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين قونيـة تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة فى ملطية (١٨٧) .

---

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 82

(١٨٦) Mattieu : Ibid., p. 142.

ففى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قـد عين أربعة ابناء لقلج ارسلان الأول السـابق الذكر وهم : مسـعود وملكشـاه وعرب وطغرل ارسلان . خلف الأول والده واتخذ اقامتـه فى قونيـة وترك أخويه عرب وطغرل ارسلان فى ملطية وسجن ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرم من النظر . وعلى ذلك يكون أما عرب وإما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليـه متى الرهاوى هنا .

اما رنسيمان فيشير الى انه حوالى ١١١٨م (٥١٢هـ) كان الذى يحكم فى ملطيـة هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسعود تحت وصـاية امه وزوجها الثـانى بلك بن أرتق لكن ربما كـان يقصـد هنـا عرب وليس مسعود باعتبار ان الأخير كان فى قونية .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207-8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الامبراطور يوحنا
=

وفى ١١٣١م (٥٢٦هـ) قـــام جوسلين بحملة ضد سـلطان قونيــه ولكن جوسلين توفى أثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيــل السريانى أنه بعــد ان علم (ايلغــازى) ــ والصحيح هو مسعود بن قلج ارسلان ١١١٦ ــ ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ ــ ٥٥١هـ(١٩٠)) ــ بوفـــاة جوسلين الاول أوقف المعركة وارسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقـــال أننى أحرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفـــاة ملككم(١٩١) » .

ويفهم من تلك العبـــارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليم الصـــورى يشير الى أن العـــدو انسحب قبـــل أن يموت جوسلين (١٩٢) » .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣هـ) عندما يخبرنا ابن العبرى « أن مسعود حـــاكم قونيه هـــاجم اقليم كيســـوم واستولى على القرى وحرقها(١٩٣) » . وبعـــد ذلك بحوالى احـــدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤هـ) اى بعد ســـقوط الرها بنحو خمس سنوات « اوغـــل مســـعود بن قلج ارسلان جنوبا فى بلاد الشـــام بجيش هـــائل فاستولى على عـــديد من المدن والقلاع وحـــاصر تل باشر وفيها جوسلين الثـــانى وزوجتـــه واطفاله . ثم ســـاد السلام

=

الثـــانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م ــ ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امـــارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونيـــة وما جاورها وملك غـــازى فى سيواس وجهاتها وطغرل ارسلان بن قلج أرسلان فى ملطيـــة وتوابعها » (اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١٤١) .

(١٨٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101.

(١٨٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(١٩٠) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ؛ ص ٢١٥ .

(١٩١) Michel : Op. Cit., p. 232.

(١٩٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 52.

(١٩٣) Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265.

بين الجانبين بعد أن اطلق الامير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا فى أسره(١٩٤) » .

علاقــة الرهــا بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بـارزا الى جـانب الموصــل فى العـلاقات بين الرهــا والمسلمين ، فقد مر بنــا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تتش بن الب ارســلان السلجوقى عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالى ٥١١هـ (١١١٧م) عنـدما استولى عليها الأراتقــة ــ كما سنرى .

والراجح انه لم يكن هنــاك اى احتكاك مهم بين حلب والرها فى عهد أميرهــا الاول بلدوين البولونى . ولكن فى بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفى ٤٩٦هـ (١١٠٢م) على وجه التحديد خرج الجيشـان الانطاكى والرهوى وتوجها الى حلب « واقاموا بها أيـاما (١٩٦) » وبعــد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على أن يدفع لهم « سبعة آلاف دينــار وعشرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرهــا من تل باشر واغــاروا على « بـلد حـلب الشـمالى والشرقى واحـرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنــا ما كان من أسر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

---

(١٩٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

(١٩٥) تشير (انــا كومنين) فى الالكسياذه الى أن حلب كانت تسمى بروبا Berroea او خالب Chalep
(Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)
أما ياقوت الحموى : معجم البلدان . حـ ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها (باروا) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى .

(١٩٦) ابن العــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٠ .

(١٩٧) المصدرين الســابقين نفس الصفحات .

(٤٩٧هـ) الى أن تم اطلاق سراح بلدوين ١١٠٨م (٥٠٢هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على أساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم أطلق جاولى سراح جوسلين ايضا وسيره الى بلدوين كى يرسل الأسرى والمال الذى اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من أصحاب الأمير جاولى فانكروا عليه ذلك واعتبروه غدرا (١٩٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٩٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج أطلق بالفعل — كما تعهد لجاولى — حوالى « مائة وستين أسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد أن كساهم (٢٠٠) » ، الا أنه فى نفس ١١٠٨م — ٥٠٢هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر فى طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الأمير جاولى سقاوه على قمص الرها فاخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلعة الجسر(٢٠١) » .

---

(١٩٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٢(أ) ، الطباخ الحلبى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(١٩٩) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٣هـ — ١١٠٩م ولكن الراجح انه اخطأ فى ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٢٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٤(ب)، ٢٥ ا) . اما العينى عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ فيذكر « أنه بينما كان الملك رضوان متوجها من حلب الى الرقة لنجدتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صالحه بنو نمير على مال فرحل عنها الى حلب » .

وفى سنة ٥٠٨هـ ١١١٤م توفى الملك رضوان صاحب حلب — وهو الذى سبق أن اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢هـ (١١٠٨م) — وخلفه فى حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخصى . وعندما علم لؤلؤ بأن السلطان ارسل برسق بن برسق على رأس حملة ضد الفرنج ٥٠٩هـ — ١١١٥م ، خشى أن يستولى برسق على حلب ولذا انضم الى الجانب الفرنجي الذى سبق ان اشرنا ان طغتكين حاكم دمشق وايلغازى كانا قد انضما اليه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب فى علاقتها مع الفرنج فى ذلك الدور كانت تنضم فى غالبية الاحيان الى الجانب الفرنجى وخاصة امارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحياد فى حركة الجهاد التى قام بها مودود ١١١١م (٥٠٥هـ) والتي جاءت أصلا نتيجة لاستنجاد حلب بالخليفة . وأخيرا أدى تخوف رضوان من السلاجقة اكثر الى ان «يعلن لمودود انه لا يمكنه الاتحاد معهم لأنه اصطلح مع تنكريد وانه يحتفظ بالحياد (٢٠٣) » .

وفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م) دخلت حلب فى حوزة الارانقة . وانتهت حالة الهدنة التي كانت قائمة بين حلب والفرنج . ففى هذه السنة « اشتد الغلاء بانطاكية وحلب لأن الزرع عرق ولحقه هواء عند ادراكه اتلفه (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة واغاروا على حلب واخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالي بدمشق ولكن جوسلين ومعه عساكر الفرنج أوقفوا تلك النجدة . وفى نفس الوقت استنجد أهل حلب بالموصل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار احوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على اعزاز « وضايقوها واشرفت على الأخذ وانقطعت قلوب اهل حلب اذ لم يكن يقي حلب معونة الا من عزاز وبلدها وبقية

---

(٢٠٢) Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

بلد حلب فى ايدى الفرنج والشرقى خراب مجسدب (٢٠٦) » لذا استنجد اهل حلب بايلغازى بن أرتق ، فحضر الى حلب وملكها من سلطان شاه بن رضوان بن تتش ٥١١هـ(٢٠٧) .

وهكذا اصبح ايلغازى حاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق التفاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩م) ان يجعلهم يرحلون من اعزاز مقابل اعطائهم مبلغا من المال « فلم يلتفتوا لقوة طمعهم فى امر الأسلام ، وكان ايلغازى يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حد التلف(٢٠٨) » . فلما يئس أهل عزاز سلموها الى الفرنج فتم الصلح بينهم وبين حلب على أساس أن يساموا للفرنج تل هراق (٢٠٩) والف دينار وتكون لهم من حلب شمالا وغربا . وزرعوا امثال عزاز وصار يدخل الى حلب ما يتلعون به من القوت (٢١٠) .

وفى نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا الى ما ذكره متى الرهاوى يبدو انه حدث خلاف بين ايلغازى وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الأول يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالى ثمانين الف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل بقواته هذه أمام اسوار الرها حيث توقف اربعة ايام ثم اتجه الى

---

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٣٦ اما ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٢ فيذكر أن دخول ايلغازى حلب وفتح الفرنج لاعزاز كان ٥١٢هـ . فى حين يشير ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « ان الفرنج استولوا على عزاز فى شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧م) ولقى اهل حلب منهم شدة عظيمة الى ان فتحها نور الدين محمود بن زنكى فى ٥٤٥هـ » والراجح أن التاريخ خطا بدليل أن ابن العديم نفسه هو الذى ذكر أنها اخذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٥ (انها من حصون حلب الغربية) .

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . اما ميخائيل السريانى فيشير الى أن ايلغـــازى جمع بعض القوات فى تلك السنة وغزا بلاد الرهـــا واحرق المحاصيل . وعندما لم يجـــد أحدا يخرج لمنــــازلته رجع ودخل اقليم انطاكية واخـــذ معـــه بعض الأسرى ثم عـــاد الى بلاده (٢١٢) .

اما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازى توجــــه فى ٥١٣هـ « فى عســـكر يزيد على أربعين الفا وقطـــع الفرات وامتدت عساكره فى أرض تل باشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربهـــا يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قـــدروا عليـــه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السبـــابقة من تباين فانها تشير الى الـــدور الايجابى الذى قام به ايلغازى الأرتقى فى تلك السنة ضد الرهـــا .

وقـــد رد جوســـلين فى بدايـــة حكمـــه للرهـــا على تلك المحـــاولات العداونيـــة من جانب ايلغازى بالاغارة على « منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية ، واخـــذ كل ما وجـــده من دواب وأسر رجالا ونساء (١١٥) » .

وفى ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازى من جـــديد حملة ضـــد الفرنج وهى الحملـــة التى تركت اثرا واضحا على الرهـــا والتى ذكرهـــا متى الرهـــاوى بالتفصيل . ذلك انه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائـــة

---

(٢١١) Mattieu : Op. Cit., p. 122.
ويقال أن تلك الحملة كانت فى بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)

(٢١٢) Michel : Op. Cit., p. 205.
ربما تكون هذه هى الحملة التى اشار اليها
(Iorga : Bréve Hist., p. 82).
عندما ذكر أن ايلغازى قاد حملة غير ناجحة ضد الرها فى ١١١٩م .

(١١٣) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠١ انها تلعة من نواحى حلب .

(١١٤) ابن العـــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٧ الطبـــاخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٣٠ .

(١١٥) ابن العديم : المصدر الســـابق حـ ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين الف محارب . وتوجـــه مسرعا الى أسوار الرهـــا حيث عسكر أمامها اربعة ايام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات بجزء كبير من قواته وانتقل من تل باشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتـل ويأسر وينهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخـرج لمطاردة الاتراك ، وانقض عليهم وقتل الفـا وعندئـذ انسحب ايلغازى ليعســكر قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج فى جانب واجتمع ايلغازى وطغتكين فى جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عقدت هدنة بين الطرفين تنازل فيها ايلغازى للفرنج فى انطاكية عن « المعرة وكفر طاب والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون برسم تل اغدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو ان ايلغازي عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته من جـديد وحتى يتمكن من اضـــافة فرق جديدة الى جيشــه ثم يعود ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجـده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى ماردين ليجمع العساكر (١١٨) » . بعد ان ترك بحلب ابنه شمس الدولة سليمان بن نجم الدين ايلغازى مع نائبه مكي ابن قرناص الحموى (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازى والفرنج فان جوسلين امير الرهـــا

---

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291.
ويذكر ابن العديم : ان ذلك كان فى ٢٥ صفر ٥١٤هـ (ابن العديم : الزبدة ، حـ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ وهو يسمى تلك الموقعـة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينـة حلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤٧٠) . وجبـل السماق هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية (ياقوت : حـ ٥ ص ١٠٢) اما ليلون ويقال ليلول فهو جبل مطل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت حـ ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصـــدر الســـابق ص ١٩٨ - ١٩٩ .

غـــدر بالصلح واغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بانه أسر له والى منبج اسيرا وانـــه كاتب فى ذلك فلم ينصف وذلك فى شوال ٥١٤هـ / يناير ١١٢١م (١٢١) . وقتل وسبى واحرق كل ما فى النقرة والأخص ؛ ثم اخـــذ المشـــايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم فى البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد الى تل باشر وخرج من جـــديد فكرر ما فعله فى المرة الســـابقة . لذلك أرسل والى حلب الى ملك بيت المقـــدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هـــذه البلاد خاليـــة من العساكر الا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجـــد جوسلين ان ايلغازى قـــد انشغل عن امر الشـــام فى ماردين بدبيس بن صـــدقة (١٢٤) ، توجـــه الى حلب « واستولى على معظمـــه (١٢٥) » ، كما اغـــار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقعة شمال حلب قرب وادى بطنان ونجح فى خرق جزء من جدرانها ، ولم يرفـــع حصـــاره عنها الا بعد أن دفـــع له

---

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١١٤ أن الأخص بنواحى حلب كورة كبيرة مشهورة ، قصبتها خناصرة وهى المدينـــة التى كان ينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ١ ص ١٩٧

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر الســـابق ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « انه فى هـــذه السنة هرب ملك العرب دبيس بن صـــدقة الأسدى فاكرمه نجم الدولة مالك ثم ســـار الى ايلغازى الى مادين وتزوج ابنته فاستند به وأجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل اليه ايلغازى ما يفوت الاحصـــاء فاشتغل ايلغـــازى بدبيس عن العبور الى الشـــام .

(١٢٥) ابن العديم : المصـــدر الســـابق ، ص ١٩٨ .

مبلغا من المـال (١٢٦) . وفى مايو ١١٢١م (٥١٥هـ) هاجم جوسـلين قلعة الأثارب الى الجنوب الشرقى من حلب واحـدث مذبحة ضخمة فى اهلها من المسلمين (١٢٧) .

عندئذ « كتب ايلغازى الى ولده ونوابه يأمرهم بصـلح الفرنج على ما يريدون فصـالحوهم على سرمين والجزر وليلون واعمال الشمال على انها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم فى رحى العربيـة وعلى ان يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفئتين فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الاثارب فوافق ايلغازى لكن الاهالى ناضـلوا بشـدة من اجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولـما كانت تلك الشروط مجحفة باهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦هـ (١١٢٢م) فى عـدد هائل الى عزاز لكن الهزيمـة حلت بهم وقتل عـدد كبير منهم (١٣٠) .

وفى نفس السنة تقـدم ايلغازى من ماردين الى حلب ليقاتل الفرنج بعـد ان جمع جيشـا كبيرا وبعـد أن وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القـدس وجوسلين أمير الرهـا لمقاومته ولكن لم يحـدث اى اشتباك بينهما وعـاد كل منهما الى بلاده فى سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

---

(١٢٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصـدر السـابق ، ص ١٩٨ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركـة ، جـ ١ ص ٥٠٩ من ابن العـديم محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ، ص ٤٦ .
Setton : Ibid.. p. 416.
والاثارب قلعة معروفـة بين حلب وانطاكية (ياقوت : جـ ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبـدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٩ . وهو يـذكر ان جوسلين كان ممن تولوا المفاوضـات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السابق نفس الصفحة
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(١٣١) Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537.

وفى الوقت الذى دخل فيه ايلغازى حلب توجه بلك ابن اخيه ليقتفى اثر الفرنج حتى تمكن كما راينا من قبل من اسر جوسلين نفسه ومعه ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم اسر امير الرها جوسلين الا ان ذلك لم يمنع فرنج الرها من محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرها فى شعبان ٥١٦هـ ـ اكتوبر ١١٢٢م « من تل باشر وكبسوا تل قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب ببزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفى رمضان ٥١٦هـ ـ نوفمبر ١١٢٢م « توفى ايلغازى بن ارتق ابن اكسب نجم الدين التركمانى الذى كان فارسا شجاعا كثير الغزو كثير العطاء فولى بعده ماردين ابنه حسام الدين تمرتاش (١٣٥) » .

وقد راينا كيف اسر الملك بلدوين الثانى نفسه مع جوسلين وجاليران ثم كيف افلت جوسلين من الأسر ٥١٧هـ (١١٢٣م) وعاد الى الرها ليجمع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس (١٣٦) . ولكن عندما علم بعودة بلك الى خرتبرت واحتجازه للملك مرة أخرى ثارت ثائرته وقام بالعديد من اعمال التخريب فى اقليم حلب ٥١٧هـ (١١٢٣م)

---

(١٣٢) Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, Michel : Op. Cit., p. 201. سماه متى الرهاوى واليران

(١٣٣) قرية من قرى العواصم من اعمال حلب (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبى العبر ، حـ ٤ ص ٣٦ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : أسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الأخيران ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميافارقين ، فى حين كانت حلب من نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

(١٣٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهى السنة التى تعتبر من اهم سنى الصراع بين الرهـــا وحلب لمـــا شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقـــد وضـــح فى كل اطوار تلك الملاقات فى هـــذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقـــد راى ان ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حـــدوده الخاصـــة وحدود امارة انطاكية المعدومـــة القيادة (١٣٧) .

والواقـــع أن الفرنج اتفقوا على ان يخفوا فشـــل الحملة الموجهـــة لانقاذ الملك بان يوجهوا جهودهم الى اعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لأسر الملك مرة اخرى . فســـار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادى وقاتل بزاعا واحرق بعض جـــدارها ثم احرق الباب وقطـــع شجرة واحرق ما سواه من الوادى . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحيـــة مشهد الجف من الشمال ، وخرب المشـــاهد والبســـاتين وكسر الناس عند مشـــهد طرود بالقـــرب من بســـتان النقرة وقتـــل وسبى مقـــدار عشرين نفرا (١٣٩) » .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى فى البقعة السوداء وخرب مشـــاهد الجانب القبلى وبســـاتينه ونبش الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجـــد فيه شيئا فالقى فيـــه النـــار (١٤٠) » . وفى رمضـــان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

---

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢١٤ ، الطبـــاخ الحلبى : أعلام النبلاء ﺣ ١ ص ٤٥٠ وبزاعة بلدة من اعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، ﺣ ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهى قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ الغزى : نهر الذهب ، ﺣ ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ﺣ ١ ص ٤٥٠ (المقصود هنا رمضـــان ٥١٧هـ) .

هنا يذكر ابن العديم انه كرد فعل لنبش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) امر قاضي حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمي حلب ان تهدم محاريب الكنائس التي للنصارى بحلب وان تعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد (١٤٢) . ولم يبق للنصارى في حلب سوى كنيستان (١٤٣) .

---

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ أما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمي (ت ٨٨٤هـ فيذكران أن تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجح ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ استنادا لراى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلا ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، حـ ١ ق ١ ص ٤٥ يذكر « انه كان بحلب نيف وسبعون هيكلا للنصارى منها الهيكل المعظم عندهم الذى بنته هيلانه أم قسطنطين بانى القسطنطينية وهى التى بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان فى الكنيسة العظمى التى هى تجاه الجامع الغربى وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

اما سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، حـ ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر انه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من ابراجها ، علق هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طمعوا فى حلب وضواحيها ، فصالحهم رضوان بن تاج الدولة تتش ، فاقترحوا عليه اشياء من جملتها ان يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع فوافق . فانكر القاضي ابو الحسن بن الخشاب — الذى كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج فى ذلك فاذ نوافق وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونبشوا ما حولها من القبور فاخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، اما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطأ فى تحديد السنة هو الذى جعل سامى الدهان ينشر ذلك الجزء من احداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) اما اهم الكنائس التى حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهى مكان مدرسة ابن المقدم » اما الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانة والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

وفى تاسع عشر رمضان ٥١٧هـ ١١٢٣م خرج جوسلين الى الوادى والنقرة والأخص واخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لايحصى وقتل وسبى وخرب ما امكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) . ثم اغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك اغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) . وما حولها واخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهى قرية بين حلب وبالس فخنق اهلها بالدخان فى المغاير وفتح المقابر وسلب الموتى اكفانهم (١٤٧) » .

وهكذا كانت حلب هى اكثر المناطق الاسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر وبعد ان أضاع بلك عليه الفرصة فى اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى .

وفى صفر ٥١٨هـ (١١٢٤م) توجهت مجموعة من أصحاب بلك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الأتراك واخذوا من الفرنج حوالى اربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفى نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بلك ابن ارتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية أخرى وهى التى راح ضحيتها بلك نفسه .

---

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجمد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ١٠٧) اما ابن الشحنه : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنه ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٢ .

ذلك أن حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١م (١٥٠) (٤٨٥هـ) تقريبا . وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) حدث سوء تفاهم بين حسان وبلك فأنفذ بلك اليه جيشا مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن أرتق (١٥١). « وتقدم اليهم ان يمروا على منبج ويطلبوا من حسان أن يخرج معهم للأغارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه (١٥٢) » . وبالفعل نفذوا ما طلبه منهم بلك وأخذوا حسان اسيرا « حيث حبس فى حصن بالو بعد أن عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .

ورغم ذلك التعذيب الذى وقع بحسان ، رفض اخوه عيسى أن يسلم البلد الى اتباع بلك . بل اكثر من ذلك أرسل عيسى يستنجد بجوسلين امير الرها قائلا : « ان وصلتنى وكشفت عنى عسكر بلك سلمت اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما رأى بلك تشدد عيسى فى موقفه جمع بعض القوات وسار ضد الفرنج وتوجه أولا الى حلب ومنها توجه لمهاجمة منبج (١٥٥) . فى نفس الوقت كان جوسلين قد توجه الى بيت المقدس وطرابلس

---

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ . الطباخ نفس الصفحة .

(١٥٠) Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا ان بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحى ارمينية بين أرزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر ايضا ان عيسى نادى بشعار جوسلين بمنبج اما متى الرهاوى فيذكر ان الاستنجاد كان بجوسلين وجيوفرى .
(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.
Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op, Cit., V. 1, p. 422.

(١٥٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138.

وبقية المراكز الصليبية يجمع القوات لحرب بلك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبي مع جيش بلك الأرتقي بالقرب من منبج في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨هـ ، ٤ مايو ١١٢٤م (١٥٧) . ويصف لنا متى الرهـاوى تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا . ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعـداد الصـليبيين الا ان كفة الصـليبيين كانت هى الراجحة فى البداية ، فطوقوا الأتراك واجبروهم على الفرار . ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفرى — ومعـه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما بسمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

أما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل العسـكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمسـين حملـة يفتك فيهم ويخرج سالمـا ، يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبات مصليا مبتهلا الى الله تعالى لمـا جـدده على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفى اليوم التالى تجـدد القتال بعـد ان تخلص بلك من كل اسراه فى اليوم السـابق (١٦٠) ، واعطى بلك اوامره بتشـديد الهجوم « وهو فى غمرة فرحـة بنجاحـه (١٦١) » . فى اليوم السـابق . ولكن بينما

---

(١٥٦) Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,

وكان اهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفرى أمير مرعش الى جانب أمير دلوك .

Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩

Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٨) Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦١) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

وقف بلك يدير المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله فى الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جملتها حلب (١٦٤) . وعندئذ نكث قواته الحصار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهاوى صدى موته بقوله « سبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقد حملت الحزن العميق فقد كان دائما مشهود له بالتسامح والعطف على الأرمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهذا يدل بالفعل على تسامحه مع الأرمن لأن متى الرهاوى كان أرمنى الجنسية .

وبوفاة بلك تشجع نائبا جوسلين بالهجوم على اقليم شبختان فى مايو ١١٢٤م ، أواخر ربيع الأول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبها فسار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخاص الذى ركب اليه فى ثلثمائة فارس فلحقه على مرج اكساس فقاتله وقتل أكثر من

---

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.

ويذكر ابن العديم (انه قيل ان السهم كان من يد عيسى فوقع فى ترقوته اليسرى فانتزعه وبصق عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) اما متى الرهاوى فيقول أن قاتل بلك كان احد عباد الشمس .

(Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ .

Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٤ — ٨٢٥

Setton : V. 1, p. 423,

(١٦٥) Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٦٦) Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. I, p. 423,

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعاد غانما وانفذ رؤوسهم وما غنمه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) » . لـذا كـافأ تمرتاش عمر الخـامس بمنحـه حكم حلب (١٦٩) . ومضي تمرتـاش الى ماردين فى الخـامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحـد حتى حوصرت حلب من جـديد بواسطة الفرنج فى شعبان ٥١٨هـ (١٧١) (اكتـوبر ١١٢٤م) (١٧٢) . اذ حـاصرها الملك بلدوين الثـانى وجوسـلين أمير الرها (١٧٣) . فضلا عن دبيس بن صدقة أمير العرب وسـلطان شـاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول أسبابه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد . وقـد أقام الفرنج وحلفاؤهم الحصـار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائـع التى

---

(١٦٨) ابن العديم : المصـدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(١٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423,

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ، العينى : عقـد الجمـان ، هـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ (عن ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصـدر السـابق والصفحة . اما التـاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ فيذكر أن ذلك كان ٥١٩هـ .

(١٧٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩هـ (جوسلين الرومى)

(١٧٤) Mattieu : Op. Cit., p. 141 - 142, Setton : Op. Cit., V. 1 p. 452, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العديم (١٧٥) . وسبط بن العجمى (١٧٦) . بل أن الفرنج عزموا على ان يداوموا حصار المدينة لمدة طويلة حتى يجبروا اهلها على التسليم لهم « حتى انهم بنوا لهم بيوتا لاجل الحر والبرد (١٧٧) ». ويقال ان الحصار استمر حوالى أربعة اشهر (١٧٨) . وكان بحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقد فكر اهل حلب فى ان يرسلوا الى تمرتاش يستنجدون به وبالفعل خرج وفد منهم الي ماردين « مستصرخين اليه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه لم ينجدهم لأسباب اوردتها بعض المصادر الاسلامية ، فبعضها يذكر « انهم وجدوا ان اخاه سليمان ــ بن ايلغازى صاحب ميافارقين كان قد توفى فى رمضان وسار

---

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ . فقد ذكر أن الفرنج « اقاموا على حلب يزاحمونها وقطعوا الشجر وخربوا المشاهد الكثيرة ونبشوا قبور موتى المسلمين ، واخذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها اوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطع اوصاله . فربطوا فى رجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين . . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، ح ١ ص ٥١ . فقد قال : « اكل اهل البلد القطاط فى هذه الشدة ولما طال الحصار عليهم وقلت ازوادهم وقع فيهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الاثير : الكامل ، ح ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، ح ١٥م ٤ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشام ح ١ ص ٣٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، ح ١ ص ٤٥٧ ، اما ابن ايبك : كنز الدرر ، ح ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « ان حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتى وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، ح ١ ص ٤٥٧ وكان تمرتاش قد تولى أمر ماردين من ٥١٦هـ وظل بها حتى ٥٤٧هـ . (زامبور : معجم الانساب ، ح ٢ ص ٣٤٥) .

تمرتاش الى البلاد ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) » .
والبعض يقول « انه قال لهم خلوهم اذا اخذوها عدت واخذتها (١٨٢) » .

والبعض يشير الى أنـــه « ظهر لهم من صـــاحبهم تمرتاش بن ايلغازى الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون يذكرون « لم ينجدهم صاحبها تمرتاش لايثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكـــان ان اتجـــه أهـــل حلب الى طـــلب النجـــدة من آقســـنقر البرسقى (١٨٥) . الذى كان مريضـــا ، فنذر أن عافاه الله تعالى ليفرجن من حلب الشـــدة (١٨٦) . فلما شفى توجـــه الى حلب « فلما قاربها رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوشن وابعدوا عن المدينـــة ، فلما وصـــل ســـاق وعسكر خلفهم مـــع اهل البلد فانهزموا بين يديـــه (١٨٧) » وحفظت المدينـــة (١٨٨) . ويقال أن ذلك كان بتأييد الطبيعة (١٨٩)

---

(١٨١) ابن العديم : نفس المصـــدر والصفحة .
(١٨٢) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، ح ١ ص ٥١ .
(١٨٣) ابن الاثير : الكامل ، ح ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، ح ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .
(١٨٤) الغزى : نهر الذهب ، ح ٣ ص ٨٦ ، كرد على ، خطط الشام ، ح ١ ص ٣٠٤ .
(١٨٥) يسميه ابن ايبك : كنز الدرر ، ح ٦ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (كنجاك البرشيقى) .
(١٨٦) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩هـ .
(١٨٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، ج ١ ص ٥١ .
(١٨٨) Mattiey : Op. Cit., p. 142,
(١٨٩) يذكر ابن ايبك : كنز الدرر ، ح ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « اقاموا على حلب تسعة ايام فلما كان اليوم العاشر ، تشـــاور اهل حلب ، على انهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعـــد العصر أرســـل الله عز وجل سيلا عظيما اخـــذ الفرنج ودوابهم وجميع مالهم » . أما العينى : عقد الجمان ، ح ١٥م ٤ص ٨٤٠ — ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وان وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كان فى ذى الحجة ٥١٨هـ يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ، يصبح مكملا للعلاقات بين ولاة الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفى ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب خلب والموصل عساكره واستولى على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التى كانت تابعة لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر فى حملته هذه طغتكين حاكم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى جيشهما « بأربعين الف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « فى اليوم التاسع جاء قد عظيم فى نهر قويق وذلك قبل العصر فاخذ خيام العدو وغرق خلق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣١٦
Mattieu : Op. Cit., p. 142,
العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٢ ص ٩٢ (ب) ، روض المناظر : مخطوط رقم ٥٤م تاريخ احداث ٥١٩هـ ، أبو الفدا المختصر ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٣٣ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٧ ، أما ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ١٩٩ فيسميها (عزز) .

(١٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

(١٩٤) Mattieu : Ibid., p. 143.

والواقع أن غالبية المصادر العربية اكتفت بالاشارة الى هذه الحملة اشارة موجزة بقولها « اقتتل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشىء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ؛ فى حين وصفها متى الرهاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقد عقدت هدنة بين البرسقى والفرنج على « ان يناصفهم فى جبل السماق وغيره مما كان بأيدى الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى إلى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال (١٩٩) . بعد أن ترك فى حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملك بيت المقدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث أودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آقسنقر يرحل الى الموصل حتى تقدم الفرنج الى رفنية فاخذوها من ابنه فى صفر ٥٢٠هـ (٢٠٢) (١١٢٦م) فخرج صاحبها شمس الخواص الى آقسنقر مستنجدا وعندئذ جمع لبارسقى الجند وسار الى الشام فوصل الرقة فى أواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

---

(١٩٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥١٩هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٩٢(ب) .

(١٩٧) Mattieu : Op. Cit., p.p. 143 - 144.

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ .

(١٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٩٢ (ب)

(٢٠٠) ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(٢٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به أياما والفرنج يراسلونه فراسله جوسلين على أن تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) » . فاتفق على ذلك . وفى جمادى الآخره رحل البرسقى الى الأثارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه أن يرحل عن الأثارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩هـ (١١٢٥م) ويعيدوا اليه الآثارب فصالحهم على ذلك لأنه « خشى أن يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متربص بالآخر وفى النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسعود ؛ لفترة قصيرة ثم توفى هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى فى حلب وعاد ليها الحكم الأرتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة فى حلب وتقدم اليها ٥٢١هـ (١١٢٧م) « فصونع بمال وانصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السريانى أنه حدث فى نهاية ١١٢٧م (٥٢١هـ) أن اجتمع الأتراك والفرنج فى سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف دينارا سنويا فى مقابل اقرار السلام.

---

(٢٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : جـ ٢ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٦٣

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ انه فى ٥٢١هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان ومد يده الى الأموال لا سيما التركات وقرب اليه الاشرار فنفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقى الذى كان صاحبها قديما فأطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتــراك مؤامرة لدس السم لجوســلين ولكن محــاولتهم باءت بالشل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبـــا بين حلب والرهــا وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

وفى ٥٢٥هـ (١١٣٠م) كان نـــائب زنكى بحـــلب هو ســـوار بن أيتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوســلين وقعــة بنــاحية حلب الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض ســنة حتى تجمع الاتراك فى اقليم حلب فتصــدى لهم جوســلين ، فلمــا علموا ذلك دخلوا اقليم تل باشر ونهبوه (٢١١) . وبعد ان ترك الأتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة الفرنج مرة أخرى ، ولكن الأتراك تربصوا لهم وأبادوا الفرنج جميعا(٢١٢). وهــذه هى الموقعة التى أصيب فيها جوسلين الأول بكسور شديدة فى كل جسمه والتى اودت بحياته فى النهاية(٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢م (٥٢٧هـ) أوقع الأميرسيف‌الدين ســوار بفرنج تل باشر وقتــل منهم خلقا كثيرا(٢١٤) . وفى العام التالى ١١٣٣م (٥٢٨هـ) اغــارت فرســان الرهــا على شمال حلب فأوقع بهم ســوار وحســان صــاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحمــلوا الرؤوس والأسرى الى حلب(٢١٥) .

---

(٢٠٨) Michel : Op. Cit., p. 224.
(٢٠٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.
(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٧ ، الطبــاخ : حـ ١ ص ٤٧٨ .
(٢١١) بن العــديم : زبدة الحلب : حـ ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,
(٢١٢) Michel : Ibid., p. 233.
(٢١٣) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6.
(٢١٤) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٩ .
(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٨٠ .

ومرت حوالى تسع سنوات لم تتم فيها اى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن فى ٥٣٧هـ/١١٤٢م يذكر ابن العديم « ان ملك انطاكية خرج الى وادى بزاعا فخرج سوار فردهم الى بلد الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين العسكرين فاتفق الصلح بينهما (٢١٦) » .

أما العينى فيشير الى ان جوسلين هو الذى « اغار على شط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار(٢١٧) » .

هكذا استطعنا ان نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة فى فارس ونوابهم فى الموصل البلد الرئيسى لديار ربيعة فى الجزيرة(٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونية ثم بسلاجقة حلب كى نصل منها الى اولى العلاقات الارتقية بالرها منذ دخلها ايلغازى ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد اهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية أولاده الى ان استولى عليها عماد الدين زنكى .

ولكى نستكمل علاقة الرها بالاراتقة ، لابد وان نشير الى اراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الأرتقية للرها فى عهد اميريها الأولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقة الرها باراتقة ماردين :

أما اراتقة ماردين فقد مر بنا أيضا بعد استيلاء بلدوين دى بورج على سروج من بلك الأرتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠م) ان هذا الانتصار شجع بلدوين على الاغارة على المنطقة المجاورة لماردين وأسر الكثيرين .

فقد ذكر لنا متى الرهاوى انه فى ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) « جمع بلدوين دى بورج بعض القوات وقام بحملة عسكرية ضد الاتراك فى اقليم ماردين فأبادهم وأسر أميرهم (٢١٩) » .

---

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجانب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لأن حكام ماردين الاراتقة مدوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما اشرنا (٥١١ — ٥١٨هـ / ١١١٧ — ١١٢٤م) وبعد ذلك اصبحت العلاقات بين أراتقة ماردين فقط — بعد مد ولاة الموصل سلطانهم على حلب — وبين الرها .

ففى عهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٣٠ م (٥٢٥هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وامارة الرها (٢٢٠) . وفى بداية حكم جوسلين الثانى استمرت العلاقات العدائية بين الرها واراتقة ماردين اذ حدث ١١٣١م (٥٢٦هـ) « ان طلب احد الأمراء الأراتقة من حسام الدين حاكم ماردين ان يتخلى له عن اقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتابعة اقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس فرنجى وقتلوا الف تركى وقبضوا عليه . فاحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ودكها تماماً(٢٢١) » .

علاقة الرها باراتقة ديار بكر :

اما عن اراتقة ديار بكر فيقال انهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن فى الرها ضد السيادة الفرنجية فى البداية المبكرة لامارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨ م (٢٢٢) (٤٩٢هـ) وهى المؤامرة التى كشف أمرها بلدوين البولونى ونكل بالمشتركين فيها أو المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الأراتقة تحالف مع امراء الرها فى اواخر عمر امارتهم بدليل ما ذكر من انه « فى خريف ١١٤٤م هاجم زنكى قرا ارسلان الأمير الأرتقى لديار بكر ، الذى كان قد تحالف مع جوسلين فسار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحمى حليفه ويقطع بطريقة عملية اتصالات زنكى مع حلب(٢٢٣) » .

---

(٢٢٠) Michel : Op. Cit., p. 246.

(٢٢١) Michel : Ibid., p. 233.

(٢٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : Op. Cit., p. 211 عن (Albert).

(٢٢٣) Runciman : Ibid., V. 2, p. 235.

علاقـــة الرهـــا بـــآمد :

ولمـــا كانت مدينة آمد تعتبر المدينـــة الرئيسية فى ديـــار بكر(٢٢٤) ، لذا راينا ان نورد علاقتها بالرهـــا فى هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقتها بالرها خاصة فى عهد جوسلين الأول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينيـــة . اما عن الأولى ففي ١١٢٨م (٥٢٢هـ) يشير ميخائيل السريانى الى « أن جوسلين غزا بلاد آمـــد ونهب الأتراك والأكراد وخرب القرى حتى أبواب المدينـــة لأن الأتراك غزوا اقليم الرهـــا بينما كان جوسلين فى انطاكية ، فلحقت بهم قوات آمد(٢٢٥) » .

اما فى الجـــانب الدينى فيشير ميخائيل ايضـــا الى انه فى ١١٢٩ م (٥٢٣هـ) « أثير حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعـــه فى نفس الوقت من الخروج من آمد . وفى الواقع ان حاكم ماردين أرسل اكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق ابدا ثم حرض الأمير على الا يترك البطريرك يخرج من آمـــد وقيل له : « ان هذا البطريرك رجل مسن وعن قريب سوف يموت هنا وتاخذ انت ثرونه » . ولمـــا بقى البطـريرك بآمد ـــ كما لو كان فى سجن ـــ ارسل الى جوسـلين حاكم الرها يطلب منـــه ان يتشفع له لدى امير آمد . وبصورة عاجـلة انبـأ جوســـلين لأمير آمد هـــذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فساخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطربرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرهـــا ليشكر جوسلين ، ومن هنا صـــعد الى دير ماربارسوما (Mar Bar Çauma) (٢٢٦) .

ولاستكمال علاقات الرها بالاراتقة نشير الى انه فى ٥٢٣هـ (١١٢٨م) « هزم جوســـلين الأول على يد صـــاحب حصن كيفا (٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن ســـقمان الأرتقى(٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفـــا

---

(٢٢٤) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢٢٥) Michel : Op. Cit., p. 22.

(٢٢٦) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٢٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٠ .

(٢٢٨) زامبور : معجم الانســـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢هـ ـــ ٥٣٩ هـ) .

كان احـــدى القلاع الأرتقيـــة . كان اول من ملكها منهم سقمان الأرتقى نفسـه اخو ايلغازى وذلك ٤٩١هـ (٢٢٩) (١٠٩٧م).

والى جانب العلاقات الأرتقيه والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات باماكن اخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة.فمثلا اخرى تركية ولكن لم يـأت ذكرهـا الا فى سـنة واحـدة.او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عـامة . فمثلا نجد انه كانت للرها علاقة بالعقيليين فى قلعـة جعبر بدات عـدائية ثم تحولت الى علاقـة ودية فى عهد جوسـلين الأول امير الرهـا . وربمـا يرجع ذلك الى الدور الذى لعبه دبيس بن صدقة بينهما .: « ففى ٤٩٧ هـ (١١٠٣م) اغـار الفرنج من الرهـا على الرقة وقلعـة جعبر فاستاقوا المواشى واسروا من وقع بأيديهم من المسلمين وكانت القلعـة والرقـة لسـالم بن مالك ابن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السـلطان ملكشاه ٤٧٩هـ(٢٣٠) » .

ويشير اسامه بن منقذ الى انه فى عهد جوسلين الأول « اغار جوسلين على الرقـة والقلعة واخذ كل ما عليها وسبى وسـاق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة فركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبر الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفـة قديمة(٢٣١) ، ولمـالك عليـه جميل . وظن جوسـلين ان فى الزورق رسولا من مالك فجاءه واحـد من الافرنج وقال « هـذا مالك فى الزورق » فقـال « ما هو صحيح » فاشار آخر قـال « قـد نزل مالك من الزورق وهو جاءنى يمشى » . فقام جوسلين والتقاه واكرمه ورد عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم والسبى(٢٣٢) » .

---

(٢٢٩) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الأثـير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن الوردى تتمـة المختصر ، حـ ٨ ص ١٤ ؛ زامبور معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣١) بسبب علاقة دبيس بن صدقة بمالك وتوسط الأخير له عند جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) اسامة بن منقذ : الاعتبـار ،ص ٩٠ .

كذلك اغار جوسلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) على العربان والتركمان النازلين بصفين قربقرية جعبر على الفرات « فغنم من أموالهم ومواشيهم شيئا كثيرا »(٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريانى فى ١١٣٤م (٥٢٩هـ) « أنه عندما توجه جوسلين للصلاة فى القدس نهب الأتراك بقسوة كل الاقليم وخربوا واحرقوا قرية حسارم(٢٣٤ » .

علاقة الرها ببنى دانشمند :

سبق ان رأينا انه عند قيام امارة الرها الصليبية كان شرق الأناضول تحت حكم امير تركى قوى هو الملك غازى كمشتكين بن الدانشمند حاكم سيواس(٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه فى المصادر والمراجع بالنسبة لعلاقة الرها بالأتراك من بنى دانشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الاشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقات واهمها فى المصادر هى علاقة الرها ببنى دانشمند فى سميساط منذ قيام الامارة — كما سبق أن اشرنا(٢٣٦) . يلى ذلك انه عندما اسر الأمير الدانشمندى ، الأمير بوهيموند كان يأمل ايضا ان يأسر الأمير بلدوين البولونى ومما يدل على ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الدانشمند عندما قال : « انى آمل فى الحصول على بلدوين ذاته كما حصلت على بوهيموند فى وقت قصير(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ٥م ٤ ص ٧٦٨ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٥) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ الى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفى ١١٤١م « توفى غازى الداشنمندى (٢٣٨) فلم يمكن الاحتفاظ بوحدة ارثه اذ استقر ابنه ذى النون فى قيصرية(٢٣٩) واحد اخوة المتوفى المسمى يافى سيان احتل سيواس كما احتل احد بنى دانشمند ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبنى دانشمند هذا الى جانب مسعود السلجوقى فى قونيه والذى اتحد مع ذى النون فى مواجهة امارة الرها(٢٤٠) » .

علاقة الرها ببنى مزيد فى الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امارة الرها ببنى مزيد فى الحلة ، فيجدر بنا ان نعطى نبذة عن الحلة وملوكها المعاصرين لامارة الرها الصليبية ثم موقفها من الامارة . والحلة هى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة الاسدى الناشرى ، صدقه بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد سنة خمس وتسعين واربع مئة(٢٤٢) . . وساعده على ذلك انشغال سلاطين السلاجقة من أولاد ملكشاه ابن الب ارسلان بالخلافات بينهم خاصة بركياروق ومحمد وسنجر(٢٤٣) وكانت اجمة ياوى اليها السباع فنزل بها باهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وقد قصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق واحسنها فى حياة

---

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ هو ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كمشتكين (توفى ٥٣٧هـ) .

(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ فى سيواس زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 365.

(٢٤١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، طهران ١٩٦٥ (منشورات مكتبه الأسدى رقم ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٢٤٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١ ، ٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢. ص ٣٤٥ – ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقــة فلما قتل بقيت على عمارتها(٢٤٤) . وكانت تسمى ايضا الحلة السيفية (٢٤٥) او الحلة المزيدية (٢٤٦) . كان صدقــه هذا يـلقب بملك العرب(٢٤٧) . وفى ٥٠١هـ (١١٠٧م) قتـل سيف الدولة صـدقه(٢٤٨) فملك العرب بعده ابنه نور الدولة ابو الاغر(٢٤٩).

وقد لعب دبيس دورا ايجابيا فى تاييد الفرنج ضد المسـلمين وكانت بينه وبين الخلفاء العباسيين فى تلك الفترة خلافات شديدة ، ربما هى التى دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلافه مع المسترشـد بالله « اذ خرج دبيس عليه اكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان ينهب القرى ويزعج البلاد (٢٥١) . وفى ٥١٢هـ (١١١٨م) طلب دبيس من السلطان محمود « أن يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الأعمال فاجابه الى ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فعظم ورفع شانه (٢٥٢) » .

والواقع ان اكثر السنوات التى برز فيها التحالف بين الامير دبيس

---

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، هـ ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، حـ ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم، هـ٩٠ ص ١٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصـدر السابق ص ١ هنا يذكر ابن الفرات تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ١٤ (أ) أنه لـما قتل اضاف السلطان محمد مملكته اليه وولاها اصحابه فدخلها الخبط والضياع .

(٢٤٩) أبن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب حـ ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ سـبط بن العجمى : كنـوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٣ .

(٢٥٢) أبن شاكر الكتبى : عيون التـواريخ ميكروفيلم بدار الكتب هـ ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربي وبين امـــارة الرهـــا هى ١١٢٤ م (٥١٨هـ) اى فى عهد الأمير جوسلين دى كورتنـــاى . اذ يبدو انه تم تحـــالف سرى بين دبيس وبين الفرنـــج بعـــد الصراع الشـــديد بينـــه وبين الخليفـــة المسترشـــد ، ولذا اراد تمرتاش بن ايلغازى حـــاكم حلب ان يامن جانب دبيس . وكان الملك بلدوين الثـــانى قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب(٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين تمرتاش ، استقر الراى فيها على ان يسلم الملك فى مقابل اطلاق سراحه « الاثارب وزردنا(٢٥٤) وكفر طاب والجزر(٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقـــة بدبيس(٢٥٦) » .

لذا كاتب دبيس قومـــا من أهل حلب وارســـل اليهم بعض الدنانير « وسامهم تسليمها ، فكشف ذلك رئيسها فضـــائل بن صاعد بن بديع فاطلع عليـــه تمرتاش بن ايلغـــازى فاخذهم وعـــذبهم وشنق بعضـــهم وصـــادر بعضـــا واحرق بعض(٢٥٧) » وبذلك فشلت محـــاولة دبيس هذه فى الاستيلاء على حلب .

---

(٢٥٣) Mattieu : Op. Cit., p. 130, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 423.

(٢٥٤) بليدة من نواحى حلب الغربية (يـــاقوت الحموى : معـــجم البلدان حـ ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (ياقوت حموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١
Setton : Op. Cit., V. 1,p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان دبيس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد أن كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من العين والعروض على ظهور المطـــايا ووفد على ســـالم بن مالك بن بدرن الى قلعـــة دوبـــر واستجار به فاجاره وغاضب المسترشد والسلطان محمود فى أمره » .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١ ـــ ٢٢٢ ؛ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٥ .

ثم كان ان تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى على الشروط المتفق عليها بعد ان دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين الف دينار(٢٥٨) »« وكان القائم بالمفاوضات بين الملك وتمرتاش هو الأمير ابو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن بدله اهمهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ٥١٨هـ (٢٥٩) (١١٢٤م) . ولكن بمجرد ان اصبح الملك حرا تنكر للعهد الذى بينه وبين تمرتاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذى لا يمكن خلافه سالنى مما بذلت وما الذى استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابى ، وامرنى بالدفع عنها وقال ان خطيئتك تلزمنى ولا اقدر على خلافه (٢٦٠) » هنا بدات المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور دبيس بن صدقة ملك العرب وامير الحلة ، فاتصل بالفرنج وقدم لهم خدماته فى مقابل مساعدته هو الآخر فى تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الأولى ان دبيس « خالط جوسلين وبغدوين وصافاهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعبر واتفق دبيس والفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها ان تكون حلب ادبيس والأموال والأرواح للفرنج (٢٦١) » . اما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم فاكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس ابن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال ان اهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب ، فمتى راونى سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال انى اكون ههنا عنكم نائبا ومطيعا (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

---

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة،الطباخ ، جـ ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ؛ الطباخ ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ص٣٠٣ — ٣٠٤

وقـد اشترك فى هـذا الحصـار لمدينة حلب كل من الملك بلدوين الثـانى ملك القدس وجوسلين الأول أمير الرهـا (٢٦٣) . ودبيس ابن صـدقة وسـلطان شـاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبـة دبيس عيسى بن سـالم بن مالـك ويضـى سـيان بن عبد الجبـار صـاحب بالس (٢٦٥) ، كمـا يضيف اليهـم متى الرهـاوى ايضـا سـلطان ملطيـة (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الاتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهـات اذ خرج دبيس وجوسـلين من تل باشر وقصـدوا ناحية الوداى فافسدوا الزرع ، ثم رحـلا ونزلا مـع الملك بلـدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصـل اليهم الملك سـلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبة ونزل جوسـلين على طريق عزاز وما يجاوره يمنه ويسره ، ونزل دبيس وسـلطان شاه بن رضـوان مما يلى جوسـلين من الشرق وفى صحبة دبيس عيسى بن

---

(٢٦٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

(٢٦٤) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ، ص ٥١ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى دبيس باسم (صدقة (Sadaka, Sale —) ابن دبيس ، والواقـع انه ربما خلط بين الأب لابن . ومما يرجح ذلك، ان متى نفسـه يعرفه بانـه صهر ايلغازى ، وبـذلك يكون دبيس وليس صـدقة . اما ابن ايبك : كنز الدر ، حـ ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى دبيس خطا بانـه دبيس البرسقى سيف الدولة . والصحيح ان سيف الدولـة الذى قصـده هو آقسنقر البرسقى وليس دبيس . اما عن سـلطان شـاه فيذكر متى انه الابن الأصغر للسـلطان تتش ، ولكنه فى الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تتش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

(٢٦٦) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
وهو هنا كما سبق ان اشرنا اما عرب او طغرل ارسـلان بن قلج ارسـلان .

(٢٦٧) ابن العـديم : زبـدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

ســالم بن مالك . ونزل يغى سيان بن عبد الجبار بن ارتق صــاحب بالسن مما يلى دبيس من الشرق (٢٦٨) » .

وبعــد أن قاسى اهــالى حلب كثيرا من قلــة الأرزاق ومن كثرة الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا ــ التجأوا الى آقسنقر البرسقى أمير الموصل يتوســلون اليه أن يحضر لنجدتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى كان مريضــا لا يستطيع الحركة لشــدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل الى دبيس من اخبره بذلك « فضرب البشــارة فى عســكره وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض أصحابه ق اهل حلب ، قــد مات من أملتم نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما اقترب منها ارسل اليهم يقول « اننى لا أقــدر على الوصــول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصــار أصحابى فيها فاجبوه الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصــل الى حلب فرحل الفرنج عنهــا بدون أى خســائر (٢٧٣) . وأراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

---

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر الســابق ص ٢٢٤ الطبــاخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٦ .

(٢٦٩) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١

(٢٧٠) Mattieu : Ibid., p. 142,
ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٨ .

(٢٧٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .

(٢٧٣) Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Crois V. 2 p. 877 عن (L'Anonyme).

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣١٧ أن البرسقى منعهم بنفســه وقال « قــد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحــة تركهم حتى يتقرر امر حلب وتصــلح حالهــا وتكثر ذخائرهــا ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم » .

=

وبعد انسحاب دبيس عن حلب اتجه الى الموصل فخربها وخرب كل الاقاليم التابعة للبرسقى (٢٧٥) .

والراجح ان دبيس ظل بعد تلك الهزيمة على موقفه العدائى من الخلافة والمسلمين آملا ان يجد الفرصة مرة اخرى كى يجد فى الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٢٥هـ ١١٣٠م من « ان دبيس وصل منهزما من المسترشد وخفى خبره فترة ثم ظهر بعد مدة انه وصل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن السلطان عند مالك صاحبها ، وسار الى جوسلين واستند الى الفرنج فلم ير ما يعجبه (٢٧٦) » .

وفى ٥٢٩هـ ١١٣٤م قتل دبيس بن صدقة وقيل أن السلطان ميسعود هو الذي قتله بعد مقتل المسترشد بثمانية وعشرين يوما (٢٧٧) . وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربى الخائن للقضية الاسلامية فى ذلك الوقت ، والذى لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرها بالمسلمين عامة يجدر بنا الاشارة الى علاقة الرها بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها ببيروت .

اما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ـ ٨٤٠ ، فيذكر أن سبب عدم تعقبه لهم انه « عندما طلب منه ابو الفضل بن الخشاب أن يتعقبهم قائلا : لو سلت خلفهم لأخذناهم باسرهم فانهم منهزمون فقال له : تعلم ان فى بلدكم ما يقوم بكم وبعسكرى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .

فقال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وثوا علينا ما نفعنا انفسنا ولكن الله تعالى قد دفع شرهم » .

(٢٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 142.

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكروفيلم حوادث ٥٢٩هـ - ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ ، ٥٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ . ويذكر زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٠٨ أن مقتل نور الدولة دبيس كان فى ذى الحجة ٥٢٩هـ .

ففى ٥١٣هـ ١١١٩م سار جوسلين فى مائتى فارس فكبس طائفة من طى يعرفون ببنى خالد ـ وهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية ٢٧٨ ـ فاغار عليهم وغنم اموالهم (٢٧٩) ، وسالهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فاخبروه انهم بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فاسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسا كما سير اليهم قوة اخرى مكونة من مائة وخمسين فارسا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندما علم بنو ربيعة بذلك ارادوا الرحيل ، لكن اميرهم مر بن ربيعة منعهم . وكان عدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصل المائة وخمسين فارسا الفرنجيا دارت معركة بين الجانبين . « فظهرت من امير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة راى (٢٨٠) » . فقتل من الفرنج سبعين واسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم فى فداء نفسه « مالا جزيلا وعدة من الأسرى » اما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الموقعة فاتجه الى طرابلس فجمع جيشا ورحل الى عسقلان فهزمه المسلمون هناك وعاد مفلولا (٢٨١) .

اما عن علاقة الرها ببيروت فما عثرنا عليه فى المصادر يتركز فى فترة حكم بلدوين دى بورج امير الرها الثانى .

وفى ذلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين فى مصر بعد زوال معظم ملكهم فى الشام ، ولم يبق لهم السيادة الا على بعض الثغور البحرية التى منها بيروت . ففى ٤٩٥هـ (١١٠١م) « وصل قمص

---

(٢٧٨) القلقشندى : نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٧٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٥٣ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

الرهـا مقـدم الفرنج فى عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعـا فى افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ولم يتهيأ فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) » .

وفى ٥٠٣هـ (١١١٠م) سـار جوسـلين صاحب تل باشر والتـابع الاول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعاونة النازلين عليـه من الافرنج ويستنجد بهم على عسـكر مودود النازلين على الرهـا وفى شوال من السنة سقطت بيروت فى يـد الفرنج (٢٨٣) » . وقـد ذكر متى الرهاوى « ان جوسـلين سـاعد فى الاستيلاء على المدينـة وابدى شجاعة كبيرة فى ذلك (٢٨٤) » .

بهـذا امكننا اعطاء صورة مفصـلة عن علاقة امارة الرهـا الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما اسعفتنا به المصادر الأصلية والمراجع المختلفة .

ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام :

نقصـد هنـا بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام ، بيت المقـدس وانطاكية وطرابلس . وسنبدأ أولا بدراسـة علاقات امارة الرهـا مع الصليبيين عامـة قبل تأسيس الامارات الثلاث ثم نتلوها بالعلاقة مـع بيت المقدس باعتبارها كانت ابرز الوحدات الصليبية فى الشرق بل كانت تمثل القيادة العليا بالنسبة لبقية الامارات ثم نتبعهـا بامارة انطاكيـة القريبة من امارة الرهـا والتى كانت على صلة دائمـة بهـا سواء ودية او عدائية ونتلوها اخيرا بتناول علاقة الرهـا بامارة طرابلس ، وهى كما سنرى لم تكن كبيرة .

اما عن علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم مقيام امارة الرهـا الصليبية ، حتى شـارك بلدوين البولونى بنفسـه فى الحصـار الذى فرضـه الصليبيون على انطاكية فاشـارت المصـادر اللاتينية الى انه « غادر الرهـا بعد شهرين فقط من تبنى ثوروس لـه

---

(٢٨٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام : مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث (٣٠١ — ٥٠٠هـ) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54 - 55,

(٢٨٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

(٢٨٤) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

الى انطاكيـة (٢٨٥) » . ويؤكـد مشـاركة بلدوين للسليبيين فى تلك المهمة ماذكرته المصـادر الاسلامية ايضـا من انه كان يوجـد فى انطاكية فى ذلك الوقت « الملك بردويل ومنجيل وكنـدفرى والقمص صـاحب الرهـا وبيمند صـاحب انطاكية (٢٨٦) » . والواقـع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للصليبيين عندئذ وكان بلدوين البولونى كما رأينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قـد أصبح (صـاحب انطاكية) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما اصبحا عليه بعد ذلك لابحكم ما كانا عليـه فعلا عندئذ وقت حصـار انطاكية .

والراجح ان بلدوين لم يلبث ان عـاد الى الرهـا للأهتمام بامارتـه الجديدة وحمايتها مما احاط بهـا من اخطار فضلا عن الاحتفاظ للصليبيين عامـة بركيزة اولى فى المشرق الاسلامى . ولكن بلدوين حرص فى الوقت نفسـه على الا يفقـد الارتباط بينه وبين بقيـة الصليبيين المحـاصرين الانطاكية فكان يتلقف أخبارهم ويتابع المصـاعب التى واجهوها وخاصـة فى الميرة والمؤن (٢٨٧) . ويقال ان بلـدوين أسرع بارسـال الكثير من المؤن اليهم (٢٨٨) . كما أرسل أيضـا « كميات كبيرة من الذهب والفضـة والملابس الحريرية والخيول الممتازة ذات القيمة العاليـة الى أخيه الدوق جودفرى والى روبرت فلاندر وروبرت النورماندى وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو أن تلك الهبات كانت كثيرة جـدا مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

---

(٢٨٥) Baldrici Episcopi Dolensis : Historia ... T 4, p. 81

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٨٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٣ ص ٥٠٣ .

(٢٨٧) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237 - 238.

(٢٨٨) Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213.

(٢٨٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

هنـا يضيف (ميشو) الى قائمـة الصـليبيين امراء (شـارترس وبلوا (Chartres, Blois ويذكر ان بلدوين نسى عن قصـد ان يقدم شيئا من العون لبوهيموند .
(Michaud ; Op. Cit., V. 1, p. 287).

(٢٩٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395.

وفى تلك المرحلة يعطينا وليم الصـــورى أول صورة للانقســـام بين المسلمين بسبب تباين المصـــالح الفردية فدب الخلاف بين رضوان امير حلب وبين حاكم مدينـــة عزاز (٢٩١) . واستنجد الأخير بجودفرى اخى بلدوين الذى طلب من أخيه المشـــاركة معه بجيشـــه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكـــان أن تم ذلك ثم عاد بلـــدوين الى الرهـــا وجودفرى الى انطاكيـــة (٢٩٢) .

ويهمنا انه فى خلال تلك الحملـــة ، قام بلدوين بدعوة اخيـــه جودفرى لزيارة الرهـــا ـــ كما سبق ان اشرنا ـــ وكان الدافـــع الأول لجودفرى على الموافقـــة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بأنطاكيـــة بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجماعى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جودفرى معـــه الى الرهـــا حاشيته وعـــددا كبيرا من الناس المحتاجين ليمدهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرهـــا واستقروا فيها (٢٩٥) . فى حين عاد البعض الآخر إلى اخوانهم الصـــليبيين فى انطاكيـــة بعـــد أن اغـــدق عليهـــم بلـــدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان ان أستولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين امارة الرهـــا من ناحيـــة وبيت المقـــدس الصليبية من ناحية أخـــرى

ويتبلور جزء من هـــذه العلاقات فى الزيارة التى قام بها بلدوين امير

---

(٢٩١) William : Op. Cit., V, 1, p. 301.

(٢٩٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 301-304.

(٢٩٣) William : Ibid., V: 1, p. 304.

(٢٩٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, William : Op. Cit., V: 1, p. 304

(٢٩٥) Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234.

(٢٩٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304-305.

الرهـــا بوهيموند امير انطاكية لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٤٩٤هـ)
ويبدو ان بلدوين وبوهيموند صادفا متاعب جمة خلال رحلتهما الى المدينة المقدســـة حتى وصـــلا ســـالمين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفرى وتنكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الأماكن المقدســـة فى القدس فى الوقت الذى كانت المدينـــة تفوح منها رائحـــة جيف المسلمين الـــذين ســـقطوا قتلى بحراب الصـــليبيين عنـــد اســـتيلائهم على بيت المقدس (٣٠٠) .

هـــذا الى ان بلدوين امير الرها شـــارك فى اختيار دايمبرت بطريركا على بيت المقـــدس (٣٠١) ، وان كانت المصـــادر المعاصرة لا تشير الى أن دايمبرت اعطى تفويضـــا بحكم امارة الرهـــا لبلدوين اسوة بالتفويض الذى حصـــل عليه جودفرى وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى ما كان هناك من خلافات بين بلدوين ودايمبرت .

واخيرا عزم كـــل من بلـــدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم توديعهما « فى فرح شامل وسعادة واشترك فى التوديـــع رجـــال الدين وجمهور القـــادة وجودفرى نفســـه بل انهم صاحبوهم الى نهر الأردن ،

---

(٢٩٧) تذكر المصـــادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدأت فى نوفمبر ١٠٩٩م وكـــان الوصـــول الى بيـــت المقـــدس فى مـــارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
Gesta Tancrédi : Op. Cit., T. 3, p. 704.
اما المراجع الافرنجيـــة الحديثـــة فتشير الى ان تلك الزيـــارة كانت فى ديسمبر ١٠٩٩م .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261, Zoé : p 177.
والراجح هو ما ذكرته المصـــادر اللاتينية ، خاصـــة وان المؤرخ فولشر كان مصـــاحبا لبلدوين فى تلك الرحلة .

(٢٩٨) Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366.
(٢٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 178.
(٣٠٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
(٣٠١) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512.
(٣٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

وهناك اغتسلوا جميعا فى النهر لينتعشوا ا ثم افترقوا (٣٠٣) » . وبذلك عاد بلدوين الى الرهـا وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣٠٤) .

ثم كان ما سبق أن ذكرناه من وفاة جودفرى حـاكم بيت المقـدس ، وحلول أخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينـة المقدسـة باسم الملك .

ومن الطبيعى ان تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقـدس فى عهد ملكها بلدوين الأول وبين امارة الرهـا بحكم ما بين بلدوين والرهـا من علاقات سـابقة ، وتتضـح هـذه العلاقة عندما اسر امير الرها بلدوين دى بورج اذ يقال ان جكرمش أرسـل الى تنكريد يعرض عليـه اطلاق سراح الأمير بلدوين مقابل أطلاق سراح أميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه أو ان يدفـع مقابل اطلاق سراحها خمسـة عشر الف بيزانت (٣٠٥) . هنا اسرع ملك القـدس بلدوين الأول بالكتابة الى بوهيموند أن يسـلم الأميرة ولا يفوت فرصـة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير انطاكية كان يفضـل ان يظل الأمير بلدوين فى الحبس (٣٠٦) ؛ وسوف نتناول موقف انطاكية بالتفصيل من هـذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرهـا .

وعندما أطلق سراح بلدوين — كما سبق أن أوضحنا — واحتدم النزاع بين الرهـا وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطـاق النفوذ الاقطـاعى لملك بيت المقـدس وانما كانت الرهـا هى التى تتبعه فقط « لذا احضر تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى ولم يقف الأمر فقط عند حـد اعلانه الولاء للملك القـدس ، بل اجبر على الركوع أمامه (٣٠٧) » . وبفضل تدخل الملك

---

(٣٠٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512.

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(٣٠٥) Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. كانت تلك الأميرة قـد اسرها تنكريد اثنـاء تتبعـه لجكرمش عند حصـار الأخير للرهـا بعـد حران .
(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

(٣٠٦) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣٠٧) Zoé : Op. Cit., p. 241.

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرهـا من ناحيـة وبين طرابلس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . اما عن الرهـا « فقد حصل الملك من تنكريد على تنـازل بدون مقابل عن كل ما وضـع يـده عليـه من امارة الرهـا (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرهـا ١١١٠م (٥٠٤هـ) وهددهـا الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خـاف بلدوين دى بورج من تكتل القوى الاسـلامية في المشرق ضـده واسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الأول، فأرسل اليه جوسلين دى كورتناى ليطلب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكـان الملك بلـدوين في ذلك الوقت يحاصر بيروت كمـا مر بنا . فلم يستطع أن يتوجـه الى الرهـا الا بعد انتهاء حصـار بيروت وخاصـة وان المدينة كانت عندئذ على وشـك السقوط (٣١١) . وبعـد أن تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وجيشـه الى بيت المقـدس (٣١٢) .

---

(٣٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٩) Cahen : Ibid., p. 251.
اما (ستون) فيذكر ان ذلك كان في مقابل ممتلكات اخرى فقد قال « انه من اعظم منجزات الملك بلدوين الاول انه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه في الرها وان يعترف باعادة بلدوين دى بورج قريب الملك اليها. وفي مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاعات طبريـة ، الناصرية وحيفا واصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

(٣١٠) Mattieu : Op, Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

(٣١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. Cit., p. 147,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٦ — ٤٥٧ (عن صالح بن يحى : تاريخ بيروت)

(٣١٢) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : Historiae Liber XI,. T. 4, p. 671.

ليعطى الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضـــع الرهـــا (٣١٣) ، ويطلب منهم المســـاعدة (٣١٤) .

وبالفعل جمـــع قواته وانضمت اليها قوات طرابلس وتوجـــه مـــع جوسلين الى الرهـــا وبصحبتهم بعض القوات الأرمينية (٣١٥) . وكان ذلك فى بداية يونية (٣١٦) . أو فى منتصف مايو (٣١٧) .

والواقـــع أن الملك بلدوين استطاع أن يجمع جيشـــا ضخما بلـــغ عـــدده حوالى خمســـة عشر الفا (٣١٨) ، ولم يلبث أن انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجى (٣١٩) . بعـــد أن أرســـل اليه الملك يدعوه أن يتصـــل ببقية الفرنج وتصفية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولعل هـــذا ما دفـــع بعض المؤرخين الى القول « بأن ســـنة ١١١٠م شهدت وحـــدة صليبية بين اماراتهم فى الســـلم (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلدوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى رأســـها الملك بلدوين وقد أتت لنجدته(٣٢٢) . وقد سبق أن ذكرنا

---

(٣١٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٣١٤) Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671,
سيأتى التفصيل فى الملاحق

(٣١٥) Mattiue : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٧
Cahen. : p. 257, Archer : p. 148

(٣١٦) Cahen : Ibid., p. 257.

(٣١٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٣١٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
L Epopée, p. 87.

(٣١٩) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti : Op. Cit.,
Liber XI ... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.

(٣٢٠) Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399,

(٣٢١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٣٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
'LEpopée, p. 87.

احداث تلك الحملة عند كلامنا عن العلاقات بالموصل ، ولكن ما نود الاشارة اليه هنا هو ان ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية من الرها حتى جاءته بعض الاخبار بأن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجموا ممتلكاته مما جعله يعجل بالعودة الى القدس (٣٢٣) .

وفي سنة ١١١٣م (٥٠٧هـ) مر بنا كيف وقع الخلاف بين بلدوين دي بورج وجوسلين دي كورتناي وطرد الأخير من الرها وتوجه الى القدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبرية والجليل ليستفيد من خبراته العسكرية في محاربة المسلمين .

وكانت اول تجربة مر بها جوسلين وهو في القدس هي موقعة طبرية (ثالث عشر محرم ٥٠٧هـ) (٣٢٤) . (١١١٣م) بين الفرنج والمسلمين وهي الموقعة التي ذكر ابن الفرات ان الجيش الفرنجي فيها كان بقيادة ملك بيت المقدس ومعه جوسلين فضلا عن امير انطاكية روجر (٣٢٥) . وفي تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « واسر ملكهم بغدوين واخذ سلاحه لكنه افلت من الاسر وغرق من الفرنج خلق كثير في بحيرة طبرية واختلط الدم بالماء حتى امتنع الناس من شرب الماء ايام (٣٢٦) » . وتؤيد بعض المصادر الاسلامية الأخرى (٣٢٧) . راى ابن الفرات في ان بلدوين دي بورج لم يشارك في تلك المعركة ، وربما شغلته امور امارته واخطار الترك المتحفزين للانقضاض عليها واخذها ، من المشاركة في ذلك . ويخرج عن هذا الراى اسامة

---

(٣٢٣) Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 453,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٨

(٣٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٦٧ (أ) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ اما ابن خلدون فيخطيء في ذكر التاريخ حيث يقول ان ذلك كان في منتصف المحرم ٥١٠هـ .

(٣٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق ص ٦٧ (أ) (سروحال) .

(٣٢٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، ص ٦٧ (ب) ، ٦٨ (أ) .

(٣٢٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

بن منقذ وحده ينفرد بالقول بان حاكم الرها شارك فى تلك المعركة (٣٢٨) . ومن الواضح أن اسامة اخطأ فى اعتبار جوسلين حاكم الرها وقتذاك .

ثم تعاقب الاحداث ومات الملك بلدوين الأول كما مر بنا ١١١٨م وتولى مكانه بلدوين دى بورج امير الرها بفضل موقف جوسلين دى كورتناى الذى تولى حكم الرها . ويعلق جروسية على وضع الرها وعلاقتها ببيت المقدس فى تلك المرحلة فيقول : « كانت امارة الرها فى اول الأمر مستقلة تماما عن القدس واتصلت اول مرة بمملكة بيت المقدس عندما اصبح بلدوين الأول ملكا فاقطع بلدوين دى بورج الرها ، ثم ازداد ذلك الاتصال قوة عندما اختير بلدوين الثانى (دى بورج) ملكا على بيت المقدس ، فاقطع الرها لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازى لمهاجمة الفرنج فى زردنا ، فاجتمع الملك بلدوين مع جوسلين أمير الرها وبعض البارزين من امراء انطاكية لصده ، على انه لم يحدث اشتباك مع المسلمين عندئذ بسبب مرض ايلغازى وحمله الى حلب حيث توفى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين فى اسر بلك الأرتقى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٣٣١) . (٥١٦هـ) غدت امارة الرها فى وضع قلق مما جعل ملك بيت المقدس يضمها تحت قيادة حامية بامرة جيوفرى الراهب ، حاكم مرعش حتى يتكشف أمر جوسلين . وهكذا ادت جهود الملك بلدوين ونائبه جيوفرى الراهب الى المحافظة على امارة الرها ، وقام الملك بعدة اجراءات ادارية وسياسية وعسكرية ، توجت بالمعاهدة بينه وبين سليمان بن عبد الجبار حاكم حلب فى ٩ ابريل ١١٢٣م (٣٣٢) . ومن هذا يبدو ان الملك بلدوين الثانى تحمل عبئا جسيما فى ذلك الوقت بسبب الأوضاع الصليبيةالعامة التى غدا فيها الصليبيون ، بعد مقتل روجر حاكم

---

(٣٢٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .

(٣٢٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.

(٣٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 537.

(٣٣١) Mithel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540.

(٣٣٢) Setton : Op. Cit., V .1, p. 419.

انطاكية قبل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها احاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوصايتين في وقت واحد على الرها وانطاكية (٣٣٣).

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه — كما مر بنا — ١١٢٣م . وذكر البعض ان اسره كان اثناء توجهه ليرفع حصار بلك عن قلعة كركر (٣٣٤) . في حين ذكر البعض الاخر انه توجه ضد بلك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٣٥) . اما وليم الصوري فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله في بلاد جوسلين للاطمئنان على سير الامور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى أن يقدم بعض العون لاولئك الناس الذين حرموا من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصي الاحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والمشاه والامدادات الوافرة من الاسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه بلك فجأة في غفلة حراسة (٣٣٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هي انطاكية والرها وبيت المقدس من حماتها الذايين عن بيضتها (٣٣٧) .

وقد راينا كيف بذل الارمن سواء في داخل خرتبرتداو خارجها أو من اهل الرها نفسها اقصى ما في وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذى اخذ على عاتقه اطلاق سراح الملك .

كان جوسلين عند وصوله الى الرها « مثقلا بالمهمة التي عهدت اليه (٣٣٨) » ، فلم يتمكن من الاقامة في الرها مدة طويلة (٣٣٩)

---

(٣٣٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥١١ .
(٣٣٤) ابن الاثير : الكامل : حـ ٨ ص ٣١٣
(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872
(٣٣٥) Mattieu : Op. Cit., p. 133.
(٣٣٦) William : Op. Cit., V. p. 540.
(٣٣٧) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .
(٣٣٨) William : Ibid., p. 544
(٣٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رحل الى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فاتجه وفقا لنصيحة البطريرك برنارد الى القدس (٣٤٠) . « حيث شرح البطريرك ولامراء المملكة ظروف الكارثة التى لحقت بالملك وروى كل التفاصيل الخاصة بالحادث ورجاهم أن يرسلوا نجدة فى الحال لأن وضع الملك محفوف بالمخاطر ، لا يسمح باى تباطىء (٣٤١) » .

ونتيجة لتوسلات جوسلين « اجتمع كل اهالى المملكة كرجل واحد وحملوا صليب الصلبوت معهم ، وبداوا الرحيل فى الحال ثم انهم حصلوا من المدن التى مروا بها على تعزيزات مما زاد من أعدادهم حتى وصلوا الى انطاكية وهناك انضمت اليهم جموع غفيرة وساروا تحت قيادة جوسلين الى تل باشر (٣٤٢) » .

أما عن الملك بلدوين الثانى فقد ظل فى حبس بلك بحران حتى توفى بلك فى موقعة منبج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجميع الى حلب (٣٤٣) ، التى كان يحكمها آنذاك تمرتاش بن ايلغازى . ومع ذلك لم تتوقف جهود الأمير جوسلين من أجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك أنه تم ١١٢٤م الاتفاق بينه وبين الملكة زوجة بلدوين الثانى من ناحية وبين تمرتاش من ناحية أخرى على فداء الملك مقابل مبلغ كبير من المال ،

---

(٣٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤١) William : Ibid, p. 545.
وهنا يذكر جروسيه أن بطريرك القدس فى ذلك الوقت كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 592) وكان القائم بالوصاية على القدس هو الكنستابل ايو ستاس جرنية Cahen : Op. Cit., p. 298.

(٣٤٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤٣) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

على أن يقدموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، ومعهما خمسة عشر شخصــا من كبار القوم (٣٤٤) .

وكان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثــانى بعد ان دفـــع عشرين الف دينار (٣٤٥) . ويعلق متى الرهــاوى على اطلاق سراح الملك بان الفضـــل فيه يرجع الى جهود جوسلين (٣٤٦) .

وقـــد برزت جهود الملك بلدوين الثــانى فى مســـاعدة امارة الرهـــا بعد اطلاق سـراحـــه عندمـــا حـــاصر البرسقى عـــزاز التابعـــة للرهـــا ١١٢٥م ــ ٥١٩هـ وقـــد أوضح متى الرهـــاوى ذلك بالتفصيل (٣٤٧) . وفى ١١٢٦م (٥٢٠هـ) هاجم البرســـقى الأتـــابك فتوجـــه لملاقاتـــه ملك بيت المقـــدس وجوسلين دى كورتناى ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن بينا فى علاقة الرهـــا بحلب .

والواقـــع ان امارة الرهـــا شـــاركت بمجهودات واسعة فى مساعدة التوســـع الفرنجى الذى قاده ملك القـــدس ١١٢٦م على حساب المسلمين وخاصـــة على حســـاب اتابكة دمشق (٣٤٨) .

وفى ١١٢٧م (٥٢١هـ) تدخل ملك بيت القـــدس بين كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثـــانى أمير انطاكية وانهى خلافا نشـــا بينهما (٣٤٩) ، كما سنرى بعد ذلك . وفى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) (٣٥٠) ، توفى طغتكين حاكم دمشق وخلفه ابنه بورى الـــذى نكل بالباطنية فى دمشـــق ، لذا خـــاف الباطنية فى بانياس على انفسهم وسلموها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

---

(٣٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثانى. Mattieu : Ibid, p. 139.
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428).

(٣٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٣٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 140.

(٣٤٧) Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144.

(٣٤٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426.

(٣٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٣٨ .

(٣٥١) Cahen : Op. Cit., p. 348.

فى نفوس الفرنج رغبة شديدة لامتلاك دمشق والاقاليم المحيطة بها (٣٥٢) . وكان ان أرسل الملك بلدوين الى الغرب يستحثه لارسال حملة صليبية جديدة للمساعدة فى الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل تقدم « عدد كبير من الرفاق من الرجال النبلاء الى المملكة (٣٥٣) » ، والى جانب هؤلاء القادمين شارك كبار امراء الصليبيين فى الشرق فى القيام بتلك المهمة وعلى راسهم « فولك أمير آنجو وبونز Pons أمير طرابلس وبوهيموند الثانى أمير انطاكية وجوسلين الاول أمير الرها (٣٥٤) » .

وقد وصلت الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها امير وتقدم الجميع نحو دمشق فى دسمبر ١١٢٩م (٣٥٥) (٥٢٣هـ) ولكن باءت المحاولة بالفشل لسببين أوضحهما وليم الصورى : الأول انشغال كل فريق بالحصول على غنائم لنفسه فقد عمدت الجيوش « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخر حتى تستطيع كل جماعة ان تطالب شيئا مما تجده ولا تقتسمه مع الآخرين (٣٥٦) » . وهو ما شجع بورى حاكم دمشق (٣٥٧) ، على أن يدبر هجوما مفاجأ ضدهم وهم متفرقون على هذا النحو (٣٥٨) .

والسبب الثانى للهزيمة كان تدخل العناية الالهية لصالح المسلمين فقد هبت عاصفة شديدة ممطره مصحوبة بالضباب على الصليبيين (٣٥٩) .

---

(٣٥٢) Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 40.

(٣٥٤) William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 41.

(٣٥٧) هنا أخطأ وليم الصورى فاشار اليه بانه (طغتكين) .

(٣٥٨) William : Ibid., V. 2, p. 41.

(٣٥٩) William : Ibid., p.p. 41 - 42.

ثم حدث فى أواخر أيام الملك بلدوين الثانى أن توفى بوهيموند الثانى أمير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) . ـ كما سنرى ـ وحاولت زوجته اليس ابنة الملك بلدوين نفسه ان تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعى فى الحكم ولكن بلدوين أسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الأول بأن يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها أميرا لانطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين فى الأمير جوسلين . واخيرا توفى بلدوين الثانى ملك القدس فى ٣١ اغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله فى ١٤ سبتمبر فولك الأنجوى Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التى كان قد تزوجها فى ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع أن عهد الملك بلدوين الثانى يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يبخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها فى غالبية الظروف عندما تهدد الامارة باى خطر خارجى يهدد مصالحها ، وبالتالى مصالح الصليبيين عامة ، لانها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرقى الواقى للامارات الصليبية عامة .

اما عن خليفة بلدوين الثانى على عرش القدس فانه لم يستطع فى غالبية الأحيان ان يفرض سلطانه على أمراء الشمال ـ نعنى اميرى الرها وانطاكية ـ ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ٥٣٤هـ/١١٤٠م ان حلت الهزيمة بالملك فولك أمام زنكى وطلب الملك نجدة اميرى الرها وانطاكية فخفا بالفعل لنجدته (٣٦٥) . وفى ١١٤٤م (٥٣٩هـ) عندما حاصر زنكى الرها

---

(٣٦٠) Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.

(٣٦١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٣٦٢) G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٣٦٣) G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4 - 5.

(٣٦٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٣٦٥) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٠ (عن الأعتبار) .

وارسل جوسلين الثانى يستنجد بمملكة بيت المقدس ارسلت الملكة ميلزاند جيشا بقيادة حاكم نابلس وحاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين فى تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متاخرا جدا (٣٦٧) . وسوف نتناول موقف القدس بالتفصيل عند دراسة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرها .

والواقع ان علاقات الرها بالقدس كان يغلب عليها باستمرار الطابع الودى .

اما عن علاقة الرها بانطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها فى الشمال ، فانها اتصفت بالعداء وسوء التفاهم بعكس العلاقة بين الرها والقدس ، التى اتسمت غالبا بطابع الود والتحالف كما رأينا .

وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرها وانطاكية ؛ يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقد افاضت المصادر اللاتينية والافرنجية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريد ابن اخت بوهيموند امير انطاكية الأول من ناحية اخرى أمام طرسوس ثم امام المصيصة سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) عند مجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالاشارة الى ذلك بايجاز لانه وان كانت خارجة عن نطاق العلاقات بعد تأسيس الامارات ، ولكن كان لها فى نفس الوقت تأثيرها بعد ذلك .

اما عن الخلاف أمام طرسوس فقد كان ذلك مبكرا فى سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى فى الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة ، وبذلك كان الأول فى الوصول الى قيلقية (٣٦٩) » . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكان فاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

---

(٣٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٣٦٧) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236.

(٣٦٨) Harold Lamb : Op. Cit., p. 126.

(٣٦٩) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ١٧٩
William : V. 1, p. 178,

(٣٧٠) William : Ibid., V. 1, p. 180.

على المكـــان تضـــايق وطلب مقاسمة تنكريـــد فى المدينـــة فرفض قائلا : «اننى ارفض كل قسمة معك (٣٧١) » .

وبعـــد جدل طويل بينهما اصر بلدوين على رايه فاشـــار عليه تنكريد بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالفعل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن بلدوين هددهم « ان لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا علمـــه بدلا منه فسوف يسلم المدينـــة وكل الضواحى المجاورة للتـدمير (٣٧٣) » . لذا خشى الاهالى لان جيش بلدوين كان الاكثر عـــددا (٣٧٤) . فرفـــع علم بلدوين مكـــان علم تنكريد « وضبط تنكريد مشـــاعره وانسحب خوفا من قيـام قتال بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة اذنة (٣٧٥) » .

وبعـــد رحيل تنكريد امر بلدوين اهالى طرسوس بفتح ابواب المدينـــة امـــام جنـــده ليدخلوها ، مستخدما فى ذلك مزيجـــا من التهديد والانذار ؛ ففتحوا الابواب وسمحوا لبلدوين وقواته كاملة بالدخول ، ودخلوا له عن برجين وضعوهما تحت تصرفه فى حين احتفظ الاتراك الذين كانوا لا يزالون بالمدينـــة بملكية الابراج الاخرى (٣٧٦) .

وفى نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد ارسل قوة من ثلثمائة نورماندى

---

(٣٧١) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـــدس ص ٤٥
Harold Lamb : p. 127, هنا يذكر المؤلف المجهول أن الأهالى تدخلوا بين الأميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين بقوله «فلندخل المدينـــة معا وننهبها وليقم على حراستها من يصيب النصيب الا وفى وليحطها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد« ما ابغض هـــذا المسلك الى نفسى وابعدها عنه اننى لا اريد ان اسلب النصـــارى ولقد اختـــارنى رجال هـــذه المدينـــة اميرا عليهم وهم لا يريدون سـواى اميرا .

(٣٧٢) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .

(٣٧٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 180.

(٣٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137, المؤلف المجهول المصدر الســابق نفس الصفحة .

(٣٧٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 182.

لمســاعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرسوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلــدوين السماح لهم بالدخول للمبيت فرفض واضطروا للمبيت خــارج اســوار المدينــة (٣٧٧) . « وفى ســكون الليل خرج الأتراك الموجودين بالمدينــة خلسة فى هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم واطفالهم وعبيــدهم واماءهم وكل ما يملكون . فقــد كانوا لا يستطيعون الشعور بالأطمئنان فى ديارهم مــع الضيوف الذين وفدوا عليهم (٣٧٨) » . وفى اليوم التالى قام الفرنج فوجــدوا المدينــة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العــدو الصــامت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحــة احدثها الاتراك الراحلون فى الجيش المسيحى النورماندى الــذى رفض بلــدوين ادخاله الى المدينــة فى اليوم الســابق (٣٨٠) .

والواقع ان هذا الحادث الب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليــه قتل رفــاقهم » (٣٨١) وكان أن تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتجريح والنقد حتى من اتباعه انفسهم(٣٨٢) بل لقد افقدته الاعتبــار لدى الكثير من الرؤساء الصليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحــال نوعا ما الا بعــد ان « اقسم بلدوين أن السبب الوحيد الذى منعــه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصا بعــدم السماح بدخول اى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفرى) وهكذا هــدأ الناس وتم الصــلح »(٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصيصة التى كان قد سبقه اليــها ايضــا تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

---

(٣٧٧) William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٩) William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٨٠) مؤلف مجهول اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقــدس ص ٤٥ William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 عن (Albert),, Setton : Op. Cit., p. 300.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

٣٨٣) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

ان يرد من نفس الزاوية المعادلة الشريرة التى تلقاها (٣٨٥) ؟ لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير واخذ بعض الأسرى من كلا الجانبين ، وفى اليوم التالى هدأت مشاعر الكراهية وسكن الغضب وارسلت الرسل لطلب شروط السلم واعيد الأسرى الى كلا الجانبين وعاد السلم(٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين الى مرعش وانضم الى الجيش الأصلى وهناك وبخه اخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك اتجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها(٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تاسيس الامارات الصليبية . يمكن أن نستكشف بعض الرواسب التى أثرت فيما بعد على علاقتهما ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف فى صف تنكريد وتمتدح جانبه فى حين اعتبرت سلوك بلدوين نوعا من القسوة وحب الذات .

ثم كان أن قامت امارة انطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ ظهر موقف الرها منها عندما أسر بوهيموند(٣٨٩) امير انطاكية ووقع فى قبضة بنى دانشمند كما سبق أن اشرنا . ويهمنا هنا أن نتناول موقف أمير الرها من بنى دانشمند والى اى مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

---

(٣٨٥) Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid., T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

(٣٨٦) William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٧) Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد أمير تازنت . كان بوهيموند اميرا لانطاكية من ١٠٩٨م . وتوفى فى كانوذادى بوجليا Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقال ان بلدوين عرف بالحادث « عن طريق بعض الفاريين الذين وصفوا له تلك الكارثة »(٣٩٠) أو ان بوهيموند نفسه هو الذى استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعاطف مع الأمير كما لو كان اخا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقوة » (٣٩٢) بل قيل انه « حزن على زميله ورفيقه وبكى على ما آل اليه أمره (٣٩٣) » لذا تقدم بسرعة لنجدته (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشاه المختارين واربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند(٣٩٥)» كما ضم اليه جماعة من رجال انطاكية لمساعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يستطع تقديم اى عون لبوهيموند بعد ان اخذه بنو دانشمند وانسحبوا ، وبعد أن تعقبهم بلدوين ومن معه لمدة ثلاثة أيام بدون جدوى عاد الى ملطية فخضعت له ثم عاد الى الرها . أما اهالى انطاكية فقد تملكهم الغضب الشديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفى ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان أخيه جودفرى الذى ماتقبل فترة قصيرة،اتجه أولا الى انطاكية

---

(٣٩٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.

(٣٩١) Fulcherii : Op. Cit ... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 525.

(٣٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٣) Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552.

(٣٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525

(٣٩٦) Gest.a Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud Op. Cit., V .1, p. 52.

(٣٩٧) Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368.

حيث استقبل استقبالا حافلا من اهلها . وبعد ان استراح فيها ثلاثة ايام استانف رحلته الى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث فى يناير ١١٠١م (٣٩٤هـ) ان خرج بلدوين دى بورج الى سروج لحمايتها من سقمان الأرتقى فحلت به الهزيمة فى اول الأمر ، واضطر الى الفرار الى الرها ومنها اسرع لطلب المعونة من انطاكية(٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم الى سروج .

وفى ١١٠٢م (٤٩٦هـ) اشتركت جيوش الرها وانطاكية فى القيام ببعض الهجمات على المسلمين فى شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض اهلها وقطعوا على عدة مواضع قطائع اخذوها (٤٠١) » ثم توجهوا الى حلب واقاموا بالبلد عدة ايام وبعد التفاوض مع رضوان اميرها استقر الحال على ان يدفع لهم مبلغا من المال وبعض الخيول ويطلقون الاسرى المسلمين الوجودين عندهم(٤٠٢).

وفى ١١٠٣م — ٤٩٧هـ اطلق سراح بوهيموند بعد ان ساهم بلدوين دى بورج فى فديته(٤٠٣) وبعد اطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بورج واتخذ موقفا هجوميا ضد مسلمى حلب وفرض ضريبة على اميرها (٤٠٤) .

---

(٣٩٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 527.

(٣٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 370.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها احد عشر كيلو مترا (ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 212, Harold Lamb : p. 240.

(٤٠٤) Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) التى شارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) . كما شارك فيها بطريرك انطاكية اللاتينى برنارد دى فالنس (٤٠٦) . ومر بنا كيف ادى شك بلدوين فى الانطاكيين الى عدم تسلمه مفاتيح حران من اهلها ، (٤٠٧) ، الى جانب النزاع مع الانطاكيين حول ايهما يرفع علمه اولا على المدينة (٤٠٨)، مما ادى الى هزيمتهم بعد ذلك والواقع انه اذا كان يفهم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام عن موقعة حران — ان الجيش الانطاكى لم يحارب فى تلك المعركة اطلاقا(٤٠٩) . فان المصادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعلى للانطاكيين فى تلك المعركة (٤١٠) . أما (كاهين) فيعتبر نجاح الانطاكيين غير كامل فى تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دفع الى هذا الاختلاف فى مدى مشاركة الانطاكيين ، أن المعسكر الانطاكى لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد أسر بلدوين دى بورج وجوسلين وفرار بوهيموند وتنكريد الى الرها اختار الأهالى تنكريد وصيا على الرها الذى صد عنها هجوم

---

(٤٠٥) Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit., p. 71,
ابن القلانسى : الذيل ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، هـ ٨ ق ١ ص ٩ .

(٤٠٦) Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 من (Albert), Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.

(٤٠٧) Michel : Op. Cit., p. 195.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٤٠٩) ابن الاثير : الكامل ، هـ ٨ ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٤١٠) Gesta Tancredi : Op. Cit.... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.

(٤١١) Cahen : Op. Cit., p. 238.

(٤١٢) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

جكرمش ١١٠٤م — (٤٩٧هـ) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن الذى ازهق الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع أنه كان من الممكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بانه مستعد ان يطلقه فى مقابل اطلاق تنكريد لأميره سلجوقية كان قد أسرها فى نفس السنة ، أو أن يدفع لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الأميره(٤١٣) . وبالرغم من أن ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهيموند وتنكريد الا يفوتا تلك الفرصة لاطلاق سراح بلدوين لكن بوهيموند وتنكريد كانا يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين سوف تقصى تنكريد بعيدا عن وصايته على الرها ، ويعود خالى الوفاض . لذا اجابا بانه ليس من السياسة أن يظهروا فى صورة المتلهفين على الموافقة على العرض لأن ذلك من شأنه أن يجعل جكرمش يرفع الثمن اذا ترددوا ولكن فى نفس الوقت فانهما رتبا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى بلدوين فى الأسر (٤١٤) فقد كانت الرها « ممر عظيم جدا وذو اهمية تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط أن يكونا تابعين لامارة انطاكية فرفضا (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل باشر ويطلب مؤازرة جاولى والاتراك من ناحية وكوغ باسيل الأرمنى من ناحية أخرى (٤١٧) . اما تنكريد

---

(٤١٣) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619.

(٤١٤) Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 248.
نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.

(٤١٥) Zoé : Op. Cit., p. 215.

(٤١٦) Mattieu : Op. Cit, p. 86.

(٤١٧) Mattieu : Op. Cit,. p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op Cit., p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقــد استدعى لمؤازرته رضوان حــاكم حلب ، وامير قلعة جعبر(٤١٨). وقــامت بين الامارتين حرب طاحنــة « كــان جوســلين فيها ــ على وجه الخصوص ــ نشطا ضد تنكريد لأن قلعته كانت تقع فى ذلك الجانب من الفرات وكان بذلك قريبــا من أراضى انطاكية(٤١٩) »

ولــا كانت هــذه الحرب تعتبر نوعــا من الانقســام بين الفرنج وكانت تهدد الوجود الصليبى فى شمال الشــام لذا تدخل كبار الشخصيات الصــليبية(٤٢٠) ، الى جــانب بطريرك انطاكية برنــارد وتمكنوا من فض النزاع (٤٢١) . وعــادت الرها الى أميرها الشرعى (٤٢٢) .

وما كاد امير الرهــا يسترجع امارته حتى نشأ خلاف بين جــاولى ورضوان واستنجد جاولى ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد بين الامارتين . والواقع اننــا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة الرهــا بالموصل ٥٠٢هـ (١١٠٨م) ولكن ما نود أن نضيفه هنــا هــو ما ذكره ابن الفــرات وأكده فولشر من أن المعركة بين الرهــا وانطاكية كانت حوالى ثلاثة اشتبلكات متتالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا فبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حــدث اصطدامان بين

---

(٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.

كان امير قلعة جعبر فى ذلك الوقت شمس الدولة ســالم بن مــالك بن بدران ٤٧٩ ــ ٥١٩هـ (١٠٨٦ ــ ١١٢٥) زامبور : معجم الانســاب،حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٤٢١) ابن الأثير : الكامل،حـ ٨ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ،

Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p 438.

(٤٢٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ؛ ابن الفرات مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) .

(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

الرهـا وانطاكية : الأول اثير بسبب تشدد تنكريد فى عدم ارجـاع الرها لبلدوين والثـانى بسبب استنجاد رضوان بتنكريد ضـد جاولى وبالتالى استنجاد جاولى ببلدوين ضـد رضوان .

ولم يمر عـام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السـلجوقى فى سياسـة الجهاد ضـد الفرنج كما مر بنـا . وهنا نجـد رايا ينفرد به منى

=
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦(ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثنـاء القتال بين الصفين المتحاربين واستدعى جوسلين وتحـادثا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعـلم ان هـذه عـادة القوم وان العـدو يجتمع بعـدوه ويحادثه ويقرر حـاله » فخشى ان يكون الأميران الصليبيان قد اصطلحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفـان الى شيء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنـا راى جوسـلين ان الأمير جـاولى قـد اعتزل من العسـكر فوصـل اليه وقـال له : « يا مولاى هذا زينا فلا تظن غير هـذا فلم يجبـه الى قولـه وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الأولى من اشـد حملاتهم . وفى الحملـة الثانيـة « كـان جوسـلين لا يتصـد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فتطاعنا وتضـاربا بالسيوف وابلى كل واحد منهما ثم اسـتل كل منهما رمحـا وتطاعنا فسبقت طعنـة طنكريد الى جوسلين فقنطره من ظهر فرسـه وحمل صـاحب مرعش على طنكريد مطعنة فصرعه ايضا وظن ان جوسـلين قد قتـل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما راى أصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن فمنعته امه من الدخول وقالت « الى اين ليتنى لم اكن رزقتك » . فقـال لها « والله ما انهزمت حتى طعنت طنكريد حق الطعن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصدقك حتى اتاكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعـل ذهبت لتنكريد وسـألته هل قاتله ابنها حق قتـال ، فقـال لها « والله ما انهزم ولكن سـقط على الأرض كرهـا وانهزم عنـه اصحابه وقـد ضربنى فى الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » واكد كلام تنكريد جماعة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوى عن سبب قدوم تلك الحملة ولو اننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى اراد ان يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت قلوبهما مليئة بالحقد ضده – ربما لهزيمة العام السابق – ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحى وهو الاستنجاد بشرف الدولة مودود(٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك ويذكر « ان الأمير وجد ان بلدوين دى بورج تحاشاه فتوجه ضد الرها وبذلك أسرع بلدوين فى ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين اثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لضحض النص السابق وتاييد القول بأن الحملة ارسلت اصلا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد راينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبأ بانقاذ الرها فى بادىء الأمر لان بلدوين الثانى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده(٤٢٦) .

والواقع ان جروسيه يعزو ذلك – اى الصاق كل امير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . لذلك كانت اولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لنجدته ، هى شكواه من « تنكريد عدوه المحرك للغزو التركى(٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان امير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تعهداته مع المسلمين ضدها(٤٢٩) » لذلك فقد دعا الملك بلدوين الأول تنكريد الى أن يتصل ببقية الفرنج واذا كان لديه

---

(٤٢٤) Mattieu : Op. Cit., p 91.

(٤٢٥) Mattieu : Ibid., p. 91.

(٤٢٦) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٦ عن (البرت).

(٤٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٤٢٨) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Ibid., p. 459.

(٤٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

شــكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقــد تردد تنكريد وقــوانه فى المشــاركة مع الصليبيين ضـــد تلك الحملة التركية ، ولكنه عــاد وادرك أن عــدم تعــاونه مع اخــوانه الصليبيين فى حربهم ضــد الاتراك يسىء الى سمعته فى المحيط الصليبى بل يعتبر خيــانة فى حقهم ، لذا ســار بقــوة تقــدر بحوالى الف وخمسمائة فــارس الى الرهــا ، حيث اســتقبل من الملك استقبالا وديــا (٤٣١) وبعــد ذلك ســاله عن سبب موقفه العــدائى من أمير الرهــا فأجاب بأن الرها كانت منذ عهد بعيد — أيام الحــكم البيزنطى أو التركى — ضمن نفوذ أنطاكية(٤٣٢) عنــدئذ رد الملك على تنكريد قــائلا : « أخى تنكريد ان ما تطلبــه غير صحيح . انك تستند على وضــع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب ان تعلم أننــا عندما رحلنا من اجــل الحــرب المقدســة ، كان معروفــا ان ما سينتزعه كل منــا من المســلمين سيؤول اليه .. لذا فانا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احثك على صلح صــادق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التآمر مع الأتراك فلن تستطيع البقــاء بيننــا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٣٣) » وأمــام هذا الشعور العــام الذى تلى الخطبة الملكية اضــطر تنكريد للخضوع(٤٣٤)وتخلى عن مشاعر الكره والحسد(٤٣٥)أى أن خضوع تنكريد كان تحت ضــغط الظروف المحيطة به فى ذلك الوقت — هنــا يجب أن نستعيد الى ذاكرتنا ما حــدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

---

(٤٣٠) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٤٣١) Alberti : Ibid., p. 672, Grousser : Ibid., p. 452, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson)

(٤٣٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452.
هنــا يذكر البرت أن تنكريد كــان يرغب فى الحصــول على ضريبة سنوية على الرهــا .
(Alberti : Op. Cit., p. 672).

(٤٣٣) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Epopée, p. 88 عن (Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٤) Grousset : Op. Cit, V. 1, p. 453

(٤٣٥) Archer : Op. Cit., p. 148.

وبلدوين وكيف رجحت كفة بلدوين ايضا ــ وفى المعركة التى دارت بين المسلمين والصليبيين بعد ذلك نجد رايين احدهما يذكر أن تنكريد اضطر للانسحاب الى سميساط لأنه علم ان مؤامرة تدبر ضده هو وجماعته (٤٣٦) . والراى الثانى يشير الى انه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجي للتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندى بالانسحاب(٤٣٧).

وفى ١١١١م (٥٠٥هـ) كانت حملة مودود الثانية كما راينا على الرها وهي التى توجهت الى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى اغلق رضوان ابواب البلد فى وجه الجيش التركى مدعيا انه انهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هذا الجيش الى انطاكية وتوقف فى شيزر فما كان من تنكريد الا ان جمع حوله كل الفرنج فلحق به الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس وبرترام امير طرابلس وبلدوين دى بورج امير الرها(٤٣٨). واجتمعوا عند افامية أو فامية (٤٣٩) وتقابل الفريقان بعد ذلك عند شيزر ولكن لم تحدث معركة وانسحب الجانبان كل الى بلاده(٤٤٠) . هكذا فشلت حملة مودود ١١١١م فى كل خطواتها لأن المسلمين كانوا مفتقرين الى وحدة تنظم صفوفهم فى الوقت الذى اتحد فيه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشام الى جنوب فلسطين تحت رعاية بلدوين الأول ملك بيت المقدس (٤٤١) . تلك الوحدة التى أكد (برويه) وجودها فى سنتى ١١١٠م ــ ١١١١م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلدوين الأول(٤٤٢) .

---

(٤٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Mattieu).

(٤٣٧) Zoé : Op. Cit, p. 242.

(٤٣٨) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٣٩) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٦٥ عن (Setton) Grousset : d., p. 90.

(٤٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٤١) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ٤٦٥ عن (Runman)

(٤٤٢) J. Pra . . Op. Cit., T. 1, p. 28.

وفى ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفى تنكريد أمير انطاكيا (٤٤٣) ، فحل محله فى حكم امـارة انطاكية روجر السالرنى ابن ريتشارد(٤٤٤) ؛ الذى تولى ادارة الرهـا فترة ، اثناء اسر بلدوين دى بورج كومى عليها من قبـل تنكريد .

ويبدو إنـه قبل وفـاة تنكريد وبالتقريب فى الفترة ما بين ١١١٠م ــ ١١١٢م (٥٠٤ ــ ٥٠٦هـ) ايدت الرهـا جـانب انطاكية ضـد بيزنطـة مثلها فى ذلك مثل القـدس التى ايدت هى الاخرى انطاكية . وقـد عثرنا على نص ذكرته (انا كومنينا) وتشير الى ان الامبراطور الكسيوس ارسل سفارة للتفاوض مـع ملك بيت المقـدس ضد تنكريد ويدفع له الأمبراطور مبلغـا من المـال فى مقابل ذلك فرفض الملك ، لـذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القـدس للعبادة فى كنيسـة القيامة . فكان جوابه مشـابها لجواب الملك (٤٤٥) . والراجح ان تلك السـفارة ذهبت الى القـدس قبـل ان يطرد جوسلين من الرهـا وان جوسـلين فى ذلك الوقت كان يمثل التـابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفى عهد روجر تم ارتباط ودى عن طريق الزواج بين امارة الرهـا وامـارة انطاكيـة ، فقـد تـزوج روجر من اخت بلـدوين دى بـورج نفسـه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٣م لأن وليم الصورى يذكر أنه « فى ١١١٣م ارسـل الامير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن ريتشـارد حاكم انطاكية ، الذى كان قـد تزوج احـدى اخوات الأمير بلدوين » (٤٤٧) .

---

(٤٤٣) Grousset : L'Epopée, p. 91.

(٤٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 482, Cahen : Op. Cit., p. 273,
يسميه ابن الاثير (روجيل) ابن الاثير الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢

(٤٤٥) Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367.
سيأتى النص كاملا فى الملاحق .

(٤٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246, Grousset : L'Epopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 498.

ويعبر عن تلك العلاقات الوديسة المتينسة فى ذلك السدور ، ما ذكره جروسية من أنه « عندما أصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨م ، استفادت امارة انطاكية بكل تأييد المملكة الفرنجية (٤٤٨) » .

وفى ١١١٥م (٥٠٩هـ) كانت حملة البرسقى على أنطاكيــة والتى مر فيها بالرهــا (٤٤٩) ثم توجه الى انطاكية وفى نيته تخريب كل الاقليم المحيط بها (٤٥٠) . وكــان أن استنجد الأمير روجر بالملك بلدوين ملك القــدس وببلــدوين أمير الرهــا (٤٥١) ، هــذا الى جــانب بونز أمير طرابلس (٤٥٢) . وكان بلــدوين أمير الرهــا « فى الطليعة بفرقتــه العسكرية وحالمــا وقع نظره على العدو ، حتى اندفــع عليهم غير مروع باعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضــار ، هز كل جيشهم وتبعت الكتائب الأخرى مثاله فتدفقوا بأنفسهم بروح مشــابهة ضــد قلب قوات العــدو وحاربوها بالسيوف يدا ليد (٤٥٣) » . ويقال ان لؤلؤ (٤٥٤) ، اخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغتــه روجر وبعــد أن كــان متفوقــا فى البداية اضطر للهرب (٤٥٥) .

وفى بداية عهد جوســلين دى كورتناى كأمير للرهــا غزا ايلغــازى الاقليم المحيط بانطاكية وكان بصحبته طغتكين حاكم دمشــق ودبيس أمير الحلة العربي الســابق الذكر . عندئذ استنجد روجر بالملك بلدوين — اخو زوجته — وبجوســلين أمير الرهــا وبونز أمير طرابلس « وتضرع اليهم بالحاح وعجلة الا يتأخروا فى المجيء لمساعدته فى الهجوم الطارىء (٤٥٦) » .

---

(٤٤٨) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482.
(٤٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(٤٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.
(٤٥١) Galterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188, William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit., p. 115.
(٤٥٢) Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.
(٤٥٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 504.
(٤٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على الب ارسلان بن رضوان حاكم حلب .
(٤٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 274.
(٤٥٦) William— : Op. Cit, V. 1, p. 528.

نخفوا جميعا لنجدته ولكن رغم ذلك كان النصر لايلغازى (٤٥٧) . ومعنى ذلك انه فى عهد جوسلين الأول استمرت العلاقات قوية بين الرها وانطاكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة « عندما تزوج جوسلين دى كورتناى اخت روجر حاكم انطاكية وهى ماريا السالرنية والتى سبق أن ذكرنا انه تلقى عزاز مهرا لها (٤٥٨) . فى حين اشار راى آخر انها كانت ابنه روجر نفسه وان ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٤٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) أن حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها نخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد أعدائه وساهم رجال انطاكية البارزين بدور كبير فى المعركة (٤٦٠).

والواقع انه بعد ذلك الدور بدات العلاقات الرهوية الأنطاكية تدخل فى صراع مكشوف اكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ — ١١١٠م (٥٠٢هـ — ٥٠٤هـ) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كاحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مشار اليها فى علاقات الرها بانطاكية .

ففى خريف ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وصل الى انطاكية ابن بوهيموند الأول ، الذى رحل من روما وحكم انطاكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٤٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٤٦٢) . (Bohenmond II).
تزوج بوهيموند هذا الأميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٤٦٣) ، وفى نفس السنة ٥٢٠هـ قتل البرسقى (٤٦٤) .

---

(٤٥٧) William : Ibid., p. 528.
(٤٥٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418.
(٤٥٩) Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriaque)
(٤٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24.
(٤٦١) Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
وكان وصول بوهيموند الثانى إلى بلاد الشام فى (١٨ رمضان ٥٢٠هـ) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة جـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .
(٤٦٢) Schlumberger : Op. Cit. p. 32.
وهو ابن بوهيموند الأول وكستانس (Constance)
(٤٦٣) Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist: Hist. des Crois. V. 1, p. 651.
(٤٦٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقد ادى ذلك الى قيام فوضى بحلب فانتهزها كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثانى واسرعا الى حلب آملين اخذ المدينة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والأنطاكى عداء علنى (٤٦٦) . وهنا يذكر وليم الصورى « أن لسباب هذا العداء الخطير بين بوهيموند الثانى وجوسلين الاكبر كانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح أن سبب ذلك هو ان جوسلين كان يأمل أن يعتلى عرش القدس بعد الملك بلدوين الثانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد أن « صونع بمال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى انطاكية بعد ذلك ، وقد استعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (٤٧٠) . وقد أشار وليم الصورى الى ذلك بقوله « دعا جوسلين لمساعدته مجموعات من الأتراك واقام اسما سابقة معيبة لاعقابه وبمساعدتهم انتقم من أراضى انطاكية بالنار والسيف واجبروا أهلها — الخدم الحقيقيين للمسيح . على أن ينحنوا لنير عبودية غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيذكر أن جوسلين « استولى على كل شيء وجده فى اقليم انطاكية ماعدا الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلدوين الى انطاكية وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى فالنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقد « غضب البطريرك واقفل الكنائس واوقف القداسات والصلوات واوقف

---

(٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٣٠ .

(٤٦٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٦٨) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651.

فقد كان جوسلين يأمل فى العرش لقرابته اولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم السوابق التى حصلت فكلا من بلدوين الأول والثانى ، أرتقى بعد امارة الرها عرش القدس (سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٣١) .

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب، حـ ٣ ص ٨٨ .

(٤٧٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٧٢) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

الأجراس والجنازات على الموتى ، لذا اجبروا على عقد الصلح واعاد جوسلين كل الغنيمة (٤٧٤) » .

ويبدو أن الوضع بين امارتي الرها وانطاكية عاد الى هدوئه النسبي حتى فبراير ١١٣٠م — رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند الثاني في معركة ضد الأمير غازي الدانشمندي (٤٧٥) . وعندئذ حاولت أرملته اليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس صاحبة الحق الشرعي في الحكم من طريق تدبيرها للمكائد (٤٧٦) . فما كان من رجال انطاكية البارزين الا ان جمعوا مجلسا ثم استنجدوا بالملك بلدوين للمساعدة (٤٧٧) . ويقال ان اليس وصلت في تحديها للأنطاكيين الى درجة الاستنجاد بزنكي لمساعدتها ، ولكن لسوء حظها وقع خطاب الاستنجاد في يد والدها وعرف بالمؤامرة (٤٧٨) . عندئذ اسرع الملك بلدوين الى انطاكية كما اتجه اليها ايضا جوسلين دي كورتناي امير الرها (٤٧٩) . ولكن اليس منعتهم من الدخول الا ان بعض القادة المدنيين والدينيين عصوا أوامرها وفتحوا أبواب المدينة لهم (٤٨٠) . وعندئذ اصدر الملك بلدوين مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على

---

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٥) Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,
ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،جـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطىء أحد مؤرخي الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثاني هو تاريخ توليته ، فيذكر أن بوهيموند خلف روجر ١١٣٠م في حكم انطاكية :
Jacques D. Issaverdens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(٤٧٦) اسحاق عبيد : روما وبيزنطه ، ص ١٥٧ .

(٤٧٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٧٨) Setton : Ibid., V .1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٤٧٩) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 p. 255.
هنا يذكر ابن العبري : أن ذلك كان سنة ١١٣١م.ولكن الراجح أنه كان ١١٣٠م .

(٤٨٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op .Cit. T. 1, p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثـانى فى حكمها لأنطاكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (٤٨١) .

وفى ١١٣٠م ايضـا قامت بين الرهـا وانطاكية علاقـة دينيـة ذلك أن (حنا ماديانا) عندما توجه الى مدينـة كيسوم ليتم اختياره بواسـطة مجمعها الدينى ، بطريركا يعقوبيا على انطاكيـة ، وجـد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم ـ كما سبق الذكر ـ لذا توجه ذلك البطريرك الى تل باشر حيث تمت رسـامته تحت رعاية جوسلين الاول فى كنيسـة تل باشر اللاتينية فاصبح بطريركا لدير — Dovair — وبذلك خلف البطريرك اليعقوبى لانطاكية اثناس وتم ذلك بالتحـديد فى ١٧ فبراير ١١٣٠م ، بفضل تأييد جوسـلين الأول ومسـاعدته (٤٨٢) .

وفى ١١٣١م — ٥٢٦هـ توفى جوسلين الأول وخلفه فى حكم امارة الرها جوسلين الثانى الذى رغب فى ان يحكم انطاكية مكان ابيه لكن اهالى انطاكية، والبطريرك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفى اغسطس ١١٣١م توفى الملك بلدوين الثانى(٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق أطماعها من جـديد ولكن فولك ملك بيت المقـدس الجـديد منعها من ذلك بالقـوة واجبرها على الفـرار الى اللاذقيـة ثم تمت خطبـة كونستانس لريموند دى بواتييه Raimond de Poitiers الذى كان وقتها فى بلاط هنرى الأول ملك انجلترا(٤٨٥) .

هنا يقـال أن اليس استمانت فى محاولتها الاخيرة بجوسـلين امير الرهـا (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هـذا الراى وخاصـة أن جوسلين الثـانى كان قد تقدم الى انطاكية ١١٣٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضـد غزو الاتراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الأمر فانه بزواج ريموند دى بواتييه من كونستانس ابنه

---

(٤٨١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1, p. 255. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.
(٤٨٢) Groussét : Hist. des Crois., V. 2, p. 7.
(٤٨٣) Michel : Op. Cit., p. 233.
(٤٨٤) Schlumberger : Op. Cit., p. 3.
(٤٨٥) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٥٧ — ١٥٨ .
(٤٨٦) Sétton : Op. Cit., V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 317.
(٤٨٧) Michel : Op. Cit., p. 234.

بوهيموند الثانى اصبح اميرا لأنطاكيـة من ١١٣٦ — ١١٤٩م (٤٨٨) (٥٣١هـ — ٥٤٤هـ) مما قضى على أطماع الطامعين فى امارة انطاكيـة ومن بينهم جوسلين الثـانى نفسه .

وفى ١١٣٧ — ٥٣٢هـ جدت ظروف فى امارة انطاكية استدعت تدخل الأمير جوسلين الثـانى . وترجع جذور تلك الأحداث الى ١١٣٥م عندما توفى قنسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفـه على العرش ليو الأول اخـو ثوروس الذى انتزع من البيزنطيين ، المصيصـة واذنـه وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شـواطىء البحر المتوسـط . وعنـدما تولى ريموند دى بواتيه امـارة انطاكية ١١٣٦م اصبحت حدوده متقاربة جدا مع حـدود ليو الأرمنى فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمنى فى كمين(٤٩٠) نصـبه له ريموند بالاشتراك مع بلدوين أمير مرعش(٤٩١) وظل ليو اسيرا داخل احـدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفـاق على اطلاق سراحه مقابل التنـازل عن بعض المـدن ودفع مبلغ من المـال وان يقدم ابنه كرهينـة ومن ناحية أخرى وعـده ريموند بمساعدته ضـد الامبراطور البيزنطى حنـا كومنين(٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم أطلاق سراح ليو حتى حنث بعهده وهاجم

---

(٤٨٨) Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
Tournebize : Ibid., p. 173. (توفى ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م)

(٤٨٩) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٩٠) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316.
ولو أن الأخير يخطىء فيعتبر أن ذلك كان فى عهد بوهيموند .

(٤٩١) Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. p. 358.

(٤٩٢) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques D. Issaverdens : Op., Cit., T. II, p. 316, Cahen: Op. Cit., p. 358.

أما المدن التى وعـد ليون بتسليمها فهى المصيصة واذنه Sarovanticar، وكان المبلغ حوالى ٦٠٫٠٠٠ دينـار . او Roc de Saravant

ريموند واستولى من جديد على المدن التى كان قد تنازل عنها(٤٩٣) مدعيا « أنها اغتصبت منه بالخديعة والقوة » (٤٩٤) لذا اشتبك الجانبان فى حرب أريقت فيها دماء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الموقف (٤٩٦) وجاء ذلك العداء كارثة على الارمن والفرنج جميعا ، لان المسلمين انتهزوا الفرصة للانقضاض على الجانبين المتحاربين(٤٩٧) هذا الى جانب الاخبار التى بدأت تنذر باقتراب الجيش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجانبين فى ذلك الوقت ، بحكم أن والده كان متزوجا من اخت الأمير ليو . وأوقف المداواة واصلح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

فى نفس الوقت الذى وصلت فيه اخبار استعدادات الامبراطور لحملته على الشام ١١٣٧م وصلت أنباء ايضا بأن فولك ملك بيت المقدس لقى هزيمة على يد زنكى فارسل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكية . وكان وضع ريموند عندئذ حرجا للغاية فمن ناحية لم يكن يود أن يبرح امارته فى ذلك الوقت حتى لا يتمكن العدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفى نفس الوقت كان عليه أن يلبى نداء الملك ، لذا « عهد الى كل من جوسلين الثانى أمير الرها وبلدوين أمير مرعش بمهمة حماية امارته » وأسرع هو ليقدم العون للملك ، وعندئذ آثر زنكى التفاوض مع فولك وبذلك عاد ريموند الى امارته(٥٠٠).

---

(٤٩٣) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٤٩٤) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٥) Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٦) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٧) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٤٩٩) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit.. p. 358.

ويذكر كاهين ان ذلك كان فى شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح أن جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصله استنجاد الملك به أيضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لامير مرعش وحده ويرجح

وقد حدث ١١٣٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حنـا كومنين الى شـيزر للاسـتيلاء عليهـا وفقـا لمـا تـم عليـه الاتفـاق بمقتضى الحلف الفرنجى البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخـر من البحث ان تقـاعس جوسلين وريموند عن مسـاعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا سـخط الامبراطور عليهما ، وعندما التمس منه حاكم شيزر ان يترك حصـارها مقـابل مبلغ من المـال وافق وانصرف عنها (٥٠١) .

على ان الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بانطاكية ، وعنـدئذ ارسل جوسلين الى انطاكيـة عنـاصر اسـتثارت غضب الجمـاهير وحقدهـا . وفى الوقت الذى تظاهر هو بأن الجماهير فى انطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتـله وكان ان نجحت حيلتـه . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد ان أصيب بعض افراد حاشيته(٥٠٢) ويبدو أن جوسلين دبر تلك الخـدعة لا بدافع مصلحة امير انطاكيـة فحسب بل ايضـا خوفـا من ان يسـيطر الامبراطور البيزنطى على الرهـا اذا تمت له السيطرة على انطاكية .

وثمة نص يذكره وليم الصـورى يشير الى تجـدد العـداء ١١٣٨م بين انطاكية والرهـا اذ يذكر ان جوسلين ارسـل فى تلك السنة الى بطريرك انطاكية الذى كان موجود فى صقلية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم انطاكية (٥٠٣) فاظهر جوسـلين الثـانى الود تجـاه البطريرك نكاية فى ريموند ودعـاه للحضور ومعه بطانتـه الى الرهـا لتاييـده ومنـاصرته . فلبى البطريرك الدعوة وحضر الى الرهـا حيث استقبل باحـترام كبير من كل الاسـاقفة ورحب به الأمير جوسـلين ترحيبـا فائقـا (٥٠٤) .

= هذا رأى ابن الفرات الذى ذكر ان جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك جـ ٣ ص ٩١) (أ) .

(٥٠١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96.

(٥٠٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Brêhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل ان سبب ذلك النزاع هو موافقـة ريموند على اقـرار بطريرك بيزنطى فى انطاكية .
(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit., T. 1,. p. 327).

(٥٠٤) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

وعندمـــا علم الأمير ريموند بذلك أرســـل ســـفارة الى الرهـــا تطلب الى البطريرك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريرك لذلك(٥٠٥).

وفى ١١٤٤م (٥٣٩) وهى التى سقطت فيها امارة الرها كما سنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد ــ كان العــداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية او بالأحرى بين جوسلين الثانى وريموند . ولذا حدث عندما استغاث جوسلين بريموند لنجدته بوصفه أقرب جيرانه الصليبيين ، اعتذر ريموند باعــذار شتى (٥٠٦) بل قيل أن ريموند لم يستطع أن يخفــى سروره وشماتته لـــا حل بجوســـلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصـــورى على ذلك بانه نسى قول (هورس) « عندما يكون منزل جـــارك يحترق فان منزلك يصبح فى خطر (٥٠٨) » . ومن جهة اخرى فانه يقال أن سبب امتـــذار ريموند فى ذلك الوقت عن نجـــدة الرهـــا كان مرجعه انشغاله بمنازعاته مع الامبراطور البيزنطى الجديد مانويل (٢٠٩) .

والواقع انه مهما تكن ظروف ريموند فان الواجب كان يملى عليه أن ينجد جوسلين أولا ثم يفكر فى مصـــالحه الخاصـــة بعد ذلك لأن مـــا يهدد الرهـــا سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنورهالى فى مرثيته عن سقوط الرهـــا فى يد زنكى حيث يقول مخاطبا انطاكية على لسان الرها :

اليك حـــديثى وعتـــابى
يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
ايه أيهـــا القرينـــة الحبيبة
لـــم لـــم تـــهرعى الى
وانت فى اليسر والســـعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة
بل شمت بى وتركتينى
اقع فى ايدى الكافرين ؟
هلمى واصغى الى نحيبى
وشاطرينى حسرة أضرمت فؤادى

---

(٥٠٥) William : Ibid., p. 117.
(٥٠٦) William : Ibid.. V. 2, p. 142.
(٥٠٧) William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Epopée, p. 163.
(٥٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 201.
(٥٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

وولولى معى وانتحبى
وواسي قلبى الجريح(٥١٠)

وحتى بعد سقوط الرها وعند محاولة جوسلين استرجاعها للمرة الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة مدعيا « أن الحملة تخطيطها سيء »(٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين أن زنكي سيهاجمه بسرعة ، الا انه لم يستطع ان يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تقلبت العلاقات بين الرها وانطاكية بين العداء حينا والتحالف احيانا فضلا عن العلاقات الدينية . وان كان الغالب على تلك العلاقات هو الطابع العدائي .

اما عن علاقة الرها بامارة طرابلس : فاننا لم نعثر على نصوص كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وانطاكية من ناحية اخرى ، وذلك فيما عدا النادر اليسير الذى شاركت فيه الرها وزميلاتها ، بقية الامارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار بارين (٥١٣) ١١٣٧م (٥٣١هـ) والغالب ان العلاقة بين امارتي

---

(٥١٠) Nersés Schnorhali : Op. Cit.. p. 231.

(٥١١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٥١٢) Runciman : Ibid., V. 2, p. 238.

(٥١٣) بارين « بليدة بين حمص والساحل تتلفظ به العامة (بعرين) وهو خطأ والصحيح بارين (ابن الاثير : الباهر - ص ٥٩) ولذا نجد بعض المصادر والمراجع تكتبها بعرين والبعض الآخر يكتبها بارين .

فممن كتبوها بعرين (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ ,(ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردى جـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، أما من كتبوها بارين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الاثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الإثير ذكر التسميتين فى كتابيه .

اما المصادر والمراجع الأجنبية فتشير اليها باسم (Montferrand)
=

الرهـا وطرابلس كانت ذات طابع ودى فى اطار تبعية الجـانبين لمملكة بيت المقـدس وذلك منذ قيـام امـارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٩م(٥١٤) (ذى الحجة ٥٠٢هـ(٥١٥)) .

والواقع أن العلاقات بين طرابلس والرهـا كانت ودية حتى قبـل قيـام امـارة طرابلس الصليبية . ففى أوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولونى أمير الرهـا متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفـاة أخيه ، سـار كما ذكرنا وسـط بلاد المسـلمين وتحمـل هو ورفاقه المشقات الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التى كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار(٥١٦) . حتى استقبله امير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصـداقة بينهما وقـدم له أمير طرابلس الخبز والنبيذ وأخبره أن دقاق حـاكم دمشق والقـائد جنـاح الدولة اقاموا له كمينا على الطريق حتى يأخذ حذره »(٥١٧) .

ويبدو أن موقف ابن عمار هـذا انما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقـاق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد أن أصبحت الأخيرة امـارة صليبية هو مشاركة طرابلس فى الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٠م (٥٠٤ هـ) الى الرهـا لنجـدتها من خطر الأمير مودود وجيشـه المحاصر لها . ذلك أن برترام الصنجيل (٥١٩) توجـه لنجـدة الرهـا « بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القـدس (٥٢٠) » .

ثم حـدث ١١٢٣م (٥١٧هـ) بعـد اسر الملك بلدوين الثـانى أن صارت كل من بيت المقـدس والرها وانطاكية محرومة كلها من رؤسـائها

(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٣٧٢ .
(٥١٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٣ .
(٥١٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩ .
(٥١٧) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520
(٥١٨) Zoé : Op. Cit., p. 184.
(٥١٩) هو برترام أمير تولوز والابن الاصغر لريموند الصنجيل .
(G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).
(٥٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671.
Grousset : Hist. de Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert).

فى حـين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بـونز Pons (٥٢١) تتراس تلك الامـارات كما مر بنـا(٥٢٢) .

وفى ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منبج بجوسلين ضد بلك الارتقى سـار جوسـلين الى بيت المقـدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشـد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجـل وتقـدم الى منبج (٥٢٣) . واشترك بهم فى تلك المعركة .

كذلك حـدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) عندمـا حاصر البرسـقى عزاز ان سـار لنجدتها ملك بيت المقـدس ومعـه بقيـة الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس بونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح الأيسر للجيش الصليبى فى تلك المعركة (٥٢٥) .

وفى ١١٣٧م شوال ٥٣١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت امـارة طرابلس لتهديد زنكى وحصاره اسرعت الرهـا لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

---

(٥٢١) بونز بن برترام هو أمـير طرابلس من ١١١٣ — ١١٣٦م ، تزوج ارملة تنكريد بعد وفـاته .
(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٢) Grousset : L'Epopée, p.p. 120 — 121.

(٥٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٨ .
Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

(٥٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24.

(٥٢٥) William : Ibid.. V. 2, p. 24.

(٥٢٦) تشير غالبية المصـادر والمراجع الاسلامية الى ان ذلك كان ٥٣١ هـ ومنها :
ابن الأثير : الكامـل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، النويرى : نهـاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ والعينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٩٢ . فى حين ينفرد مصـدران فقط بان ذلك كان ٥٣٤هـ وهما ابن الأثير : البـاهر ص ٥٩ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرايين فى كتابيه والراجح أن ذلك كان ٥٣١هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التى ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية
William : Op. Cit., V. 2, p. 86.
Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما أننا سنتناول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل فى الجزء الخاص بجهاده الاسلامى قبل اسقاطه للرها فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرها فى تلك المعركة .

ذلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجى هام لأنها تشرف على الطريق الرئيسى لبلاد الشام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكانت عند حصار زنكى لها تابعة لأمير طرابلس ريموند الثانى (٥٢٨) . وموقعها فى الجزء الشرقى من الامارة (٥٢٩) . وقد حدث عند تعرضها لحصار زنكى ان طلب ريموند المعونة من القدس أولا(٥٣٠) ولكن عندما ادرك الملك تفوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتماء به فاصبحوا شبه مسجونين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفى تلك الاثناء كان قد قتل فى المعركة بينهم وبين زنكى جودفرى الأخ الاكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد أن استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشاوروا واتخذوا قرارا بان يستنجدوا بأميرى الرها وانطاكية ، وبطريرك القدس ليأتى لنجدتهم ومعه كل اهالى المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه احد الرسل الى الرها متوسلا بأميرها الذى جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، وصحبه أمير انطاكية فى تلك المهمة(٥٣٤). فضلا عن بطريرك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

---

(٥٢٧) J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323.

(٥٢٨) Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٥٣٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70.

(٥٣١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابو شامة ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الأرب مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

(٥٣٣) William : Ibid., V. 2, p. 87.

(٥٣٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٥٣٥) J. Prawer : Op. Cit., p. 323.

الصليبية الى جانب احتمال وصول الجيش البيزنطى بعد أن استنجد الصليبيون بالروم(٥٣٦) ، اختار ان يفاوض اعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كانت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم اميرى الرها وانطاكية فقابلهم بتاثر عظيم وشكر حبهم ومروءتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الأميران كل الى بلاده (٥٣٨) .

هكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة فى علاقةالرها بطرابلس.

ثالثا : علاقة الرها بالأرمن خارجها :

سبق أن اشرنا الى الدور المهم الذى قام به الأرمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠هـ) فى ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود باكراد الأرمنى وغيره من الأرمن الذين كان لمساعدتهم الأثر الأكبر فى تسهيل مهمة بلدوين فى تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له فى الشرق .

والواقع أن علاقة امارة الرها الصليبية بالأرمن خارجها كانت أغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بأرمينيات — وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الأرمن ؛ ولكن يندر أن نجد علاقة عداء شديد بين الامارة والأرمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين .

أما عن اول أمراء الرها الصليبية وهو الأمير بلدوين البولونى فانه لكى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الأرمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية بادر بالزواج من الأميرة (اردا) (٥٣٩)ا الارمينية وكان أبوها

---

(٥٣٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438

(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (ب) .

(٥٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit.,

باتفاق المصادر ، احد امراء الارمن ذوى النفوذ والثروة فى ذلك الوقت حتى ان صداقها بلغ حوالى ستين الف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من امر هذا الزواج ان الكتاب الارمن اعتبروه « تحالفا للمصالح اقر بواسطة النسب ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات الاقطاعية الصليبية » (٥٤١) فى حين اشار اليه بعض الكتاب الاوربيين المحدثين بانه « كان زواجا سياسيا (٥٤٢) » . والواقع اننا لا نستطيع ان نقرر ان تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع ان ثراء والد الزوجة ربما اغرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المالى لامارته الناشئة .

اما عن علاقة بلدوين البولونى بكوغ باسيل واخوة باكراد ، فان كوغ باسيل كان عند قيام امارة الرها ، يحكم كيسوم ورعبان وقلعة الروم (٥٤٣) ؛ اما باكراد فقد اعطاه بلدوين حكم مدينة الراوندان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين واخيه جودفرى وهذين الاميرين الارمنيين فى نص خلاصته انه بينما كان جودفرى مقيما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى الناس من الاخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف انهما اثقلا كاهل الاهالى وعلى وجه الخصوص اهل الاديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحية اخرى فان هذين الاخوين ارسلا الى الامير بوهيموند يستثيرانه ضد امير الرها . ولذا سخط جودفرى عند سماعه تلك الاتهامات وارسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غدر بلدوين بالامير باكراد رغم الخدمات الجليلة التى قدمها له الاخير .

كذلك تركز جانب هام من العلاقات بين امارة الرها الصليبية والارمن فى عهد بلدوين البولونى فى علاقته بجبريل امير ملطية ، وهى

= V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, L'Epopée, p.p. 104, 205.

(٥٤٠) Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64.

(٥٤١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169.

(٥٤٢) Grousset : L'Epopée, p. 104.

(٥٤٣) عن (Albert) Grousslt : L'Empire, p. 386.

(٥٤٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التى سبق ان تكلمنا عنها بالتفصيل اثناء الكلام عن عهـد بلدوين البولونى فى الرهـا وعند الكلام ايضـا عن علاقة الرهـا بانطاكية عندما اسر بنو داشمند بوهيموند امير انطاكيـة ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بان اعلن جبريل امير ملطيـة ولاءه لبلـدوين ودخـل تحت طاعتـه فى تلك السـنة (٥٤٥) .

والراجح ان جبريل كان قـد عرض على بلدوين القـدوم الى ملطية منـذ اللحظة الاولى لتاسيس الامارة بدليل ما ذكره ميخائيل السريانى من أنه « بعـد ان وصل الفرنج الى الرهـا وحكموها بذل جبريل جهده ليجعل الفرنـج يحضروا ويستولوا على ملطيـة (٥٤٦) » . ويبدو ان انشغال بلدوين بتدعيم امارتـه فى بادىء الأمر تم باخماد المؤامرة التى قامت ضـده فى مستهل حكمه هو الـذى منعه من تلبيـة طلب جبريل بسرعة ، لذا لجـا جبريل كمـا راينا الى بوهيموند ، وانتهى الأمر الى دخول ملطيـة بالفعل تحت سيطرة الرهـا .

على انه ما كاد بلدوين يغـادر ملطيـة عائدا الى الرهـا بعـد ان ترك بهـا حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو دانشمند من جـديد لمحاصرة ملطيـة دون جـدوى (٥٤٧) .

ثم كان ان شهد عهد بلدوين دى بورج نشـاطا واسعا فى للعلاقات بين الرهـا والأرمن خارجهـا ، من ذلك ان بلدوين دى بورج لجـا الى نفس اسلوب بلدوين البولونى لتاكيد مكانته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنه جبريل (٥٤٨) . حاكم ملطيـة كما سبق ان ذكرنا والتى حملت اليه صـداقا كبيرا جـدا (٥٤٩) ، اشبع خزانة بلدوين . ومع ذلك فان هـذا التحالف لم يحل دون هجوم الاتراك من بنى دانشمند على ملطيـة واخـذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٤٩٧هـ) ومن أهم الزيجات التى تمت أيضا

---

(٥٤٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

(٥٤٦) Michel : Op. Cit., p. 187.

(٥٤٧) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. T. 4, p. 525.

(٥٤٨) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménîe Ciliciénne, p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

(٥٤٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٥٥٠) Zoé : Ibid., p. 210.

فى عهد بلدوين دى بورج التى ربطت بين امارة الرهـا من ناحيـة وبين ارمينيا الصغرى من ناحيـة أخرى ، زواج اخت بلدوين د ى بورج من ليون الأول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرهـا بالأرمن فى ذلك العهد على المصاهرات وانما حدث « فيما بين سنتى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) ان ساعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ — ١١٢٩م) (٥٥٢) . الصليبيين فى رد هجمات البيزنطيين عن الرهـا وانطاكيـة (٥٥٣) » . وفى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) تنازل طاطول الأرمنى صاحب مرعش عن مدينتـه لجوسلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقد مر بنا كيف اسر بلدوين دى بورج حوالى خمس سنوات بعد ذلك وكيف عارضت انطاكية فى رد امارته اليه بعد ذلك مما ادى الى الخلاف بينه وبين تنكريد ١١٠٨م (٥٠٢هـ) بسبب ذلك . بل ان بلدوين اضطر الى اعلان الحرب ضد تنكريد وهى الحرب التى استنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجه بلدوين فى ذلك الوقت الى كوغ باسيل حاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الذى كان قد

---

(٥٥١) Iorga: L'Arménie Ciliciénne, p. 94, Zoé: Op. Cit., p. 296

هنا يضيف (ايورجا) ان اخت بلدوين اسست بعد زواجها فى ارمينيا ديرا لاتينيا .

(٥٥٢) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٥٣) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن (Runciman)

ويسميه ميخائيل هنا امير الأمراء ويذكر انه باع فى نفس الوقت صورة العذراء المقدسة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان فى مقابل مبلغ ضخم من المال ثم رحل الى القسطنطينية .

Michel : Op. Cit., p. 75.

(٥٥٥) Michel : Op. Cit., p. 187, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393,

Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 52.

يسميه (كوسيل) كل من ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) أما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ فيسميه (ابو سيل الأرمنى) .

«جمع الجيش الأرمنى القومى فى قلعته العسكرية الحصينةفىالجزء الشرقى من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتمس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا واغدق عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد ان مصالحهما تتفق فى مواجهة تنكريد الذى طمع فى الاستيلاء على قيليقية باكملها ، بعد أن استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية أخرى فقد عانى اهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دى سالرنو الذى حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دى بورج ضد تنكريد « فانجده بالف فارس والف راجل (٥٥٩) » . اما متى الرهاوى فيقدر المعونة التى قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل انه ارسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطى (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد أن بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودة امارته اليه ، حتى وصل الامر الى حد ابتزاز امواله كما اشار وليم الصورى (٥٦٢) .

وعندما تعرضت الرها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤هـ) أسرع اليها الملك بلدوين الأول لنجدتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بعض الرؤساء الارمن فى مؤازرة امارة الرها وعلى راسهم كوغ

---

(٥٥٦) (Mattieu) من Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 436.

(٥٥٧) Grousset : Ibid.. p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥١ (عن البرت) Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٢ عن (Stevenson), Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦١) Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦٢) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

باسيل (٥٦٣) . الذى « أصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سميساط (٥٦٤) » .

وفى ٥٠٦هـ (٥٦٥) (أكتوبر ١١١٢م) (٥٦٦) . توفى كوغ باسيل « فحكمت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة تدبرت امر البلاد احسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حاصر البرسقى الرها ١١١٤م (٥٠٨هـ) وعندئذ ارسلت اليه زوجة كوغ باسيل تقول « ان زوجى أوصانى بعد موته أن اخالط المسلمين وان أجانب الفرنج وانا من الموالين لك فارسل الى من اجتمع به وأكون تحت أمرك : فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال ان السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو ان زوجها قاسى من عدوان تنكريد ١١١٢م (٥٦٩) (٥٠٦هـ) بل ان تنكريد كان يطمع فى امارته بعد موته هذا الى أنه يبدو أن بعض الأرمن الذين طردهم بلدوين الثانى من الرها ١١١٣م (٥٠٧هـ) نزحوا الى كيسوم حيث حرضوا دفا باسيل — ابن كوغ باسيل المتبنى — (٥٧٠) . على محالفة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال ان الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان لما كادوا يعلمون بذلك حتى غادروها الى انطاكية (٥٧٢) . وقد رأى الفرنج ان ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد صريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

---

(٥٦٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 92, Cahen : Op. Cit, p. 257,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٧ Setton : Op Cit., V. 1, p. 299
عن (Stevenson) Archer : Op. Cit., p. 148.

(٥٦٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 92

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

(٥٦٦) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ، ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1. p. 403.

(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.
كانت زوجة كوغ باسيل قد أرضعته فقط .

(٥٧١) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ عن (Runciman)

(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٨٠ (ب) .

(٥٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٠٩هـ) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha فحاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم انه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الامير الأرمنى ليون بن قنسطنطين بن روبان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « فدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥١٠هـ) (٥٧٦) . لذلك اشار ميخائيل السريانى الى ان بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سميساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

أما عن كركر التى كانت تابعة للامير قنسطنطين الأرمنى الذى سبق أن ساعد بلدوين الأول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد ان ميخائيل السريانى يشير الى ان بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥١١هـ) (٥٨١) وأن بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

---

(٥٧٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

(٥٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 116.

(٥٧٦) Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu). سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٧٣ عن (متى الرهاوى) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 405 هنا يضيف متى الرهاوى « ان باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

(٥٧٧) Michel : Op. Cit., p. 199.

(٥٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٥٧٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٨١) Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

حـميبـــــاط حتى هلك فى احـــد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفى ١١١٧م ايضـــا توجـــه بلدوين دى بورج ضـــد احـــد الرؤساء الارمـــن المشـــهورين هو ابو الغـــريب — Abeigh'arib — حـــاكم البيرة (٥٨٣) . وصحبه فى حملته هـــذه أمير سروج . وكانت البيرة ذات موقع استراتيجى فى المكان الاول من الاهميـــة على مجرى الفرات على طريق الرهـــا عينتاب (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالى سنة كاملة حتى فقـــد ابو الغريب كل امل فســـلم البيرة وكل الاقليم الى بلـــدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قـــد استولى بين سنتى ١١١٥م ، ١١١٨م على ممتلكات كل من دفا باسيل حـــاكم كيســـوم ورعبان وقلعة الروم وأبو الغريب حـــاكم البيرة وقسطنطين حـــاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهـــاوى يذكر صـــدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العـــديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ أو نتجـــاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياســـة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففى ١١١٨م توجـــه كما مر بنـــا الى القـــدس حيث توج ملكا . هنـــا يعقب او لدنبرج على سياســـة بلدوين البولونى ودى بورج مـــع الأرمن فيقـــول « انـــه بالرغم من صـــلابتهما فان سياســـة التحـــالف والامتيازات المتبادلـــة فرضـــت على الفرنـــج بحكم ظروف الســـاعة نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهـــد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات امارة

---

(٥٨٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 117 - 118. Grousset : Op. Cit., p. 494.

(٥٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 116 - 117.

(٥٨٤) سـعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (Setton)
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493
هنـــا يذكر جروسية انه رغم أن البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الاول ١٠٩٩م الا أنه تركها تتمتع بكيانها كامارة ارمينية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكدرة بين الرهـــا وتل باشر .

(٥٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٦) Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu)

(٥٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 210

الرهـــا بالأرمن خارجهـــا فى ثلاثة انماط . اما زواج متبادل او ود وتحالف او عـــداء وتوســـع بالقوة من جانب الرهـــا .

وفى عهد جوسلين دى كورتناى تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ، فقد اتخذ جوسلين من اخت ليون الاول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) . (١١٢٩ ــ ١١٣٦م) (٥٨٩) . أو أخت ثوروس الاول (٥٩٠) . أو بمعنى آخر ابنـــة قنسطنطين (٥٩١) . زوجـــة له ، لان ثوروس وليون كانا ولدى قنسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الارمن والرهـــا فى عهد جوسلين دى كورتناى تلك المحاولة البطولية التى ســـاعد بها الأرمن فى اطلاق سراح جوسلين من سجن خرتبرت كما مر بنا . ذلك ان الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود رعايا جوسلين الأرمن فحسب (٥٩٢) . بل تعداه الى الارمن فى خرتبرت ســـواء فى قلعتها او فى البلد نفسها (٥٩٣) . او فى طريق عودتـــه الى الرهـــا خاصـــة جهود احـــد الفلاحين الأرمن الذى اسهبت المصـــادر المعاصرة فى الاشـــادة بجهوده فى هـــذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر هرب جوسلين ووقوع القلعة ــ كما مر بنا ــ

---

(٥٨٨) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٥٨٩) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 296.

(٥٩١) Iorga : L'Arménie ciliciénne, p. 93 عن (Alishan Sissouan)

(٥٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541 - 542, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme), Archer : Op. Cit., p. 162.

(٥٩٣) Matti.u : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op Cit , V 1, p. 419 Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer : Op. Cit., p. 163.

(٥٩٤) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420, Zoé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 592, L'Epopée, p. 123 عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى أسرع اليهـا واستعادها (٥٩٥) ؛ ولم يتم ذلك بالطبع فى سلام بل راح ضحيتـه كل الأرمن تقريبا الذين وجـدهم بلك فى القلعة(٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقعوا فى قبضته(٥٩٧).

وقبل أن ننتقل الى عهد جوسلين الثـانى نحاول التعرف على علاقة الرها بكركر فى عهد جوسلين الأول . فقد كانت زوجة قنسطنطين حاكم المدينـة قد ظلت تحكمها ــ بعـد أن زج بلدوين دى بورج زوجـها فى السجن ــ حتى عهد جوسلين الثـانى (٥٩٨) . وعند أسر الملك بلدوين الثانى كان يحكم كركر ١١٢٣م ــ (٥١٧هـ) ميخائيل بن قنسطنطين (٥٩٩). وثمة نص لميخائيل السريانى يوضح علاقة كركر بامارة الرها بعـد ذلك يقول « فى عهد بلك خرج ميخائيل الأرمنى من قلعة كركر وتنـازل عنها . وبعد مقتل بلك استولى عليها من جديد الى أن هاجمه بعض الأتراك ؛ ولمـا لم يكن قـادرا على حماية نفسـه فانه هرب فى الفرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسمائة دينار (٦٠٠) » .

وفى ١١٣٧م تمت فى عهد جوسـلين الثانى رابطة قـوية بين امارة الرها والأرمن فى ارمينيا الصغرى . ذلك انه حدث فى تلك السنة خلاف بين ريموند الثانى أمير انطاكية من ناحية وبين ليون ملك ارمينيا من ناحية اخرى ، وبحكم قرابة الاخير من جوسلين فقد توسط بينهما واقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الامبراطور البيزنطى (٦٠١) .

على أن البيزنطيين احتلوا تيليقيـة بين سنتى ١١٣٨ ــ ١١٤٥م ــ

---

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٧ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص٣١
Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٥٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé Op. Cit., p. 298.

(٥٩٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 544.

(٥٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 276.

(٥٩٩) (L'Anonyme) من Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875

(٦٠٠) Michel : Op. Cit., p. 244.
وهو يقصـد هنـا ميخائيل الأرمنى ، ميخائيل بن قنسطنطين

(٦٠١) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan Op. Cit., p. 172. Tournebize : Op. Cit., p. 173. Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ — ٥٤٠هـ وكان آخر حاكم لارمينيا عند الغزو البيزنطى هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية :

للتعرف على أهم العلاقات بين امارة الرها الصليبية والدولة البيزنطية فى الفترة التى ندرسها ، ينبغى الرجوع الى الوراء ، أى الى ٩٤٣م (٣٣١هـ) عندما حاصر القائد البيزنطى حنا كوركاس الرها(٦٠٣) . والواقع ان هذا الحصار لم يتبعه دخول الرها فى حوزة البيزنطيين ، لان ذلك لم يتم الا بعد حوالى قرن من تلك الحملة (٦٠٤) ولكن اهمية ذلك الحصار ترجع الى ما تبعه من مفاوضات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين فى الحصول على صورة المسيح المقدسة التى كانت موجودة بالرها حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيما سبق — عند الحديث من تلك الصورة — كيف انتهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقى ٣٣١هـ — ٩٤٣م على التخلى عنها فى مقابل اطلاق سراح الأسرى المسلمين الموجودين فى القسطنطينية(٦٠٥) . وبالفعل تم نقل ذلك الاثر المقدس الى القسطنطينية فى ١٥ اغسطس ٩٤٤م وسط احتفال دينى عظيم (٦٠٦) .

---

(٦٠٢) Iorga : L'Arménie Cilliciénne : p. 94, Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٣) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٤) Cam. Med. Hist. : Ibid., p. 140.

(٦٠٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : اخبار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ مخطوط ص ٨٠
Le Strange : Op. Cit., p. 104.
اما ابن العبرى فيذكر ان ذلك كان ٩٤٢م
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162 - 3)

(٦٠٦) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med. Hist.: Ibid, p. 141.
ويضيف المرجع الاخير ان نقل ذلك الاثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus) لانه بعد حوالى اربعة اشهر بالتحديد فى ١٦ ديسمبر ٩٤٤م قبض على الامبراطور ووضع فى جزيرة Prote حيث توفى فى ١٥ يونية ٩٤٨م
Cam. Med. Hist., p. 143.

وفى ١٠٣٠م (٤٢٠هـ) « كان يحكم الرهـا اميران عربيان فارسـل احدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة وأقاموا اماكن دفاعية قوية هناك وعندما سمع حاكم حلب بذلك ارسـل الى الرها جيشـا اسـتولى عليها وهرب المسيحيون الى الكنيسـة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثلوج وعندئذ جعلوا الشـتاء ذريعة وتنازلوا عن البلد ورحلوا(٦٠٧) » .

وفى ١٠٣٢ (٤٢٤هـ) توجه القائد البيزنطى جورج مانياكس الى الرهـا واسـتولى عليها محققا بذلك قمة انتصـاراته(٦٠٨) . ففى تلك الحملة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الشـانى فى الرهـا وهـو خطاب المسـيح المشـهور الى ابجر ملك الرهـا السـابق الذكر واحتفل فى القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الأثر اليها(٦٠٩) . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين (٦١٠) او على الأصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقـة (٦١١) ». « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤هـ) كان مدنـا اخرى متطرفة فى الشرق مثل انطاكية بالشـام والرهـا شرقى الفرات — ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاميات بيزنطية وزعماء من الأرمن يعترفون بالسيادة للقسطنطينية ، وقـد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م ـ ٤٨٠هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشـاعر

---

(٦٠٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192 - 193.
وكان حاكم حلب آنذاك موشبل الدولة ابو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذى حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩هـ (الطباخ الحلبى: اعلام النبلاء، حـ ٢ ص ٣٢٢ ، العينى : عقد الجمـان ، حـ ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ ـ ٨٢٨) .

(٦٠٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285
اما ابو الفضائل الحموى:التاريخ المنصورى،ص ١٥٠ فيذكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣هـ ويتفق معه فى ذلك ميخائيل السريانى الذى يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م Michel : Op. Cit., p. 280. ولكن الراجح ان حملة جورج مانياكس كانت فى العام التالى وانها هى التى اكدت استيلاء البيزنطيين على الرهـا .

(٦٠٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725.

(٦١٠) Cam. Med. Hist : Ibid., p. 726.

(٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ Setton : Op. Cit., V. 1. p. 304.

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٤ .

الأرمنى نيرسيس فى قصيدته التى رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطب القسطنطينية فتقول .

يا مدينـة العـظمة والأبهة

يا من شادها الملك قسطنطين

على ابواب آسـيا الصغرى

لقـد كنت ملـكا لك

وجزءا منك يا أم المدائن

وبنيت على ارضى هيكلا

وسميته باسم هيكلك(٦١٣) .

فاذا انتقلنـا الى علاقة امـارة الرهـا الصليبية بعـد تأسيسـها بالامبراطورية البيزنطية . نجـد ان « تأسيس بلدوين البولونى للامـارة فى حـد ذاته يعتبر خروجا واضحا على الاتفاق الذى ابرم مع البيزنطيين(٦١٤). ذلك ان الرها كانت اقليما بيزنطيا وكان يجب أن تعـود لبيزنطة . وهكذا ورغم أن بلدوين كان قد حلف يمين الولاء للامبراطور الكسـيوس الا انه لم يقم أى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرهـا للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة فى اهالى الرهـا الذين نادوا به اميرا عليهم (٦١٦) .

---

(٦١٣) الأبيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠. Nersès : Op. Cit., p. 220.
هنا يفسر المترجم الفرنسى دولوريبه المقصـود بالهيكل هنـا ؛ كنيسـة (القديسـة صـوفيا) .

(٦١٤) Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 209, اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٠٩

(٦١٥) Bréhier : Ibid., p. 313.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ عن (Runciman)
جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦
عن (Ostrogorsky) هـذا الى جـانب الغـدر الذى عـامل به بلدوين الأمير ثورس كان لطمة للعاهل البيزنطى ، فثوروس كان موظفا فى خدمة الامبراطور كما انه كان عضوا فى الكنيسـة الارثوذكسية البيزنطية (اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ — ١١٠)

(٦١٦) J. Prawer : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فان الامبراطور الكسيوس الاول كومنين (Alexius I Comménus) (١٠٨١ — ١١١٨م (٦١٧) / ٤٧٤هـ — ٥١٢ هـ) لم يفعل شيئا ولم يقدم حتى احتجاجا رسميا ، بل فضل السكوت فى ذلك الوقت حتى تحين فرصة افضل ، فقد كانت مسألة الرها عندئذ اقل نسبيا من مشكلة انطاكية الاكثر خطورة(٦١٨) .

واذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الامارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداء مرير فاق فى قسوته العداء مع المسلمين، الا انهم اكتفوا فى البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة فى آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم فى ذلك الدور(٦١٩) .

ويبدو ان هجمات البيزنطيين اخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) فقد سبق ان اشرنا ان ثوروس بن قنسطنطين ساعد الصليبيين فى صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع ان موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة فى الرها وانطاكية برز واضحا جليا بعد هزيمة الفرنج فى حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) « فقد كان الامبراطور يراقب الموقف فى قلق فى بيزنطة ولم يأسف لسماع إخبار هزيمة الفرنج »(٦٢١) .

وقد سبق أن اوضحنا كيف ان هزيمة الصليبيين فى حران اضعفت مركز الصليبيين بالشام واحيت آمال كل من الامبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو ان تمسك الامبراطور الكسيوس كومنين بحق البيزنطيين فى انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الامير بوهيموند امير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٨م بدليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الامبراطور البيزنطى الكسيوس وبين بوهيموند سنة ١١٠٨م بعد هزيمة الأخير فى البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٦١٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304.
(٦١٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52 - 57.
(٦٢٠) H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.
(٦٢١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44.
(٦٢٢) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58.

وجوده فى السجن الامبراطورى(٦٢٣) » وفى اثناء تلك المفاوضات ادى بوهيموند يمين الولاء من جديد للامبراطور ، والراجح انه اتفق معه فى مقابل اسراره على اخذ انطاكية منه ان يحصل فى مقابلها على ارض اخرى فى الشام وما بين النهرين ويفهم مما ذكرته (أنا كومنينا) (٦٢٤) أن الرها كانت ضمن تلك البلاد التى سيعوض بها الامبراطور الكسيوس بوهيموند عن امارته انطاكية . وربما شجع الامبراطور على ذلك التعهد خلو امارة الرها من اميرها فى ذلك الوقت . ويفهم من النص الذى ذكرته (انا) ايضا ان التعهد من جانب الامبراطور لم يقتصر على بوهيموند فحسب بل امتد الى ورثة بوهيموند بشرط خضوعهم أيضا للامبراطور (٦٢٥) .

والحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (أنا كومنينا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية اذ لا يستبعد أن يكون بوهيموند قد اراد فعلا ان يتخلص من حالة عدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها فى انطاكية والذى ستتمسك به باستمرار بعد ذلك مقابل افضل الشروط .

وعندما خلف تنكريد بوهيموند فى حكم انطاكية يبدو انه لم ينفذ ما تعهد به بوهيموند للامبراطور الكسيوس مما ادى الى تجدد الخلاف بينهما . ويدلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدوين دى بورج من الاسر ، اذ رفض تنكريد اعطاءه امارته ، مما تسبب فى قيام النزاع بين الجانبين . هنا يشير ابن الفرات الى انه بعد ان استنجد بلدوين بجاولى كما مر بنا لجأ الأخير الى جوسلين صاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجى

---

(٦٢٣) اشار جروسيه الى ذلك الاتفاق تحت اسم معاهدة Deabolis وذكر انها كانت بين الامبراطور الكسيوس وبوهيموند ١١٠٨م عندما كان الأخير سجينا لديه .
Grousset : Hist. des Crois.. V. 2, p. 89 من (Chalandon)
اما بروييه فقد اشار الى ذلك الاتفاق بقوله (كل ما وعد به بوهيموند الامبراطور الكسيوس عند هزيمته فى البلقان سنة ١١٠٨م . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك اشار ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة العرينى ص ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بان ذلك كان بعد هزيمة بوهيموند فى دورازو .
(٦٢٤) Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356.
الصعوبة الوحيدة هنا ان (أنا) لم تحدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق
(٦٢٥) Anna : Ibid., p. 356.

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة .. وكان طنكريد اقوى بانطاكية وجوسلين اضعف بقلة ملكه وماله ، ولما راى جوسلين أن لا طاقة له بطنكريد اوصى لمن يحفظ البلاد وشحن الحصون وسار الى ملك الروم فطرح نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فاطلق له خمسة عشر الف دينارا وغادر من عنده (٦٢٦) » . وهذا النص نستشف منه : أن أولى الأمر فى الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الامبراطور وبوهيموند ، فضلا عن ان الامبراطور عندما وجد ان تنكريد غير موافق على ما تعهد بوهيموند به اراد ان يكسب حكام الرها الى جانبه ضد تنكريد وبذلك لم يتاخر فى تقديم المساعدة اليهم كفاتحة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثمة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لأتفاق الكسيوس — بوهيموند هو ان انا كومنينا نفسها تعود وتذكر أن سفارة اتجهت من بيزنطة الى بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الاول عقد تحالف مع الامبراطور ضد تنكريد فى مقابل مبلغ من المال تقدمه الامبراطور ، ولما رفض الملك ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دى كورتناى — الذى كان بالقدس عندئذ — فى نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا ان الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقى للامبراطور من وراء كسبه ودها ، وانه يرمى الى وضعها الى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضته ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبين والبيزنطيين على اشده حتى أن الامبراطور نفسه لم يلبث ان ارسل يحرض سلطان السلاجقة محمد بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤هـ — (١١١٠م) وقد اورد كل من ابن القلانسى وابن الاثير اخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتى سبق أن اشرنا اليها بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس فى تلك السنة .

وعندما خلف الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م (٦٢٩) ٥١٢ — ٥٣٨هـ) الامبراطور الكسيوس الاول كانت اهم آمال الامبراطور

---

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٢٥ (أ) ، (ب) .

(٦٢٧) اوردنا النص مع الملاحق Anna Comnena : Op. Cit., p. 367.

(٦٢٨) ابن القلانسى : الذيل - ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon)

الجديدة هى « اعادة تاسيس القوة البيزنطية فى وادى الفرات وبدا مصمما على التدخل فى شئون مملكة بيت المقدس، ووادى الفرات (٦٣٠)» هذا يعنى ان امارة الرها نفسها كانت محط أطماع ذلك الامبراطور .

على أن العلاقات البيزنطية الصليبية دخلت مرحلة جديدة منذ ١١٣٧م — (٥٣١هـ) ففى تلك السنة توجه الامبراطور حنا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتاكيد حقوق الامبراطورية فى كل من الاقليمين . ذلك انه اعتبر اعطاء امارة أنطاكية لريموند دى بواتيه عن طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثانى دون الرجوع الى القسطنطينية فى ذلك الأمر خرقا لليمين الذى اقسمه الصليبيون فى القسطنطينية لوالده الامبراطور الكسيوس (٦٣١) . هذا فضلا عن حقده على أمراء أرمينيا الصغرى فى قيليقية لخروجهم عن طاعة الامبراطورية البيزنطية (٦٣٢) .

والواقع ان امراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشعور وموقف الامبراطور البيزنطى من كل من الجانبين (٦٣٣) .

وقد رأينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الأول أمير أرمينيا الصغرى وريموند الثانى امير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثانى بينهما ١١٣٧م حتى تم الصلح بينهما وعندئذ « تحالف الطرفان ضد الامبراطور حنا كومنين (٦٣٤) » . وكان ان الحق ليو قواته العسكرية بالقوات الانطاكية للقيام بعمل مشترك ضد الامبراطور البيزنطى (٦٣٥) .

أما الأسباب التى حركت الامبراطور ضد ارمينيا الصغرى وانطاكية فى تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذى سبق أن اشرنا اليه بين ملك

---

(٦٢٩) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204

أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ ، هنا يكنيه الكاهن جريجوار (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٦٣٠) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66.

(٦٣١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٣٢) Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152.

(٦٣٣) Jacques de Morgan ; Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 174.

(٦٣٤) Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournebize : Ibid p. 173-4.

(٦٣٥) (Cinnamus) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

أرمينيا وامير انطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فان الامبراطور تقدم الى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر ليون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكى لبارين ١١٣٧م (٥٣١هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... الى بلاد الفرنج والروم يستجدونها »(٦٣٧) . بل قيل ان القساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحشدت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) .

ولكن يبدو ان الامبراطور لم يستطع القيام باى عمل ايجابى تجاه الصليبيين المحاصرين فى بارين بدليل ما ذكر من انه عند رجوع الأمير ريموند الثانى امير انطاكية الى امارته وجدها محاصرة بواسطة الامبراطور البيزنطى (٦٣٩) .وعندئذ طالب الامبراطور ريموند بأن يتخلى له من انطاكية، وفى النهاية اصبح اهالى انطاكية انفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على انه فى مقابل دخول انطاكية تحت نفوذ الامبراطور يساعد الأخير الصليبيين فى الاستيلاء على بعض المدن التى ما زالت خاضعة للمسلمين فى الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وان تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف أمير انطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالحلف الفرنجى

---

(٦٣٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. 152. هنا يسمى ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٦٢ الامبراطور حنا (كاليانى) أما ليون فيسميه لاون بن روبال .

(٦٣٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، ح ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ، ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات مخطوط ، ح ٣ ص ٩١ (ب) ، النويرى : نهاية الارب ، ح ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٦٣٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325.

(٦٤٠) Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٤١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. 101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard : Op. Cit., p. 45,
يوسف الدبس : تاريخ سورية ح ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفضيل فى البــاب القــادم . وكل ما يهمنــا هنــا هو ابراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خــلال هــذا الحــلف خاصــة منذ ١١٣٨م — (٥٣٢هـ) عندمــا بــدا يدخــل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور ارســـل فى تلك السنة رسله لدعوة الأمير ريموند والأمير جوســلين الثــانى وامراء آخرين للسير مــعه لحرب المسلمين، وبالفعــل جنــد الأميــران القوات من كــل مناطــق نفوذهمــا وتبعوا الأمبراطور (٦٤٢) . وتقــدم الأمبراطور ومعــه ريمونــد وجوســلين الثــانى الى حلب ولكن بعــد قتال شــديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان أن توجــه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهنــاك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركــة حاميــة ، تحمــل الامبراطور فيهــا الجــزء الأكبر من عبء المعركــة فى الجبهــة المسيحية ، بينما لم يبذل كل من جوســلين الثانى وريموند جهــدا ايجابيــا ملحوظــا فى الحصــار (٦٤٤) . وعندئــذ اضــطر الامبراطور الى رفــع حصــاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعــد من بينها الموقف غير الايجابى لأميرى الرهــا وانطاكية .

ثم انسحب الأمبراطور والأميران الصليبيان الى انطاكية ، وهنــاك طلب الامبراطور من امير انطاكيــة ان يسلم قلعة المدينــة اليــه تنفيذا لوعــده (٦٤٥) ، وقــال له « انجز وعدك وكن مطيعا واظهر ولاءك واعمل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى أن ننفــذ الالتزامات

---

(٦٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(٦٤٣) Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, Zoé : Op. Cit., p. 328,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية، حـ ٦ ص ٦٤ .

(٦٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(٦٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٨ J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362.
Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقيـة علينـا (٦٤٦) » . وعندئـذ تدخل جوسـلين الثـانى لينقذ الموقف فرد على الامبراطور قائلا : « سيدى ان كلمات سموك الامبراطورى مشحونة بالفصـاحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لاننـا نرى انها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة أمر جـدير بالاعتبار هو ان طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكيـة وحـده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائـه ورأيى ورأى رعايـاه المخلصـين ولـذا يجب اعطـاءه مهلـة للتفكير (٦٤٧) » .

وبالفعل لاقت تلك الاجابة استحسانا من الامبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير فى الأمر .

وعندئـذ اتصـل جوسـلين سرا عن طريق بعض اعوانـه بالناس ليخبرهم بمطالب الامبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسلح والثورة ولـم تلبث أن شبت ثـورة فى المدينـة وانطلقت الجمـاهير تصـيح فى شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ أسرع جوسـلين على فرسـه الى القصر كما لو كـانت الجماهير تطـارده ثم القى بنفسـه لاهثـا عند أقـدام الامبراطور فتعجب الامبراطور من دخوله المفاجىء وسـأله بقلق لمـاذا يفعل هـذا على عكس قواعـد التشريفات والسـلوك . فأجاب الامير بأن الضروريات تبيح المحظورات . وان الثورة الجماهريـة ارغمته ان يخالف القواعـد المـألوفة كى يتحاشى خطر الموت على يـد الجمـاهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث ان ترامت الى مسـامع الامبراطور صـيحات الجمـاهير « الويل لأنطاكية فقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار افراد أسرة الامبراطور ونهبوهم وضربوهم ووضـعوا السيف فى كل من ابدى ايـة مقاومة (٦٥١) . مما جعل الامبراطور يقرر الرحيل من انطاكية (٦٥٢) .

---

(٦٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 98.

(٦٤٧) William : Ibid, V. 2 p.p. 98 — 99.

(٦٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327, Grousset : L'Eppoée, p. 157.

(٦٤٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 99.

(٦٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ، ص ٦٥ .

(٦٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100.

(٦٥٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327. سعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٥٨٩ (عن وليم الصورى) .

وبعـــد مضى اربع سنوات عـــاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جـــديد فى شمـال الشــــام كى يطالب بانطاكيـــة مرة اخرى ولكن قبل ان يتوجـــه اليهـــا بدأ اولا بامارة الرهـــا ، كى يضمن جـــانب جوســـلين الثانى لأنه لم يخف عليه ما دبره جوســـلين من حيلة لاجلائه عن انطاكيـــة ١١٣٨ . لـــذا ظهر الامبراطور فجاة امام تل باشر ١١٤٢م — (٥٣٧هـ) وطلب من جوســـلين رهائن مما اثار دهشـة الأخير لوصول الامبراطور المفــاجىء ولكنـــه ازاء قـــوة الامبراطــور البيزنطى وجيشـــه الـــذى لا يضـــاهى والذى لا يمكن لأى مملكة أن تصمد أمامه بادر بتقديم ابنتـــه (ايزابيلا — Isabella) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوســـلين الثـــانى الذى انتصر على الامبراطور بالخديعـــة والحيلة منـــذ اربع سنوات مضت ، وجـــد نفســـه فى هـــذه المرة عاجزا ضعيفا فسلم للامبراطور بعض الرهـــائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى بأذنه (٦٥٥) . فخلفه ابنه مانويل الأول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بدايـــة حكم مانويل سقطت الرهـــا فى يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع ان الشـــاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرهـــا عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لســـان مدينـــة الرهـــا أيضـــا ، المعونـــة والثار من المسلمين مما يبين ان بيزنطـــة لم تقف موقفا متعاطفا مع الرهـــا فى محنتها فهو يقول :

اليكِ اتوســـل : عبثى

قواتك العاتيـــة

واطعنى الاعـــداء فى صميمهم ثاراً وانتقاما (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قـــد ادت فى النهاية الى ضياع امارة الرهـــا من ايـــدى الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقيـــة العـــالم المسيحى الغربى فى استعادة الرهـــا مرة

---

(٦٥٣) William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois.. V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 361 (1936).

(٦٥٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335.

(٦٥٥) ابو الفضـــائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أســـد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٦٥٧) Nersès : Op. Cit., p. 230

أخرى وردها الى حظيرة الحكم المسيحى . ففى أغسطس ١١٤٦م (٥٤١هـ) أرسل الامبراطور مانويل خطابا الى البابا (٦٥٨) ، ردا على خطاب كان قد ارسله الى الامبراطور واخبره فيه ان ملك فرنسا سيتوجه على رأس حملة للانتقام للكنائس المقدسة وليعوض كارثة الرها . فقد ابتهج مانويل لهذا المسعى من أجل صالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقد رد بأنه مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبى وتجهيزه بالمؤن ولكنه طالب فى مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين ورغب فى ان يجتهد البابا فى تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هذا ان الامبراطور مانويل كانت لديه الرغبة فى المساعدة على استعادة الرها ولكن فى مقابل الحصول على ولاء الصليبيين له . وربما فضل مانويل ان تعود الرها الى قبضة الصليبيين خير من بقائها فى يد المسلمين . فعند عودتها الى المسيحيين يصبح من السهل على الامبراطور فرض سلطانه على شمال الشام من جديد ولو بطريقة اسمية .

والحقيقة انه عثر على خطابين للامبراطور مانويل ارسلهما الى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعد سقوط الرها مباشرة ولكننا سنرجىء دراسة هذين الخطابين بالتفصيل الى الباب القادم عند دراسة ردود الفعل بالنسبة لسقوط الرها .

---

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث ، — Eugène III ١١٤٥ — ١١٥٣م أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢١٠ .

(٦٥٩) V. Grümel : Deux Lettres de Manuel Comnéne au pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

(٦٦٠) V. Grumel : Ibid., p. 146.

الباب الثالث

نهـايـة امـارة الرهـا

جهود زنكي فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية :

ينتسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم ابو المحاسن بانهم « اواسط الدول (١) » عرف أبوه « بالحاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه (٣) . ولما تخلص الأمير كربوقا من سجن حمص بعد مقتل تاج الدولة تتش صاحب دمشق وحلب ٤٨٩هـ (١٠٩٦م) توجه الى حران واجتمع اليه جماعة وملك نصيبين ثم الموصل وماردين وعظم شانه . ثم احضر مماليك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم باحضار الأمير عماد الدين زنكى وقال « هو ابن اخى وانا اولى الناس به فاحضروه عنده فاقطعهم

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زنكى هم اواسط الدول فان أول من ملك مع الخلفاء وتلقب بالسلطان والألقاب المعظمة بنوبوية ، ثم انشا بنوبوية بنى سلجوق . وانشا بنو سلجوق بنى أرتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشا بنو زنكى (اعنى الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بنى ايوب سلاطين مصر وغيرها . ثم انشا بنو ايوب المماليك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ ، ابن ايبك كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٧٠ (أ) هنا يضيف ابن الفرات ان قسيم الدولة سمى بذلك لأنه كان مملوكا للسلطان العادل عضد الدولة الب ارسلان بن داود ميكائيل بن سلجوق ، تربى مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ابى الفتح ملكشاه واستمر فى صحبته الى حين كبر وافضاء اليه فجعله من اعيان دولته واكابر امرائه واخص اوليائه واعتمد عليه فى أموره كلها وعلت رتبته ومنزلته. الى ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : حـ ١ ص ٧٠ أ ، ب .

(٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٧٠ (ب) .

الاقطـاعات السنية (٤) » ... واقام الامير عماد الدين زنكى فى صحبة الامير كربوقــا الى ان توفى ... وعندما تولى جكرمش الموصـل ــ وهو احـد مماليك السـلطان جلال الدولة ملكشـاه ــ قرب عماد الدين اليه الى ان توفى ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ثم ولى بعـده الامير جـاولى سقاووا ، فاتصـل به الامير عماد الدين . ولـما تولى الأمير مودود الموصـل من قبل السـلطان محمد بن السـلطان جلال الدولة ملكشـاه صحبة الأمير عماد الدين وحضر معـه حروبـه الى أن قتل مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) فعـاد عماد الدين الى الموصـل (٥) . فلمـا أمـر السـلطان محمد البرسقى بالخروج للجهـاد وكتب الى عسـاكر الموصل بالخروج معـه ، سـاروا وفيهم عماد الدين فابلى فى هـذه الحرب بـلاء حسنا وعـادت العسـاكر تتحـدث بما فعله وما ظهر لـه من الشجاعـة (٦) . وفى ٥١٦هـ (١١٢٢م) اقطـع مدينـة واسط وولى شحنكية البصرة (٧) . ثم ولى شحنكية بغـداد ٥٢١هـ (٨) (١١٢٧م) ثم ولى الموصـل ــ كما مر بنـا ــ هـذا الى جـانب ديار الجزيرة . ومن الموصـل سـار الى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم اليه ايضـا نصيبين وسـنجار والخـابور وحران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلهـا اماكن كـانت بايـدى المسلمين . ثم بـدأ بعـد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قـد استولوا عليه

---

(٤) ابن الاثير : البـاهر ، ص ١٥ ــ ١٦ ، ابن الفرات المصـدر السـابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الاثير : البـاهر ، ص ١٦ ــ ١٧ ــ ١٩ ، ابن الفرات المصدر السـابق والصفحة .

(٦) ابن الاثير : المصدر السـابق ص ١٩ ــ ٢٠ . ويبدو أن اتابك زنكى حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج فى الشام فى سنتى ٥١٣،٥١٥هـ (١١١٩م ، ١١٢١م) بدليـل ماذكره ابن ايبك انـه فى ٥١٣هـ كسر اتابك الفرنـج على جبل السماق كسرة عظيمـة (ابن ايبك : كنز الدرر ، ﺣ ٦، ص ٤٨٢) وفى ٥١٥هـ كسر اتابك الفرنج على تل حورى . (نفس المصدر ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الاثير : البـاهر ، ص ٢٤. والشحنة لفظ فارسى معنـاه : محافظ المدينـة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنـا من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السـلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ ــ ٣١ ، الذهبى : العبر ، ﺣ ٤ ص ١١٢ .

(٩) ابن الاثير : الباهر ص ٣٦ ــ ٣٧ ، الكامل ﺣ ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناولـــه بالتفصيل . ويلخص الذهبى صفات زنكى فى قوله « كـــان فارســـا شجاعا ميمون النقيبـــة ، شـــديد البـــاس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وايده الأصفهانى فى ذلك بوصفه انه « كان جبـــارا عسوفا ، نمرى الخلق اســـدى الحنق ، لا ينكر العنف ولا يعرف العرف (١١) » .

وقبل الحـــديث عن جهود زنكى فى مواجهـــة الصليبيين نود ان ننقل تلك الصـــورة المعبرة عن الموقف بين المســـلمين والفرنـــج عنـــد تولى عماد الدين حكم الموصـــل فقـــد قال ابن الاثير : « لمـــا ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنـــج قـــد اتســـعت بـــلادهم وكثرت أجنـــادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضـــاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد بطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف أهلها من كف عاديتهم ، وتتابعت غزواتهم ، وساموا المســـلمين سوء العذاب وركبوهم بالتبار والتباب ، واســـتطار فى البلاد شرر شرهم ، وعم اهلهـــا شـــديد حيفهم وعظيم قهرهم ، فنجوم ســـعد المســـلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاســـلام منشورة ، وانصـــارهم على اهل الأيمان منصورة .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قـــد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المســـلمين غير حلب وحمص ، وحماه ودمشـــق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمـــد ، فلم يبقوا على موحـــد ولا جاحـــد . ومن ديـــار الجـــزيرة الى نصـــيبين وراس العين فاستاصلوا ما لأهلها من اثاث وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ باسلوب المهادنة مع امارة الرهاالصليبية بدلا من اسلوب القوة . ففى ٥٢١هـ (١١٢٧م) ارسل الأتابك زنكى الى جوســـلين امير الرهـــا فهادنه مـــدة يسيرة (١٣) ، او بمعنى آخر دخل معـــه فى عـــلاقة ود وصـــداقة حتى ان زنـــكى عندمـــا أراد أن يرتبط ببوهيموند امـــير انطاكيـــة ، اســـتخدم فى تلك المفاوضـــات جوســـلين وسيطا (١٤) . وكـــان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مـــع امـــارة

---

(١٠) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هى شراسة الخلق).
(١١) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .
(١٢) ابن الأثير : البـــاهر ، ص ٣٢ — ٣٣ . (التبار والتباب اى الهلاك والخسران) .
(١٣) ابن الأثير : البـــاهر ص ٣٧ ، الكـــامل حـ ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .
(١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 148.

الرهـا هو التفرغ للاستيلاء على ما بقى له من البلاد الشامية والجزرية واصلاح شـأنها والفراغ من اقطـاع بلادهـا لجند يختبرهم ويعرف شجاعتهم (١٥) .

ولمـا فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها « عاد الى الموصـل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم امرهم للغزاة فتجهزوا واعـدوا واستعدوا وعاد الى الشـام وقصـد حلب (١٧) ». وكـان ان عزم على الاستيلاء على حصن الاثارب ، اذ كان ذلك الحصن شـديد الضرر على اهل حلب فقـد اجتمع فيه عـدد كبير من فرسـان الفرنج الشجعان وكان « من المسـلمين فى نحورهم (١٨) » . وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربيـة « حتى على رحا لأهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » . لذلك سـار زنكى الى الحصن ونازلـه فلما علم الفرنـج بذلك توجهوا لملاقاته فى كامل استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

---

(١٥) ابن الأثيـر : البـاهر ص ٣٧ ، الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ : ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .

(١٦) (ابن الأثير : البـاهر ص ٣٨ ، الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٢٦) ويذكر (ستون) من جهة أن ذلك كان فى يناير ١١٢٨م
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابو الفـدا : المختصر فى اخبار البشر، حـ ٣ ص ٣ ، العينى : عقد الجمان، ١٦م ١ ص ٢٥ — ٢٦ .

(١٨) ابن الأثير : البـاهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (أ ، ب) ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، النويرى : نهـاية الأرب حـ ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥١٣هـ العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، البـاهر ص ٣٩ ، ابن الفرات : المصدر السـابق حـ ٣ ص ١٣ (أ) ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السـابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٥ ،
Setton : Op .Cit., V. 1, p. 431.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على أن ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م . نجـد بعض المصـادر اشـارت الى ان ذلك كـان سنة ٥٢٣هـ مثل :
=

والحقيقة أن الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انقسموا ا
فريقين على رأى ابن الاثير ، فالبعض هونوا أمره والبعض طالبوا باتخ
اقصى الاستعدادات لملاقاته (٢١) وبالفعل توجهوا اليه فى قوة كبيرة ب
ذلك فقد اهتموا حينئذ « بجميع الفرسان والأجناد واحضروا من
اطراف البلاد وجمعوا الدانى والقاصى والمطيع والعاصى واقبلوا
جموعهم المحشورة وعساكرهم المجرورة ، وأعلامهم المنشورة وصلبا
وبنودهم وملوكهم وكنوذهم (٢٢) » .

ويبدو أن جند زنكى واصحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمع
الأعداء (٢٣) فقد ذكروا له « ان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدر
على اى شىء تكون العاقبة » . ولكنه لم يستجب لهم وقال
ان الفرنج متى رأونا قد مددنا من بين ايديهم طمعوا وسار
فى اثرنا وخربوا بلادنا ولابد من لقائهم على كل حال (٢٤) . لذ
ترك زنكى الحصن وسار لملاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجم
نصر الله المسلمين وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسا
فى الأسر (٢٦) .

=

النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٢٥ . وروض المناظ
مخطوط احداث ٥٢٣هـ . فى حين ذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ
ص ٢٧ أن ذلك كان فى صفر ٥٣٣هـ .

(٢١) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٩ — ٤٠ .

(٢٢) ابن الاثير : الباهر ص ٤٠ . اما تفسير كلمة كنودهم فتذ
حاشية لمحقق الباهر ص ٤١ أن كلمة امير الفرنسية Comte هو
المعرب الى (كند) ، (كند) ، (قند) .

(٢٣) tton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٢٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخط
حـ ٣ ، ص ١٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المصـ
السابق حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : المصدر السابق نفس الصفح
ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ
ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : نف
المصدر والصفحة ، العينى : نفس المصدر والصفحة ، ابو شامة
الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الارب حـ ٢٥ مخط
ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥٢٣هـ .

وتقدم زنكى الى جنده طالبا منهم « الاثخان فى القتل (٢٧) » . قائلا ان هــذا اول مصــاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ذلك (٢٨) ، فلم ينــج من المعركــة الا من هرب اثنــاء الليل أو اختفى بين القتلى (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فامتلكه عنــوة (٣٠) » وقتلوا واســروا كل من فيــه (٣١) ثم خربــه زنكى وجعله دكا (٣٢) .

وبعــد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فارسل من فيــه من الفرنج اليه يطلبون الصــلح ويبذلوا له نصف دخل حــارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لان عســكره كان قــد « كثر فيهم الجراحات

---

(٢٧) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر الســابق ص ٤٢ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (ب) أبو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السابع ٥٢٤هـ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٥٥ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ .
النويرى : نهايــة الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٢٥ ، العينى : عقــد الجمان :

(٣١) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : ٤٢ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، أبو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، النويــرى : نهايــة الأرب حـ ٢٥ ورقــة ٢٥ ، العينى عقــد الجمــان : حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ، احــداث ٥٢٣هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٤هـ ، ابو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ٢٠٥ أنها حصن حصين وكورة جليلة تجــاه انطاكية من اعمال حلب .

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، ابو شــامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا (٣٥) » . وعاد زنكى وقد « اشتد ازر المسلمين بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين ، وعلموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم فى حسبان وصار قصارى هممهم حفظ ما فى ايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع (٣٦) » .

وفى شعبان ٥٣٠هـ أبريل ١١٣٦م سارت جيوش زنكى مع الأمير اسوار نائبه بحلب فقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا ، وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامراة وصبى ومائة الف راس من الدواب وخربوا اللاذقية وما جاورها ثم توجهوا الى شيزر فى منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفى ١١٣٧م (٥٣١هـ) اكمل زنكى عملياته العسكرية الأولى بحملته الكبيرة ضد بارين التى كانت تقع فى امارة طرابلس الصليبية (٣٨) . ويفسر وليم الصورى قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بانه استغل فى ذلك الوقت وضع الامارة الضعيف بعد وفاة بونز وقيام ابنه ريموند الثانى (٣٩) .

ثم سار زنكى على راس قواته واغار على حصن بارين فى شوال ٥٣١هـ (٤٠) وعندئذ ارسل ريموند أمير طرابلس الى خاله

---

(٣٥) ابن الاثير : الباهر ص ٤٢ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الاثير : المصدر السابق حـ ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلدون فى العبر . حـ ٥ ص ٢٣٢ حصن بارين (حصن بعدوين) وهذا غير صحيح .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 85.

(٤٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٨٩ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ .

ملك القدس « بتوسلات جسادة وتضرع الى فولك ان يحضر بسرعة لمساعدتهم فى وشمهم الذى يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجابه الملك فولك لتلك التوسلات ، فجند قواته من المشاه والفرسان وبسرعة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك القدس تلقى فى ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثانى من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة اعوانه قرر نجدة طرابلس اولا ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قام بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكمن لهم كمينا وضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطمعوا فيه وتبعوه فوقعوا فى الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بارين ، فاستصوب ذلك الراى بوصفه احسن

---

(٤١) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 70.

(٤٢) William : Ibid V. 2, p. 85.

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٢ — ٧٣ (والقمامصة جمع قمص والقومص تعريبه حرفى للفظة اللاتينية (Comes) ومعناها (الرفيق) لأنه كان فى بادىء الأمر يرافق الملك فى حروبه وتنقلاته ولفظة (Comes) اللاتينية هى التى حورت فى اللغة الفرنسية الى (Comte) وامتادت المراجع العربية أن تعربها الى (كد) ، (كند) ، (قند) محقق الباهر ص ٤١ .

(٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 71.

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب ؛ مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ بعد ان قتل كل المشـــاه او اسروا (٤٨) . لذلك احتمى بحصن بارين (٤٩) فى حين أسر امير طرابلس هو وبعض فرسانه (٥٠) . « وغنم العســكر الاسلامى سوادهم واثقالهم وكراعهم (٥١) » . ولم يحمل اللاجئون ميرة معهم الى داخــل القلعة بل حملوا فقط أسلحتهم ، وقد ادرك زنكى هــذه الحقيقة ولذا عزم على تجــديد الحصــار لبارين ، وكان واثقا انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) . « فحصرهم ومنع عنهم كل شيء حتى الأخبار فكــانَ من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشــدة ضبط الطرق وهيبتــه (يقصــد زنكى) على جنوده (٥٣) » .

وفى نفس الوقت كان الفرنج الذين فى الحصن واثقين من حصـــانته ، متيقنين انه لا يمكن لاحــد أن ينالهم بســوء وهم به معتصمون (٥٤) . ولكن ذلك لم يمنعهم من الاتفــاق على طلب النجــدة من القــدس والرها وانطاكية وبالفعل ســار ثلاثة رســل الى تلك المنــاطق لطلب نجــدة سريعة (٥٥) . ولم تقتصر طلب النجدة على الامارات الصليبية فى بلاد الشــام فقط بل تعدتها الى بلاد الروم وبقيــة البلاد المسيحية (٥٦) .

---

(٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٩) ابن الاثيــر : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، البــاهر ، ص ٦٠ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٢٤هـ) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابو شــامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى تتمة المختصر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ، ص ٩١ (أ) .

(٥٢) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87.

(٥٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الاثير : البــاهر ، ص ٦٠ .

(٥٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 87-88.

(٥٦) ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصــل : مفرج

=

اما زنكى فقد اشتد فى تضيقه الحصار على من بالقلعة حتى قلت الاقوات والذخائر لدى المحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى اكل خيولهم ودوابهم (٥٨) . واخيرا طلب المحاصرون الامان من زنكى على ان يسلموا اليه الحصن وينجوا بانفسهم الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك (٥٩) . « وابى الا نخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زنكى باقتراب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا من اقتراب الجيوش التى اتت من الامارات الصليبية الثلاث الاخرى لنجدة المحاصرين (٦٢) . وافق زنكى على طلب الامان « وقرر على المحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا بأخبار اقتراب جيوش النجدة

الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٥٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٨) ابن الاثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Cit., V. 2, p. 90

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الاثير : الباهر ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (أ) .

(٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323 ,Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.
ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، ١٦م ١ ص ٩٤ .

منهم وهى الجيوش التى اختلفت المصـادر الاسلامية فى وصفها (٦٤) . أما المصـادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرهـا وانطاكية وبيت المقـدس (٦٥) . هـذا الى ان المصـادر العربيـة والافرنجية اختلفت من جـديد فى موقف أولئك المسـيحيين بعـد أن أطلق سراحهم وبعـد ان عرفوا بقرب النجـدة منهم . فبعض المصـادر الاسـلاميـة اكتفى بقوله انهم « ندموا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قـال ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « سـألتهم عن حالهم فاخبروهم بتسليم الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا عجزتم عن حفظـه يوما او يومين . فحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصـولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منـذ حضرنا الى الآن . فلما عميت الأخبار عنا ظننـا انكم قـد اهملتم امرنـا وقعدتم عن نصرنـا فحقنـا دماءنـا بتسـليم الحصـن وافتدينا بـه ماوراءه (٦٧) » .

أما وليم الصورى فيقول ان الملك ورفاقه عندما أطلق سراحهم توجهوا جنوبا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم ان اميرى انطاكية والرهـا بالقرب منـه ، فقابلهم الملك بتـاثر عظيم وشـكر شعورهم الأخوى وعنايتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لاجين

---

(٦٤) يذكر ابن الاثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتمـاع من اجتمع بسببهم) وفى البـاهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية) ويذكر هـذا الراى ايضـا ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، وبعض المصـادر تـذكر (تحققوا خـروج ملك الروم لنصرتهم) مثـل ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ . اما النويرى : نهايـة الأرب حـ ٢٥ ورقـة ٤٧ ، العينى . عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .

(٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، النـويرى : نهايـة الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٤٧ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٦٧) ابن الاثير : البـاهر ، ص ٦١ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٨ .

(٦٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

فلم يزل فى يده ويد أولاده الى عهـد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى فسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .

والواقـع ان استيلاء زنكى على بارين كان من اهم الأعمـال التى احرزها فى مواجهة الفرنج بالشـام وهو ما عقب عليه بروبيه بقوله « كان الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا اهمية كبيرة ؛ لانه أعـاد اراضى زراعية لمـدن حماه وحمص كانت معرضـة على الـدوام لخطر الهجوم الفرنجى (٧٠) » .

وفى نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى ايضـا على المعرة وكفر طاب وكان ذلك « فى مـدة مقامة على بارين (٧٢) » . باجمـاع معظم المصـادر الاسـلامية ، فى حين انفرد ابن ايبك بالقول أن ذلك كان « بعـد فتح بارين (٧٣) » . وقـد دفع زنكى الى أن يخطو تلك الخطوة أن الفرنج الذين بالمعرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المسـلمين لتوسطهما البـلاد الاسلامية (٧٤) » . والواقع أن المصـادر الاسلامية اسهبت فى الكلام عن عدل زنكى الشـديد خاصـة مع أهل المعرة بعـد استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقـد صور عدله هـذا بروايتين الأولى

---

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (ب) .

(٧٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٧١) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، روض المنـاظر : مخطوط احـداث ٥٣١هـ . فى حين ينفرد ابن الاثيـر : البـاهر ص ٦١ بالقول ان ذلك كان ٥٣٤هـ أما الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٥ فيقول أن ذلك كان ٥٢٩هـ ، بينما يذكر ابن قاضى شهبة : الـدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب السـابع ٥٢٨هـ ان ذلك كان ٥٢٨هـ . ولكن المرجح أن استيلاء زنكى عليهما كان فى ٥٣١هـ .

(٧٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمـة المختصـر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب حـ ٣ ص ٨٩ .

(٧٣) ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الاثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٤ .

عن ابن الأثيـر (٧٥) ومن أخـذ عنه والثـانية لابن واصـل (٧٦)ومن أخـذ عنه .

وفى ٥٣٢هـ صيف ١١٣٨م سـار أتابك الى حصـن عرقـه وهو من اعمال طرابلس لمحاصره وفتحه عنوه ونهب ما فيـه (٧٧) . وفى المحرم ٥٣٣هـ - ٢٧ سبتمبر ١١٣٨م « فتح أتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » . كذلك استعاد الأثارب التى كان الصـليبيون والبيزنطيون قـد استولوا عليهـا ٢١ ابريل ١١٣٨م (٧٩) . وفى ٥٣٤هـ / ١١٣٩م كانت موقعـة الزيتون مع اتابك زنكى التى هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل منهم عشرين الف شخص على تل الثعالب (٨٠) وفى نفس السنة ايضـا قتل زنكى من أهل العريش الف رجل كانوا قـد اتفقوا مـع الفرنج على ان يسلموهم بـلاد المسلمين (٨١) .

وفى ٥٣٦هـ / ١١٤١م اغار عماد الدين زنكى على انطاكية عند جسر الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد الى حلب محملاً بالغنائم والسبى (٨٢) . وقيل ان الذى قام بذلك هو نائب زنكى فى حلب سيف الدين اسوار (٨٣) . وفى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وهى السنة التى سبقت فتح الرهـا على يد زنكى

---

(٧٥) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب : حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابن الفـرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (أ) .

(٧٧) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٥٧ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٩
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.
Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

(٧٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329.

(٨٠) ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصـدر السـابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٨٣) ابن ايبك : كنـز الـدرر ، حـ ٦ ص ٥٣٧ ، العينى : المصـدر السـابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين (٨٤) » .

تصدع الحلف الفرنجي البيزنطي والصراع بين امارتي الرها وانطاكية :

يبدو من دراسة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين فى عصر الحروب الصليبية أن العلاقة الطيبة التى كانت تسود بينهما احيانا بدافع العداء للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصالح المتضاربة مما ادى فى كثير من المراحل الى اثارة الشقاق والخلاف بين الجانبين مما سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شاهد على ذلك تمكن زنكى من اسقاط امارة الرها .

والحقيقة ان موضوع الحلف الفرنجي البيزنطى (٨٥) أو كما يسميه البعض البيزنطى الأنطاكى (٨٦) — بحكم خطورة العلاقة بين الدولة البيزنطية وامارة انطاكيـة — احتل مكانا مهما بين صفحات المصادر والمراجع التى تناولت دراسة الثلاثينات والأربعينات من القرن الثانى عشر للميلاد ، السادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشيء من التفصيل للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقع ان طبيعة الحلف الفرنجي البيزنطى لا يمكن فهمها فهما واضحا الا فى ضوء العلاقات البيزنطية الأرمينية من ناحية والعلاقات البيزنطية الأنطاكية من ناحية أخرى . وقد مر بنا كيف كان البيزنطيون ناقمين على الطرفين ، اذ اعتبروا أن امراء آل روبان الأرمن سلبوا قيليقية منهم واغتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هذا الى جانب انطاكية التىكانت محط أطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فاننا فى علاجنا لسقوط امارة الرها نجد انفسنا مضطرين للوقوف والتساؤل عن السبب المباشر لتحرك الامبراطور حنا كومنين Jean Gommène (١١١٨ — ١١٤٣م / ٥١٢ — ٥٣٨هـ) فى سنة ٥٣١هـ ١١٣٧م مما ادى الى عقد حلف فرنجي بيزنطى فى تلك السنة ؟

---

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٧ .

(٨٥) Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 94.

(٨٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٨٧) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 88.

الواقع ان الاجابة على هذا السؤال تختلف فى المصادر العربية عنها فى المصادر والمراجع الأجنبية . فبينما تشير غالبية المصادر العربية الى أن سبب تحرك الامبراطور الى الشام ٥٣١هـ ١١٣٧م هو استنجاد الصليبيين به بسبب حصار زنكى لبارين وانه فى طريقه أخضع « ابن ليون الارمنى » ثم توجه الى انطاكية (٨٨) . الا ان ابن القلانسى المعاصر لحملة الامبراطور هذه فيظهر فى تاريخه ان الامبراطور خرج اولا واستولى على بلاد (ابن ليون) فى الوقت الذى كان زنكى موجودا بالموصل وانه عندما تقدم وحوصرت بارين كان الامبراطور لايزال فى بلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك أن استنجاد الصليبيين بالامبراطور بسبب بارين كان وهو فى أرمينيا وانه لم يعد حملة بسبب بارين بالذات .

اما المصادر والمراجع الاجنبية فتذكر انه حدث فى ١١٣٧م ان انتهى الخلاف بين ريموند دى بواتييه (٩٠) . وليو الارمنى بوساطة جوسلين الثانى بينهما وتعهد الجانبان بالاتحاد معا ضد

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٧٦ ، ابن خلدون العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ . تذكر هذه المصادر : « لما مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين ... فتجهز الروم وساروا الى انطاكية وهى لهم عندئذ فارسوا بها منتظرين المراكب التى فيها الأثقال والسلاح فلما وصلت ساروا الى مدينة نيقية فنازلوها وحاصروها ثم صولحوا على مال يؤدى اليهم . ثم ساروا الى مدينة اذنه والمصيصة وهما لابن ليون الأرمنى فحصرهما ملك الروم وملكهما ... ثم توجه الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة » . واذا كانت كل المصادر تذكر أن خروج ملك الروم كان فى ٥٣١هـ فان العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يذكر أن ذلك كان ٥٣٠هـ .

(٨٩) يذكر ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ بالتواريخ « فى ذى القعدة ٥٣٠هـ وقيل اول المحرم ٥٣١هـ خرج متملك الروم من القسطنطينية . وفى شعبان ٥٣١هـ توجه عماد الدين أتابك من الموصل وقطع الفرات ووصل الى حمص . وفى شوال نزل زنكى على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من أيدى الأفرنج . وفى ذى القعدة نزل متملك الروم على أنطاكية وضايقها وجرى بينه وبين صاحبها مصالحة ثم رحل عائدا الى الدروب ، فافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى » .

(٩٠) يسمى ميخائيل السريانى ريموند دى بواتييه (Bedawi)
Michel : Op. Cit., p. 245.
أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن المطيمى) فيسميه بيمند بن بيدلس الأفرنجى) .

البيزنطيين (٩١) . وجـاء هـذا التحـالف الجـديد مهـددا لمصـالح الامبراطور حنا كومنين الذى كان يرغب حينئذ فى اثبات حقوقه فى كل من انطاكيـة وقيليقية (٩٢) لذا غزا الامبراطور حنا قيليقية « وكان محتلئا بالغضب ضـد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصـة وطرسوس واذنه بل واخـذ ليو نفسـه أسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض اولاده (٩٤) .

ومعنى هـذا ان الامبراطور كان قـد رتب بالفعل لحملته التى قـام بها ضـد قيليقية وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا عن للامبراطور أثناء توجهـه الى الشـام كما ذكر بربيه « ان الأمبراطور اثناء عبوره قيليقية بجيشـه الكبير أستولى على طرسوس ثم ظهر امام انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقية ثم الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا عن رغبته فى الاستيلاء على قيليقية بعـد ان علم بالفقرة الأخيرة من الصـلح بين الأمير ليو وريموند الشـاتى ثم لرغبته ايضـا فى القصـاص من انطاكية التى شقت عصـا الطاعة منذ فترة وجيزة بسبب الصـلح الأخير ، أما موضوع بارين فقـد استجد بعـد خروجـه بالفعل .

وفى بداية ذى القعدة ٥٣١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين امام انطاكية . هنا تكتفى المصـادر العربيـة بالقول بـأن الامبراطور وامير

---

(٩١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen : Op. Cit., p .358 عن (Orderic).

(٩٢) Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٩٣) Michel : Op. Cit., p. 245.

(٩٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Michel : Op. Cit., p. 245. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Archer. : Op. Cit., p.p. 191 -192.

وربما هـذا ما اشـار اليه ابن العديم بقوله « لمـا فتح ملك الروم بلاد لاون بن روبال دخل اليه لاون متطارحـا فقال : أنت بين الفرنج والأتراك لا يصـلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ، جـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٩٥) Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

أنطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) » ليستكمل فتحها . والواقع ان تلك الكلمات الموجزة فى المصادر العربية هى نفسها التى تشير الى الحلف الفرنجى البيزنطى الذى نقصده ، والذى تناولته المصادر والمراجع الاجنبية بالتفصيل . ذلك انه حدث فى اغسطس (٩٧) ١١٣٧م ان ظهر الامبراطور حنا كومنين أمام انطاكية وحاصرها وطالب باخذها (٩٨) وعندئذ أسرع امير انطاكية بارسال بعض المبعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشيره فى الموقف . وقد رد الملك بانه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة فى انطاكية (٩٩) . عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطى والانطاكى وهى المفاوضات التى يذكر (بريبه) أن اهالى انطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) . لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيته للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق

---

(٩٦) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ عن (العظيمى) .

(٩٧) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٩٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., p. 245.
Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p 439.
Zoé : Op. Cit., p. 327.

(٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95-96 عن (Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.

(١٠٠) Bréhier : Op. Cit., p. 101.

(١٠١) حاشية من Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153.
(Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky : Op. Cite., p. 336.
عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97.
هنا يذكر بريبه وجروسية أن اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان فى معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدهما ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣، الذى يذكر « خرج ريموند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم فى عسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية » . ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال » (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٧ ص ١٠١) .

على « أن يساعد الامبراطور فى الاستيلاء على حلب وشيزر وحمص وحماه وأن يمنح تلك المدن لريموند كاقطاع له يحكمه من قبل الامبراطور وفى مقابل ذلك يستعيد الامبراطور انطاكية (١٠٢) » وقد وعد الامبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٣٨م لاستعادة تلك البلدان المشار اليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف أو الاتفاق على النواحى السياسية فقط بل تعداه الى ناحية دينية مهمة وهى أن الامبراطور شرط فيه « أن يصبح بطريرك انطاكية من الآن فصاعدا بيزنطى أرثوذكسى (١٠٤) » وقد انفرد ابن القلانسى بين المصادر العربية بالاشارة الى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع أن ذلك الجانب الدينى من الحلف هو الذى جعل جروسية يعقب عليه بقوله « أن ذلك التنازل — من جانب الصليبيين — لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا ايضا . فقد كانت كل خطوة فى الغزو البيزنطى لهذا الاقليم تعتبر نصرا للكنيسة البيزنطية على حساب الكنيسة الارمينية (١٠٦) » .

وفى ذى الحجة ٥٣١هـ (١٠٧) — سبتمبر ١١٣٧م (١٠٨) غادر الامبراطور انطاكية واكتفى برفع الراية الامبراطورية عليها (١٠٩) وتوجه الى « بغراس ومنها الى بلاد ابن ليون (١١٠) »

---

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Brhier : L'Eglise, p. 101, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147; Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

(١٠٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣ .

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147.

(١٠٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٦٣ .

(١٠٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٩) Bréhier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، ح ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن الفرات مخطوط ، ح ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، ح ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، ح ١٦م ١ ص ٩٥ .
والغريب أن هذه المصادر تذكر أن ابن ليون صالح الامبراطور بالاموال
=

على أسيـابش العودة كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل ان ننتقل الى الكلام عن التنفيذ العملي لنص الحلف الفرنجي البيزنطي نود ان نشير الى أن بعض المصـادر العربية المعاصرة للحلف اشارت الى انه كانت هناك مراسـلات بين الامبراطور وزنكي بعد اتمام عقـد ذلك الحلف ، فقـد انفـذ الامبراطور رسـولا الى زنكى في الثـاني والعشرين من ذي الحجـة ٥٣١هـ (١١١) ، فرد زنكى على تلك السفارة بسفارة اخرى معها « هديـة الى ملك الروم فهود وبزاة وصقور (١١٢) » . فعـاد اليه رسـوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم اخبره انـه يحـاصر بـلاد لاون (١١٣) » . فماذا كان يقصد الامبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كـان يسـتهدف التمويـه على ماتصت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطى ، كي يبعـد عن الحلفاء شكوك زنكى وبالتالى تهديداته وبذلك تتـاح الفرصـة لتنفيذ الاتفاق ؟ ربما كان الأمر كذلك وربما استهدف الامبراطور من وراء ذلك كسب زنكى الى جـانبه حتى اذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة الصـليبيين تجاهه ، ضم زنكى الى جـانبه فيصبح الأخير سندا له لطعن الصـليبيين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقـارب المصـلحة البيزنطية الاسلامية .

ومهما يكن من امر ، فانه بعـد ان امضى الامبراطور شهور الشتاء في قيليقيـة تقـدم الى الشـام بجيوشـه في ربيـع ١١٣٨م (١١٤) (٥٣٢هـ) ، فقـد اراد ان يـمارس حقوقـه الخاصـة بنفوذه على

=

وتدخـل في طاعتـه . ولكن الحقيقـة كما ذكرت المصـادر الارمينيـة نفسها كما بينا ان ليو الأرمني كان قـد اسر وارسـل الى القسطنطينية قبل تقـدم الامبراطور الى انطاكيـة وانـه ربما توجه الامبراطور الى بلاد الارمن في هـذا الوقت لاستكمال ضمهمـا فقط .

(١١١) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ ؛ العينى : عقـد الجمان ، ج ١٦م ١ ص ٥١ (من المظيمى) .

(١١٣) ابن العديم : المصـدر السـابق والصفحة (وقـد اشـار كاهين الى تلك السفارات بقوله أنه في شتاء ١١٣٧م تبودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين) Cahen : Op. Cit., p. 360.

(١١٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

اتباعه (١١٥) » ، لذا أرسل رسله ومعهم مرسوم امبراطوري الى كل من امير الرهـا وامير انطاكية يدعوهما للمسير للحرب معه (١١٦) ».

وبدأت الخطوة الأولى لتنفيذ الاتفاق الفرنجي البيزنطي في فبراير ١١٣٨م — المحرم ٥٣٢هـ عندما قبض حاكم انطاكية على كل التجار والمسافرين من حلب كي لا تتسرب اخبار الاستعدادات الصليبية الى زنكي (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحالفة توجه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش اضاعت حوالي اسبوعين امام قلعة بزاعة حتى استولت عليها (١١٨) ، في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩)

---

(١١٥) Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101.
وهنا يذكر بريبه أنه دعاهم لحصار شيزر أما في كتابة الثاني فيقول أنه دعاهم لحصار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.)
أما ميخائيل السرياني فيذكر أن الصليبيين أرادوا أن يخدعوا الامبراطور فخرج الى قيليقية فذهبوا اليه هناك وعملوا اتفاقا جديدا وعاد الامبراطور معهم لحصار حلب .
(Michel : Op. Cit., p. 245.)

(١١٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٥ ،
Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 2, p. 100.

(١١٨)
Michel : Op. Cit., p. 245, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
هنا يضيف كلّ من جروسية وكاهين
ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثاني
(Grousset : Ibid., p. 101. Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٦ ، النويري : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ص ٩٨ وتفصل بعض المصادر ما حدث لأهل بزاعه عندئذ فتقول : « كان حصن بزاعة في يد امرأة فسلموه الى الروم بالأمان بعد أن توثقوا منهم بالعهود والأيمان فغدروا بهم وأسروا من بزاعة حوالى ستة آلاف مسلم =

(حوالى مارس ١١٣٨م) والواقــع ان الوقت الذى ضــاع أمام بزاعــة لم يكن فى مصلحة الجيوش المسيحية « فقــد ضــل منهم جماعة اظهروا انهم مستأمنه ، وانذروا من بحلب بالروم فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا أتابك زنكى بذلك فوصــله الخبر وهو على حمص (١٢٠) » وكان ذلك الانــذار لأهل حلب قبل الاغــارة عليهم بيوم واحد (١٢١) مما اتــاح لعماد الــدين زنكى ان يرســل اليهم فى الحــال « الأمير ســيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسمائة فارس فى اربعة من الأمراء (١٢٢) » . فزود سوار المدينــة بالمؤن والســلاح ووزع الدفاع منها بين رجاله وبين اهل المدينة انفسهم (١٢٣) » . ثم قدم الروم والصليبيون الى حلب « فقاتلهم احداث البلــد قتالا شــديدا فقتل كثير من الروم وجرح كثير فاقاموا ثلاثة ايام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجــه الروم الى الاثارب وملكوها بعد ان هرب اهلها منها وطرحوا النــار فى خزائنها (١٢٥) . ثم وضــع الروم

او بزيدون . وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من اهلها تقدر بحوالى اربعمائة نفس واقام الروم بعــد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى ودخنوا على من دخل المغاير فهلكوا » ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الاثير . الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العديم . زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن واصــل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٦ ، روض المنــاظر : مخطوط احــداث ٥٣٢هـ ، العينى : عقــد الجمــان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ . اما التاريــخ المنصــورى فيذكر ص ١٦٦ — ١٦٧ (ان ذلك كان ٥٣٣هـ) وهــذا خطأ .

(١٢٠) ابن العديم : المصــدر السابق حـ ٢ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(١٢١) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ .

(١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(١٢٣) ابن الفرات : تاريخ الدل والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٤ (أ) .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ : ذكرا ان ذلك كان (من ٦ شعبان الى ٨ منه) ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصــل . مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٤٨ ، سبط بن الجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩٠ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ .

(١٢٥) ابن القلانسى : الذيل . ص ٢٦٥ (وكان ذلك فى ٩ شعبان) ، ابن العديم : زبــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الاثيــر : الكــامل حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصــل : مفــرج الكــروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقــة ٤٨

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 103.

امــا ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٣٣ فيســمى الاثــارب (الاتــاود)

اسرى وسبايا بزاعة بالاثارب ، فتوجـه اليهم الأمير سـوار من حلب وخلصهم وانزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عندئذ توجـه ملك الروم الى معرة النعمان فاستولى عليها كما استولى ايضـا على كفر طاب (١٢٧)

اتفق الامبراطور البيزنطى بعدئذ مع الفرنج واجمعوا على التوجـه الى شيزر ومنازلتها (١٢٨) . والمعروف أن شـيزر حصن منيـع على مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير ابو العسـاكر سـلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى (١٣٠) . وترجـع أهمية تلك المدينـة الى انها احـدى المـدن التى وعـد الامبراطور بالمساعدة فى الاستيلاء عليها فى مقابل استعادته لانطاكيـة (١٣١) ، فضـلا عن انها مدينـة بيزنطية قديمة ذات موقع عسكرى هـام (١٣٢) . وكان الفرنج هم الذين اشـاروا على الامبراطور بالتوجـه الى شيزر بدعوى « انها ليسـت لاتابك فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) » . ولكن ذلك لم

---

(١٢٦) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن واصـل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٢هـ . التاريخ المنصورى ص ١٦٧ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩٠ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ — ٩٩

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 103.

(١٢٧) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ (المعرة فى الثالث عشر من شعبان وكفر طاب فى منتصف شعبان) ، Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) اسـامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢

Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٥٥ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السـابع ٥٣٢هـ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٩ .

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 104.

(١٣٢) Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ .

يمنع اميرها ابو العساكر سلطان من الاستنجاد بالاتابك عماد الدين زنكى الذى سارع لنجدته (١٣٤) .

وهكذا نزلت الجيوش المتحالفة على شيزر فى شعبان ٥٣٢هـ ابريل ١١٣٨م (١٣٥) . « فى مائة الف راكب ومائة الف راجل ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصى الا الله (١٣٦) » . وفى الحال اسرع زنكى لنجدة امارة شيزر ونزل على نهر العاصى بينها وبين حماه (١٣٧) . ولكنه لم يجازف بالدخول مع المسيحيين فى حرب مباشرة بسبب ضخامة عددهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم (١٣٨) ». اما الجيش المسيحى فقد شدد الهجوم على المسلمين فى حين كان دور الامبراطور البيزنطى بارزا جدا فى تلك المعركة يفوق دور حلفائه الصليبيين . وقد اورد لنا وليم الصورى وصفا كاملا لجهود الامبراطور حينئذ (١٣٩) . ويبدو ان اميرى الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

---

(١٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويرى: نهاية الارب حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين - ميكروفيلم الباب السابع حوادث ٥٣٢هـ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ٢ ص ٥٢ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى: تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ .

(١٣٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، اما سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٦٣ فيذكر ان ذلك كان فى شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 104.

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p. 104.

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ؛ ابن واصل مفرج الكروب، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٣٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ — ٧٩ ، النويرى : نهاية الارب، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ابو الفدا : حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٦ .

(١٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

واكثر من ذلك نبقلـة اهتمامهمـا بمواصـلة الحرب اثروا على الاخرين بتقللوا من دورهم الايجابى فى الحصـار (١٤٠) .وبهذا كان تفكك جهود الحلفـاء عنـد شيزر من اهم العوامل التي ادت الى فشلهم فى الاستيلاء عليها . اما الاسباب المتباينة التى ادت لرفـع الجيوش المسيحية حصارها عن شيزر (رمضان ٥٣٢هـ ــ مايو ١١٣٨م) (١٤١) .

اولها الأسلوب الذى اتخذه زنكى فى مواجهة اولئك الحلفاء اذ حاول فى البداية ان يشن عليهم حربا نفسية ويدخل الخوف فى قلوبهم من قوته وقوة اتباعه فقال لهم « انكم قـد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصـحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم ارحت المسـلمين منكم وان ظفرتم . استرحتم واخذتم شيزر وغيرها » والواقع انه لم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه (١٤٢) . ثم حاول زنكى بعد ذلك ، الايقـاع بالحليفين البيزنطى والفرنجى « فكان زنكى يرسل الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشـام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشـام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشـام حصنا واحـدا ملك بلادكم جميعها فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رفـع الحصـار عن شيزر ان زنكي عندما كانت الجيوش المتحالفة محـاصرة لبزاعـة ، « ارسـل القاضى كمال الدين ابا الفضـل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

---

(١٤٠) William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102.
Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الاثير : الكـامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، سـبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٦٣ ؛
Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الاثيـر : الكـامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، البـاهر ص ٥٥ ، ابو شـامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨١ ــ ٨٢ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم البـاب السـابع ٥٣٢هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الاثيـر : الكـامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، البـاهر ص ٥٦ ، ابو شـامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨٢ النويرى : نهايـة الارب ، جـ ٢٥ مخطوط ورقـة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السـابع ٥٣٢هـ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر (١٤٤) » . ولكن القاضي لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رفاقه فى جامع القصر يوم جمعة وامرهم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين محمداه ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجدتها ـ لأنه اثناء اعدادها « وصل كتاب اتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم (١٤٥) » ـ فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين العوامل التى شجعت على رفع الحصار من شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق عبر الفرات فى جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) ».

على أن المصادر والمراجع الأجنبية القت مسئولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى انطاكية والرها اللذين تركا العبء الأكبر فى المعركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والعبث (١٤٧) .

« وكان الامبراطور ساخطا عندما وجد مدينة ضعيفة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو أن الامبراطور عندما فقد الأمل فى تحقيق نصر جماعى على شيزر « فكر فى الحصول على نجاح شخصى يسمح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

---

(١٤٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٤٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ـ ٨١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٠٠ .

(١٤٦) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٨ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 101 — 102.

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois.. V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 328, 331, Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(١٤٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110.

لذلك انتهز الامبراطور فرصــة ارســال امير شيزر اليه متوســلا ان يحفظ مدينته فى مقابل دفــع مبلغ من المــال فوافق الامبراطور على هــذا العرض (١٥٠) . وربما هــذا هو الذى دفــع البعض الى القول « بأن امارة شيزر كانت تارة محالفة للفرنج وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فان ثمة عــامل عجل برفــع الانبراطور وبالتــالى حلفائــه الحصــار عن شيزر وهو ما بلغه من اخبــار عن مهاجمــة الســلطان مسعود ســلطان قونية لقيليقية واستيلائه على مدينــة اذنه (١٥٢) . لذلك لم يكد أمير شيزر يدفــع المبلــغ المتفق عليه للإمبراطور حتى رفــع الحصــار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء فاشلة (١٥٤) . وكان انسحابهم على تلك الصــورة من اهم الانتصــارات التى أحرزهــا زنكى فى ذلك الوقت ؛ لذا كافاه السلطان بارســال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحــالف الفرنجى البيزنطى فى ١١٣٨م فى تنفيذ الخطة التى تم الاتفــاق عليها ١١٣٧م . وكــان الكســب الوحيد الذى احرزه الامبراطور من كل تلك الجولــة الطويلة هو ما اخــذه من مــال من أمير شيزر العربى فى مقابل انسحابه من مدينتــه . وباخفــاق الحلفــاء فى الاستيلاء على المــدن التى سيعوض بها امير انطاكية فى مقابل استرجاع الامبراطور لانطاكيــة ، قرر الامبراطور العودة الى انطاكيــة وفى نيتــه وضــع يده عليها بحكم ســلطته .

---

(١٥٠) William ; Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit.. p. 362, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 329, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٤
هنا يذكر جروسية أن امير شيزر قــدم للامبراطور بعض الخيول وبعض الملابس الحريرية الموشــاه بالذهب ومنضــدة قيمة وصــليب مرصــع بالياقوت الأحمر : والمنضدة والصــليب سلبا من الامبراطور رومان ديوجين بعد كارثة منزيكرت .

(١٥١) Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٥٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.

(١٥٣) William : Op. Cit,. V. 2, p. 96.

(١٥٤) تاريــخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريــخ حوادث ٥٣٢هـ ، روض المناظر : مخطوط ، احــداث ٥٣٢هـ : التاريــخ المظفرى : مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .

(١٥٥) ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨٣ .

وفعلا تقدم الامبراطور البيزنطى بعد ذلك الى انطاكية ودخلها وسط مظاهر العظمة واستقبله البطريرك ورجال الدين ، بينما احاط جوسلين الثانى وريموند دى بواتييه بالامبراطور يخدمانه (١٥٦) . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يمارس حقوقه بتشدد وان يتحاشى اى تصدع متعذر اصلاحه (١٥٧) . وقد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكية « كما لو كان فى قصره الخاص (١٥٨) » . وبعد عدة ايام استدعى امير الرها وامير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقاء فى امارته وقتا طويلا لكى يوسع امارته وذلك وفقا للاتفاق الذى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسمح لقوات الامبراطور بالبقاء فى المدينة او بمعنى أصح يجب ان تسلم قلعة المدينة للامبراطور كى تكون مركزا للعمليات العسكرية ضد المسلمين بدلا من قيليقية البعيدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يتصوروا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هذا الطلب ولذا فوجئوا به ، ولكن تدخل جوسلين الثانى هو الذى انقذ الموقف ــ كما مر بنا ــ بان طلب من الامبراطور مهلة للتشاور فى الامر ثم ما كان من اتصاله باهالى انطاكية وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد شغب الجماهير وتعرضوا بالاذى حتى لافراد اسرة الامبراطور نفسه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور عاقبة اشتداد تيار

---

(١٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112, Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.

(١٥٧) Cohen : Ibid., p. 362.

(١٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 112.

(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع الملاحق)
William : Op. Cit., V. 2, p. 98,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223, Bréhier : L'Eglise ... p. 102,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٦٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده فدعا الأمراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ، ورجاهم تهدئة الجماهير ، وانه قرر الانسحاب فى اليوم التالى (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى ان اميرى الرها وأنطاكية كانا يجهلان ان الامبراطور ادرك جيدا ما يجيس فى صدروهما ، لذا اسرعا بتقديم الاعتذارات للامبراطور عما حدث حتى « ان امير انطاكية أبدى استعدادة للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المدينة الى أيدى الامبراطور (١٦٢) » .ولكن الراجح ان امير انطاكية لم يقدم ذلك العرض السخى للامبراطور الا لعلمه أن الامبراطور لم يعد يفكر فى ذلك الوقت الا فى الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجماهير ضده ، والواقع ان الامبراطور لم يرغب فى ذلك الوقت فى استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا اخبرهم « بان اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . وبعد أن اعاد علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتية « طلب منه الاحتفاظ بالقلعة وبكل انطاكية وان يكون تابعا مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى قيليقيه ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد ان وعد حلفاءه الصليبيين بالعودة مرة اخرى وبقوة اكبر لتنفيذ الاتفاق الذى عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ومعنى هذا ان التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد الصراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب المرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى فى ٢٨ مارس ١١٣٨م

---

(١٦١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Epopée, p. 158, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(١٦٣) Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 120.

(١٦٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 102.

(١٦٥) Grousset : L'Epopée, p. 158.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذى استنكر فيه وصول الامبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الامارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة انه ربما كان الدافع الأكبر الى اصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الاشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على احلال بطريرك بيزنطى محل اللاتينى وهو ما فرضه الامبراطور فى قيليقية بالاجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفى ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الامبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه فى تلك المرة — وبعد مرور أربع سنوات على خديعة حلفائه الصليبيين له ١١٣٨م — لكى ينفذ شروط التحالف الذى سبق أن تم بينه وبينهم ١١٣٧م أن هناك أسبابا أخرى دفعته الى المجىء تلك المرة ؟ حقيقة أن أمير انطاكية كان قد أرسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زنكى ويرجوه الحضور الى امارته (١٦٩) وفقا للتحالف السابق . لكن الامبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على انطاكية . والدليل على ذلك انه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وانما وصل فجاة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار أمام تل باشر (١٧٠) » . ويبدو أن الامبراطور أراد أن يضمن ولاء جوسلين الثانى له فى اتجاهه الجديد ضد انطاكية لذا طلب من أمير الرها رهائن لضمان ولائه له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة ، فانه أرسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) » ثم تقدم الامبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من انطاكية .

والحقيقة أن الامبراطور كان ينوى تكوين امارة على الحدود لابنه

---

(١٦٨) William : Op. Cit., V.-2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit., p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٧٠) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124

(١٧١) William : Ibid., V. 2, p. 124.

مانويل تشمل على الاناضول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفى نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية ابدا بعهودهم (١٧٣) .

ومهما يكن من امر فقد ارسل الامبراطور رسلا الى امير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن المجاورة التى بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع امير انطاكية فى حرج لانه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على اساس الاتفاق المعقود بينهما . واخيرا اتفق امير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين فى ذلك على ان ريموند لم يرث الامارة وانما تولاها بعد زواجه ، وليس لزوجته ايضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرايهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين فى ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لاقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين فى انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن فى امكانه القيام بعمل عسكرى ايجابى لتحقيق هدفه فى ذلك الوقت لان الشتاء كان قد اقبل ببرده القارس (١٧٧) ، فاكتفى البيزنطيون بنهب

---

(١٧٢) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224, (Kinnamos)
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن

(١٧٣) Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224.

(١٧٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، جـ ٦ ص ٦٥

(١٧٥) William : Op. Cit., V. 2. p. 124.

(١٧٦) William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 2, p 126, Archer : Op. Cit., 19?

أطراف المدينـــة (١٧٨) . ثم انسحبوا الى قيليقية على اســاس العودة فى الربيــع لتحقيق مطامعهم فى انطاكيـــة (١٧٩) . ذلك ان الامبراطور كان يعلم أن الحقوق البيزنطيـــة فى انطاكية لها سندها التاريخى فضــــلا من تأكيد الصــليبيين أنفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات عام ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٣٧م (١٨٠) .

ولكى يخفى الامبراطور غرضـــه الحقيقى تجــاه انطاكيـــة فى ذلك الوقت ارســـل ســفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقـــدس يعرض عليه رغبته فى التوجه الى القدس لزيارة الأماكن المقدسة (١٨١) ، فضـــلا عن وضـــع قواته فى مواجهـــة العدو فى تلك الأجزاء (١٨٢) . وكان أن عقـــد الملك مجلســـا للتشـــاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مـــع بعض رســـله مرحبا بالامبراطور فى حجـــه الى القـــدس بشرط الا يصطحب معـــه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لأن مملكته لا يمكنها أن تقدم المؤن لعدد اكبر من هـــذا والا تعرضت لمجاعـــة (١٨٣) . وقـــد اغضب هـــذا الرد الامبراطور ولكنـــه كظمـــه وحمـــل الرســـل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفى نفس الوقت ازداد تصميما على اعـــلان

---

(١٧٨) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

الدبس : تاريخ سورية . حـ ٦ ص ٦٥

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والمرجع الاخير يذكر سببا آخر لموافقة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الاكبر الكسيوس . عن

(Otto of Freising)

(١٧٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ .

(١٨١) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٣) William : Ibid.. V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102.
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330.
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

(النص الكامل لرد الملك مع الملاحق)

(١٨٤) Williaim : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud : Op. Cit., V 2, p. 87.

الصراع العلنى ضد الصليبيين بعد انتهاء الشتاء لولا وفاته فى ٨ أبريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حاول امير انطاكية ان يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكى يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية فى قيليقية ، لكن الامبراطور الجديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الامير الصليبى الى الذهاب للقسطنطينية راعلاء ولائه للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفى فيها ايضا الملك فولك ملك بيت المقدس (١٨٧) .

وكانت خسارة المعسكر المسيحى كبيرة بفقد هاتين الشخصيتين البارزتين فى تلك الظروف ، مما جعل تلك السنة تمثل بداية النهاية بالنسبة لامارة الرها الصليبية بوجه خاص . ذلك ان اميرها جوسلين الثانى كما سبق ان ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من أمراء الامارة السابقين ؛ ولكن الظروف نفسها خدمته وجعلت زنكى يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقية الامارات الصليبية الى ممتلكاته سواء فى الموصل او فى حلب . بل هادنه زنكى حتى تتاح له الفرصة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكان دخول الرها طرفا فى الحلف الفرنجى البيزنطى فى السنوات الأخيرة من اهم الاسباب التى جعلت زنكى يؤجل تسديد ضربته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تصدع التحالف الفرنجى البيزنطى — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكى تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرها الصليبية وحالفه التوفيق فى اسقاطها كما سنرى .

---

(١٨٥)
William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)
Charles - Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T.V., Part 1, p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان فى ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
أما شلمبرجية فتذكر ان الملك فولك توفى فى ١٣ نوفمبر ١١٤٤ والراجح انه أخطأ فى ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصـــراع بين امارتى الرهـــا وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هـــذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقـــة بين الامارتين ولكننا هنـــا سنركز على مراحل النزاع والخـــلاف فقط بين الامارتين . لان ذلك سيترتب عليه تصـــدع الوحـــدة الصليبية نفسها فى شمال بلاد الشـــام فـــاذا اضيف هـــذا الى التصـــدع الســـابق بين تلك الجبهـــة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف أصبح الطريق ممهدا أمام زنكى لتسديد ضربته الكبرى ضـــد امارة الرهـــا .

فقـــد مر بنا كيف بدات جـــذور العداء بين امارتى الرهـــا وانطاكية منذ وصـــول بوهيموند الثـــانى الى انطاكية ١١٢٦م — ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثـــانى ضاعت آمال جوســـلين دى كورتناى فى امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العـــداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م — ٥٢١هـ فى التســـابق لاحراز مكاسب على حســـاب حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قـــد انهوا ذلك الموقف الشـــائك بدفـــع المـــال للفرنج (١٨٨) ، الا أن الصراع استمر بين الأميرين الصـــليبيين على أرض امارة انطاكية واستعان فيـــه جوســـلين بالأتراك ضـــد بوهيموند (١٨٩) وكان أن اغار أمير الرهـــا وحلفاؤه على انطاكيـــة ونهبهـــا (١٩٠) . ولمـــا وصـــل الأمر الى تلك الدرجـــة من الخطورة أسرع الملك بلدوين الثـــانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهدد بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين فابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك فى القضـــاء على هـــذا الشقاق بطريرك انطاكية برنارد دى مالنس الذى أصـــدر قـــرار الحرمـــان ضـــد الامـــارتين كى يعيـــد الأميـــرين الى صوابهما (١٩٣) . كما أمر باغـــلاق الكنـــائس وايقـــاف كل الطقوس

---

١٨٨) ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V.1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصادف منذئذ أن مرض جوسلين مرضا خطيرا جعله يندم على مسلكه السابق ولذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل ان الأمر وصل الى ماهو أبعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما أكده متى الرهاوى بقوله « ان بوهيموند استطاع بسلطته التى لا تقهر أن يخضع لنفوذه أمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بسيادته (١٩٦) ».

وفى فبراير ١١٣٠م منتصف رمضان ٥٢٤هـ توفى بوهيموند الثانى (١٩٧) وحاولت أرملته السيطرة على الحكم — كما مر بنا — وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعى من الحكم . وعندئذ أسرع بلدوين الثانى من جديد ومعه جوسلين دى كورتناى ليوقفا تصرفها هذا وأصدر والدها — على كره منها — مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الأميرة كونستانس فيصبح زوجها أميرا على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفى جوسلين الأول وتولى جوسلين الثانى مكانه أن رفض أهالى انطاكية وبطريركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم فى امارتهم (١٩٩) . وفى١١٣٦م — ٥٣٠هـ تزوج ريموند دى بواتييه من الأميرة كونستانس وأصبح أميرا لانطاكية (٢٠٠) .

وفى ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والصليبيين أمام شيزر نلمح تجدد العداء بين الامارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التى كتبها وليم الصورى حين يقول أن الأمير جوسلين الثانى

---

(١٩٤) Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429.

(١٩٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

(١٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 147.

(١٩٧) Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.
ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، جـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .

(١٩٨) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255.

(١٩٩) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٢٠٠) Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

حاول أن يوغر صدر الامبراطور ضد الأمير ريموند الثانى حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الامبراطور (٢٠١) . ولو اننا لا نستبعد ان يكون انفراد وليم الصورى بهذه الراويه راجع الى سوء علاقاته بأبناء جوسلين الثانى (٢٠٢) . والواقع أن الامارتين الشماليتين كانتا فى غالبية الاحيان متنازعتين ولكن جهود الملك بلدوين الثانى شجعت باستمرار على توحيد الامارتين فى اطار المصلحة الصليبية العامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والأجبار كما تعددت على ذلك الأمثلة من قبل . اما خليفة بلدوين الثانى — الملك فولك — فانه لم يستطع فى غالبية الأحيان بسط نفوذه على امراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحا فى بعضها . وعندما توفى فولك وتولى ابنه بلدوين الثالث العرش تحت وصاية أمه ميلزاند (٢٠٥) ضعفت الفرصة للسيطرة على امارتى الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الامارتين حتى أن أمير الرها — كما رأينا — ابتهج لسقوط امارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصالحه هو الآخر .

---

(٢٠١) William : Op. Cit., V. 2, p. 97.

(٢٠٢) Zoé : Op. Cit., p. 295.

(٢٠٣) والحقيقة ان جهود الملك بلدوين الثانى (مارس ١١١٨م — اغسطس ١١٣١م) لم تقتصر فقط على الامارتين الشماليين بل تميز حكمه بانه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعمت ؛ حتى ولو تطلب ذلك الدخول فى معارك مرعبة مع المسلمين المجاورين والتى وقع الملك فى احداها اسيرا فى أبريل ١١٢٣م .

(Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

(٢٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

هنا يعلق (هيفل) على حكم فولك وميلزاند بانه « كان بداية انحلال أعقاب الصليبيين فى الشرق »

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802.

(٢٠٥) Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802

(٢٠٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

سقوط الرهـا فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م (٢٠٧) ـ ٥٣٩هـ .

(أ) الظروف المشجعة لزنكى على التقدم الى الرهـا :

كان استيلاء عماد الدين زنكي على الرهـا اهم خطواته فى جهـاده الاسـلامى ضـد الصليبيين والذى استكمله بعده ابنه نور الدين والحقيقة ان الذى شجع زنكى على القيـام بذلك العمل الهـام عـدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرهـا الخارجيـة وبعضها يخص الرهـا فى الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على **الحوافز الخارجيـة** ، نجـد اننا قـد أشرنا اليهـا اثناء تناولنا للحلف الفرنجى البيزنطى وللصراع بين الرهـا وانطاكيـة . فغالبيـة المصـادر والمراجـع الأجنبية تضـع فى المقـام الأول ، ذلك الصراع الشـديد بين اميرى الرهـا وانطاكيـة والذى كان قـد وصـل الى حـد الصـدام العلنى ؛ حتى أن كلا منهما كان يفرح لمـا يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهـذا ايضـا الحافز الثـانى وهو انه بوفـاة الملك فولك ، اصبح نفوذ مملكة القـدس ضئيلا جـدا على أميرى الرهـا وانطاكية وخاصـة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصـاية أمـه ميلزاند (٢٠٩) . ففى ذلك الدور انعـدم وجود الشـخصية الصـليبية القويـة التى يمكنهـا جمـع شمل الأمراء الصـليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصـدع الحلف الفرنجى البيزنطى (٢١٠) ـــ كمـا مر بنـا ـــ والذى ازال بذلك عقبة كبيرة من

---

(٢٠٧) ينفرد ابن العبرى : كمصـدر سريـانى والدبس ولوسترانج بالقول ان ذلك كان ١١٤٥م .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit., p. 104, يوسف الدبس : تاريخ سوريـة ، جـ ٦ ص ٦٦

ولكن جميـع المصـادر العربية والافرنجية تؤكد ـــ كما سنرى ـــ أن ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140 - 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174 - 175.

(٢٠٩) Charles - Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit. p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175 182, L'Empire, p. 224.

(٢١٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

طريق زنكى — لامكننا التعرف على مدى طمأنينة زنكي من ناحية تلك القوى الخارجية التى لن تتمكن من المسارعة بتقديم العون الضرورى لامارة الرها اذا هاجمها .

اما اذا انتقلنا الى الحوافز الداخلية فاننا نجد أن التركيز على شخصية جوسلين الثانى امير الرها آنذاك وتصرفاته تأتى فى المكان الأول . ذلك أن جوسلين الثانى ولد من لم أرمينية ، وكان يفضل مجتمع الارمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انه كان يشعر بالغربة بين فرسانه الفرنج (٢١٢) . ثم انه لم يشبه والده جوسلين الأول فى شجاعته المطلقة وان احتفظ بقدر محدود منها (٢١٣) ، حيث أن بعض المصادر العربية اشارت اليه بانه « كان صاحب راي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . فى حين قال البعض الاخر عنه انه « هو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم (٢١٥) » .

يضاف الى هذا كله ان جوسلين الثانى كانت تنقصه روح التصميم (٢١٦) وكان يميل الى حياة الراحة والهدوء ولذا تخلى عن الاقامة فى مدينة الرها وفضل عليها تل باشر لكى يكون « بعيدا عن القلق المتسبب عن اعدائه (٢١٧) » . وفى مقره الجديد مارس

---

(٢١١) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Epopée, p. 162.

(٢١٣) Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، النويرى نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤١ .

(٢١٥) أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، تاريخ ابو الهجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢١٦) Zoé · Op. Cit., p. 337.

(٢١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حيـاة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هـذا فضـلا عن انه اقحم نفسـه فى الامـور الدينيـة وتدخـل فى ترشيحات رجـال الكنيسـة اليعقوبية (٢١٩) . بل انه تحت ستار الجمع نهب دير مـار برصوما Mar Bar Çauma المقدس لدى اليعاقبة (٢٢٠) مما أوجد بينه وبين المعاقبة فجوة كبيرة .

اما عن المسـائل المتعلقة بالدفاع عن الامارة ومن الذى كان يتولاه . فالمعروف ان أهلهـا كـانوا يشتغلون بالتجـارة ويجهلون اسـتخدام الأسـلحة (٢٢١) . ولـما كـان عـدد سـكان الرهـا من الفرنـج بالنسبة للسـكان الأصليين اصغر (٢٢٢) لذا اعتمدت الامارة فى الدفاع من كيانها على المرتزقـة ، وكان هـذا النظام له خطورته ، خصوصـا بالنسبة لامارة الرهـا بالذات (٢٢٣) .

فاذا اضفنا الى ذلك ان امارة الرهـا كانت اكثر تعرضـا لهجمات

---

(٢١٨) William : Ibid., V.2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Epopée, p. 163, Archer : Op .Cit., p. 202.

(٢١٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176.

(٢٢٠) Grousset : Ibid., p. 176, L'Epopée, p. 300.

(٢٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1 p. 446.
والراجح ان السريان من أهلها هم الذين كانوا زراعا وتجـارا مهرة وغير مغرمين بحمل السـلاح استنادا الى ماجاء فى المصـدر اللاتينى
Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.), T. 2, p.p. 270 - 271.)

(٢٢٢) William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446
فقـد ذكر وليم الصورى أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يتلقون اجورا وفقـا لزمن ونوع الخدمـة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سـنة او اكثر قبل ان يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشتمل حتى على الفرسـان ، ومن الواضح انها كانت باهظة اكثر فى الرهـا عن اى مكان آخر ، لأن النبلاء من السـكان الارمن والمسيحيين الوطنيين الاخرين ، لم يكونوا قـد أخرجوا بواسطة النبلاء الغربيين حتى انه بدون شك اشتملت المرتزقة فى بعض الأوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وانها تعرضت تحت الحكم الصليبى لها لتدهور الحياة الاقتصادية فيها بسبب التخريب والهجرة التى اصابت جزءها الشرقى (٢٢٤) ، فاننا نخرج من هذا كله بحصيلة عن الأوضاع التى شجعت زنكى على توجيه ضربته القاتلة ضدها .

والواقع ان عماد الدين زنكى وجه جهوده ضد امارة الرها بالذات فى ذلك الدور دون غيرها من الامارات الصليبية ، للاسباب المشجعة السابقة الذكر فضلا عن انها كانت الامارة الصليبية الأقرب الى مركز نشاطه والى مقر الخلافة فى بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررها كان كبيرا على المسلمين اذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان حكامها يملكون من قرب ماردين الى الفرات ، عدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هذا فضلا عن مدينة الرها ذاتها التى « كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الاسلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجد سببان مباشران دفعا زنكى الى مهاجمة امارة الرها : أولهما انه حدث ٥٣٨هـ/١١٤٣م ان كان السلطان مسعود قد استعد لمحاربة زنكى لأنه اعتقد انه هو الذى يحرض أمراء الأطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكى اراد عندئذ أن يشغل السلطان وليتمكن هو من فتح البلاد والتمكين لنفسه (٢٢٧) . لذلك ارسل زنكى يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسل بينهما حتى استقر الراى على أن يدفع زنكى للسلطان مائة الف دينار دفع منها زنكى عشرين الف دينار . ولكن عندما طلب السلطان من زنكى مثوله بين يديه اعتذر باشتغاله بمحاربة

---

(٢٢٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م١ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى أيضا السن وهى قلعة بالجزيرة قرب سميسط (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٥ ، الكامل حـ ٩ ص ٦ .

الفرنج « فعذره وشرط عليه فتح الرها (٢٢٨) » .

وثانيهما أن زنكى سمع بقيام تحالف ارتقى رهوى ، أى بين فخر الدين أبو الحارث قرا ارسلان بن داود (٢٢٩) . الأرتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسلين الثانى ؛ تنازل فيه الأول للثانى عن احدى قلاعه بالقرب من كركر ، على أن يساعده الأخير ضد زنكى (٢٣٠) . وقد ارسل جوسلين بالفعل ١١٤٤م نجدة الى قرا ارسلان (٢٣١) . لذا اراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيدا انه لن يستطيع ان ينزل ضربته بالرها مادام جوسلين واعوانه موجودين بها (٢٣٢) . وانه اذا توجه اليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلة والخداع وبدأ يموه ويخفى غرضه الحقيقى ، فبدأ بمهاجمة قرا ارسلان الأرتقى فى خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كى يوهم فرنج الرها بانه مشغول عن التفكير فى محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

---

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ص ٦٥ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٩٨ .

(٢٢٩) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ ١١٤٤م .

(٢٣٠) Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461.

(٢٣١) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٣٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ ؛ ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابو الهجاء : مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ،
Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) » . عندئذ اطمأن جوســلين الثــانى من ناحية زنكى وغادر الرها الى بلاده الشامية أو الغربية (٢٣٦) أى الى تل باشر غربى الفرات . وفى الحال بلغت زنكى عن طريق اهل حران تحركات امير الرها (٢٣٧) . وانــه كان مصحوبا بمعظم رجــاله والبارزين فى حاميته واكثر محاربيه شجاعة (٢٣٨) . فى حين ترك مدينــة الرهــا بــدون حامية ومؤن كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل أمراء الرهــا السابقين (٢٤٠). وعهد جوســلين بالدفاع عن الرهــا الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه اســاقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقــة الذين لم يكونوا يتقاضــون مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

---

(٢٣٥) ابن الأثير : البــاهر ، ص ٦٧ . ابو شــامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٤ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل : مفــرج الكــروب ، جـ ١ ص ٩٣ . ابو شــامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط جـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، تاريخ ابو الهجاء ، جـ ١ مخطوط حوادث ، ٥٣٩هـ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

(٢٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقــد أخطأ ميخائيل السرياني هنــا فى قوله (أن أمير الرهــا كان قــد توجــه الى أنطاكية آنذاك) أما ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٧٩ ، فيذكر أن الذى أخبر زنكى بتحرك جوســلين الثــانى كان (جمال الدين أبو المعــالى فضــل الله بن ماهان رئيس حران) .

(٢٣٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ،

(البيت ٦٢٨) Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266..

(٢٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire p. 300.

(٢٤٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177.

(٢٤١) Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p 336, Archer : Op. Cit., p. 202, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit., p. 202.

ب ـ حصار زنكى للرهـا واستيلائه عليهـا :

كـاتب زنكى طوائف التركمان ليسـاعدوه ويؤدوا معـه فريضـة الجهـاد واخبرهم انـه لن يقبـل اي عـذر ، فوصـل اليـه عـدد كبير منهـم (٢٤٣) . ثـم ارسـل زنكى بعض قواتـه بسـرعه الى الرهـا بقيادة الأمير صـلاح الدين الياغيسيانى كى يباغتوا المدينـة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيسيانى ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . فى الوقت الذى كان عماد الدين زنكى قـد وصـل الى الرهـا فعلا وبدأ حصـاره لها فى ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكى أول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجـا هؤلاء الى داخـل المدينـة واحتموا باسـوارها الحصينة ، وعندئذ شـدد زنكى الحصـار عليهم ، وسـد فى وجـه المحـاصرين كل سبيل للخروج او الدخول للمدينـة للحصول على أى مؤن (٢٤٧) . ووصـلت قسوة تشـديد الحصـار الى درجـة « ان الطـائر لا يكاد يقرب منها ـ من الرهـا ـ خوفا على نفسـه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندمـا طلب زنكى من اهـالى الرهـا التسليم كى

---

(٢٤٣) ابن القـلانسى : الـذيل ص ٢٧٩
Nersès : Op. Cit., p. 246. (الابيات ٦٣٠ : ٦٣٤)
ابن الأثير : البـاهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩
Gibb : Op. Cit., p. 266
هنا يضيف (ميشو) بنطرفه الواضح فى كتابته أن تلك الأعـداد الكبيره سـارعت للانضمام الى زنكى طمعا فى غنيمة ثرية
(Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 102)
(٢٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879.
(٢٤٥) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268
Grousser : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.
Bréhier : L'Eglise, p. 103.
(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويـرى : نهايـة الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .
(٢٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 141,
Nersès : Op. Cit., p. 246 (البيت ٦٣٦)
ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩
(٢٤٨) ابن القلانسى : المصـدر السـابق والصفحة
Gibb : Op Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لأنــه لا يوجــد لهم اى منفذ للنجــاة - رفضوا (٢٤٩) ، لأنهم كانوا يأملون فى وصـــول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن مــاذا كــان موقف جوســلين نفســه ؟ الواقــع ان كــل ما فعله جوســلين فى ذلك الوقت كــان محــاولة جمــع قواته بسرعــة الى جــانب استنجاده بانطاكيــة والقــدس (٢٥١) . وهنــا يعقب وليم الصـــورى على موقف جوســلين بأنــه تحرك بعــد فوات الأوان « فبــدا كأنــه يعــد الطقوس الجنائزيــة للموتى ، لهؤلاء الذين اهمل مســاعدتهم أثناء المرض والتوســـل (٢٥٢) » . ومعنى ذلك ان جوسلين لم يتنبه للخطر الذى هــدد امارتــه الا متاخرا ، بعــد ان ترك الجزء الشرقى للامارة ونعم بالراحــة فى جزئها الغربى . والواقــع ان جوسلين لم يخف الى الرهــا بسرعــة عندما علم بالهجوم عليها ، وانمــا اكتفى بالبقــاء فى تل باشر كى يستطيع منها أن يقطع اى تعزيزات تصــل الى زنكى من حلب . ويبدو أن ثقته فى تحصينات الرهــا كانت كبيرة (٢٥٣) . ولكن الأسوار والأبراج لم تفد الا قليلا لعــدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤). حقيقة أن أهــالى الرهــا ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها فى تلك الأزمة ، وذلك بقدر مــا اسعفتهم طاقاتهم ، فاستبسلوا رجــالا ونســاء « سواء الأعيان المحترمون أو السوقة الذليلون (٢٥٥) » . هــذا الى جــانب الدور الكبير الذى قام به رجــال الدين عندئذ والذى سنتناوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيســة ورجــال الدين فى الفصــل الأخيــر .

---

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٥٠) Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen : p. 370.

(٢٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

(٢٥٢) William : Op. Cit., V .2, p. 142.

(٢٥٣) Runciman :Op.Cit.,V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٥) Nersès : Op. Cit., p 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880, Zoé: Op. Cit., p. 336.

اما عن موقف زنكى عندما راى صمود أهل الرهـا ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) ، فانه امر بتشـديد الحصـار بدرجـة اكبر على المدينـة . وعندئذ ظهرت براعـة رجاله الخراسـانيين والحلبين فبذلوا جهـدا كبيرا فى حفر الخنادق تحت سور المدينـة ووضعوا فيها العوارض الخشبية كي يشـعلوا فيها النيران فيسهل انهيـار السـور (٢٥٧) . ومرة اخرى طلب زنكى من المحـاصرين أن يستسلموا بعـد ان غـدت المدينـة على وشـك السقوط ولكنهم أصـروا على الرفض ، مؤملين وصول النجـدة اليهم ، بل انهم استهزأوا به وتحدوه (٢٥٨) . لذا أمر زنكى باشعال النـار فى الخشب الموجود فى الانفـاق تحت السـور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

---

(٢٥٦)
Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ،
Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142.
Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184
ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ـ ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,
Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول
حين انبعثت نيران سـادوم
من اعماق الأرض
ولم تمطر من السـماء
بل من أجواف الخنـادق
واذا بالسـور المحصن
ينهـار ويتـداعى
ويندك من اسسـه
لقـد فتح الاعـداء فيه ثغرة

وقـد سـارع أهالى الرهـا الى ذلك الصـدع الذى فتح فى السـور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامى الا ان اعتلى الأسوار التى خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالى حماية أنفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجـأوا الى قلعة المدينـة وجـدوا ابوابها معلقة فمات الكثيرون مخنوقين من شـدة الزحام وكان من بينهم الأسقف اللاتينى نفسـه (٢٦١) . وسنرجىء الكلام عما أصـاب اهالى الرهـا عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع فى الباب الاخير .

واخيرا سقطت الرهـا فى يد زنكى وقواته فى يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . السـادس والعشرين من جمادى الاخره ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعـد حصـار دام ثمانيـة وعشرين يوما (٢٦٤) . أما القلعة فقـد

---

(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، أبو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢٦١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269. William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p.370.

(٢٦٢) ؟
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Tournebize : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op. Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، الأصفهانى : تاريخ دولـة آل سـلجوق ، ص ١٨٦ . أمـا كل من ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ١١٢ - الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (أ) ، أبو الفضـايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٩ فيذكروا ان ذلك كان فى الخامس والعشرين من جمادى الاخره . وأما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ فيذكران أن ذلك كان فى ١٦ جمادى الآخرة . والراجح ان ذلك كان فى ٢٦ جمـادى الآخـرة .

(٢٦٤) ابن واصـل : مفرج الكـروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٧٠ ، الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حـــدث كل هذا دون ان يتقدم جيش صـــليبى واحـــد لنجدة الرهـــا . فانطاكية كما بينا من قبل لم تقـــدم اية معونـــة ولم يرســـل اميرهـــا اية نجـــدة بل انه سر لمـــا اصـــاب الرهـــا (٢٦٦) اما بيت المقـــدس فرغم ارســـال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرهـــا الا انها وصلت متاخرة جـــدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبرى أن ســـقوط الرهـــا كـــان مرجعـــه الآثام التى ارتكبها اهـــالى الرهـــا (٢٦٨) . والتى يرجعهـــا نيرسيس الى اختلاطهم بالفرنج (٢٦٩) . اى بالصـــليبيين الغربيين . واما البعض الآخر فيذكر ان السر فى ســـقوط الرهـــا يرجـــع الى تغيب

---

(٢٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104 Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401, Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلعة مانياكس (Maniacès) وان الذى ســـاعد على سقوطها هو نقص المـــاء بداخلها . .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

(٢٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud :Op. Cit. V. 2, p. 104.

(٢٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس الى ذلك بقوله :

لكن لم يصـــل احـــد

ممن كانوا ينتظرون

بل ان عباد الصـــليب

فى البلاد كلها

تخاذلوا وتقاعســـوا .

عن مديد المعونة الينـــا

(الابيات من ٨٠٧ الى ٨١٢) Nersès : Op. Cit., p. 252.

(٢٦٨) Nersès : Ibid . p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(٢٦٩) (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢) Nersès : Op. Cit., p. 245

منذ تلك الساعة التى بدات فيها

اصـــاهر اهل روما واقترب اليهم

حمايتها عنها (٢٧٠) . والحقيقة ان المجهودات الكبيرة من جانب زنكى وقواته الى جانب ظروف الامارة الداخلية والخارجية آنذاك تضافرت لتمكين الجيوش الاسلامية من النصر .

كانت المدينة قد تعرضت للسلب والنهب من جانب قوات زنكى فلما دخلها اعجبته ورأى ان تخريب مثلها لا يجوز « فنودى فى العساكر برد ما اخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شىء الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه المعسكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هدوئها مرة اخرى ، فترك زنكى بها بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كان ان توجه زنكى بعد ذلك الى سروج فاستولى عليها فى يناير ١١٤٥م بعد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسلين شرقى الفرات سوى البيرة التى توجه اليها زنكى وحاصرها (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجزء الشرقى من امارة الرها .

---

(٢٧٠) Michel : Op. Cit., p. 266.
ذكر ذلك احد رجال الدين بالرها وهو (Mar Jean :
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الاثير : الكامل ، ح ٩ ص ٨ ، ابو شامة : الروضتين ، ح ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ح ١ ص ٩٤ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ، النويرى : نهاية الأرب ، ح ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، ح ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : ح ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، ح ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، ح ١٦م ١ ص ١٤٢
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٨٠ ، Gibb : Op. Cit.,p . 268, Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثير : الكامل ، ح ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٧٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ١ ص ٩٤ ، روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٩هـ. Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جانب وضع حاميات هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصمد له مدة طويلة (٢٧٧) . ولكن عندما نفذت المؤن والذخائر وكادت المدينة تسقط فى يد زنكى وقواته جاءته الأخبار من الموصل بمقتل نائبه نصير الدين جقر فيها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعة الى الموصل « خوفا من أن يحدث بعده فى البلاد فتق يحتاج الى المسير اليها (٢٧٩) . » ولما غادر عماد الدين زنكى البيرة خاف الفرنج الموجودون بها من عودته اليهم فراسلوا حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) » .

---

(٢٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩، الباهر ص ٧٠ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .
Gibb : Op. Cit., p. 268.

(٢٧٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٩٤ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.
عن (Rey : Colonies franques).

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل فى ٨ ذى القعدة ٥٣٩هـ/٢ مايو ١١٤٥م)
Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,
وهنا يذكر ميخائيل أن زنكى اصطلح مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثير : الباهر ص ٧٠ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٦ ، ابو الفدا : المختصر : حـ ٣ ص ١٧ . بن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دممت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرها وارتقة ماردين ، لتشابه مصالح الطرفين فى مواجهة اهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثانى من بقايا امارته سوى تل باشر وسميساط ومرعش ودلوك وعينتاب وتورس وعزاز والراوندان (٢٨٢) . ومن الواضح انه بسقوط الرها سقطت أول لبنة فى البناء الصليبى بالشرق واذا كانت امارة الرها اول امارة اسسها الصليبيون فى الشرق ، فان الظروف شاءت أن تكون أول اماره صليبية تنهار أمام ضربات المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرها ١١٤٤م :

١ ـ رد الفعل من جانب المسلمين :

كان فتح الرها من اهم الاعمال التى جلبت السرور الى نفوس المسلمين . فقد حمل اليهم املا جديدا (٢٨٤) . فى اسقاط مقية الصرح الصليبى فى الشرق . وازال عنهم كربا شديدا (٢٨٥) . وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بانه « طار فى الآفاق ذكره وطاب بها نشره (٢٨٦) . كذلك عبر الشاعر الأرمنى (نيرسيس شنورهالى) (٢٨٧) . فى قصيدته عن رثاء الرها عن

---

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٩ ، حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير انه مما قلل من اهمية تلك المخالفات أيها كنت شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ٢ ص ٦٠٨ Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

(٢٨٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p.p. 208 - 209.

(٢٨٤) Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٨٧) Nersès : Op. Cit., p. 264.

فقد ذكر أن الائمة المسلمين صعدوا الى المآذن هاتفين :
« يا رسول الله محمد
لقد استرددنا ما كنا قد فقدناه :
ديارك ودارك

فرحـــة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم فى اجزاء كثيرة من تلك القصـــيدة .

ومن ناحيـــة اخرى فقـــد رفـــع ذلك الفتـــح من مكانتـــه زنكى لدى المسلمين ، فمجـــده الشـــعراء وخلع عليه الخليفة العباس المقتفى لأمر الله العباس ، وزاد فى القابـــه ، زين الاســـلام الملك المنصـــور ، نصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اتاح سقوط امـــارة الرهـــا الصليبية تامين طريق المواصلات الاسلاميه بين الموصـــل وحلب ورفـــع الحاجز الصـــليبى الذى كان قائما بين اتراك ايران واتراك الاناضول (٢٨٩) .

٢ — رد الفعل من جـــانب بقية الامارات الصـــليبية فى الشرق :

حمل استيلاء المســـلمين على الرهـــا الحزن الشـــديد والكآبة بين

=من تلك الأمة الضـــالة .
العابدة لحجـــارة صمـاء .
لقـــد روينا الأرض من دمائهم
وفقا لتعليمات قرآنك
اليك نزف البشرى
يامكة العظيمة ، موطن محمد
ياقبلة الأمانى بكعبتها السوداء .
والقدم المرسومة على صفحتها
اننا سنرد اليوم اليك
جميع اولئك المشارقة
عباد الصـــليب الضـــالين
وخدام يســـوع المســـيح » .

هـــذا الى جـــانب خطـــاب زنكى نفســـه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغـــداد والذى سيأتى فى الملاحق .(Nersès : Ibid., p. 267)

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريـــخ الـــدول والملوك ، حـ ٤ ص ٦٠ (ب) ،
Cahen : Op. Cit., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud : Op. Cit., V. 2, p.p. 110 - 113 - 114.

(٢٨٩) Cahen Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238.

الصـــليبيين جميعا فى الشرق (٢٩٠) ؛ اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصـليبية ، التى لم تستطع أن تقـدم اية مســاعدة ايجابية للرهــا وقت محنتها (٢٩١) . حتى جيش القــدس الذى كان قــد ارســل نجــدة للرهــا ، والذى انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامــارات ، لم يستطع الوصــول الى الرهـــا . ففى رمضـــان ٥٣٩هـ مارس ١١٤٥م علم زنكى باجتماع هــذا الجيش فى تل عدى Tell'Ada شمـال انطاكية ـ فارسل اليهم جيشـــا كبيرا من التركمـــان أعمل فيهم الأسر والقتل وشتت جموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

وعندما لم تجـد تلك الوسيلة لانقاذ امــارة الرهــا بدات انظــار صليبى الشرق تتجه الى الغرب المسيحى من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ ــ رد الفعل من جــانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرهــا على بقية الامارات الصليبية فى الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المســيحية الشرقية خاصــة الأرمن الذين اعتبروا الاستيلاء على الرهــا ضياعا لجــزء هــام من كيــانهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قــدوم الصــليبيين ، فضــلا عن انهــا كــانت مقــرا لجوســلين الثــانى وهو صديق حقيقى لهم (٢٩٤) .

وقــد ظهر ذلك الحزن فى عــدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

---

(٢٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٩١) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69.

(٢٩٢) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269,
ابن القــلانسى : الـذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشى : نور الــدين والصــليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبى : تاريخ الاســلام) وهنــا يشــير ميخــائيل الســريانى أن سبب تفرق الجيوش الصــليبية هو خوفهم من المجاعة بعــد قطــع المســلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر ان الانطاكيين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكى التركمانية ، وربما دفعــه الى ذلك الخطأ ان مكان التجمع كان فى منطقة قرب انطاكية
(Cahen · Op. Cit., p.p. 370 — 371).

(٢٩٣) Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: l'Eglise, p. 104.

(٢٩٤) Iorga : L'Arménie, p. 96.

التى توجهت الى روما فى نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت فى نفس الوقت صلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) . كان يصاحب تلك البعثة (هيو) أسقف جبلة ، احد اساقفة امارة انطاكية البارزين ، والذى توجه الى الغرب وأثار فكرة حرب صليبية جديدة (٢٩٦) . ومن هذا يبدو انه اذا كان أمير انطاكية لم يسرع لنجدة الرها ، فان هذا لم يمنع رجال الدين فى امارته من القيام بدور ايجابى تجاه الرها .

ومن بين تلك المظاهر ايضا المراثى الشعرية والنثرية التى كتبها بعض رجال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسقوط الرها والتى من اهمها قصيدة الرثاء التى كتبها نيرسيس شنورهالى (٢٩٧) . هذا الى جانب المقالتين التى رثى بهما الرها (ديونيسيوس) — الذى كان لايزال شماسا فى ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التى كتبها باسيليوس Basilius مطران الرها اليعقوبى (٢٩٨) .

وقد يتضح موقف الأرمن اكثر تجاه تلك الحركة التى قام بها زنكى اذا عرفنا ان بعض المصادر المعاصرة ذكرت أن جماعة من الأرمن بالرها

---

(٢٩٥) Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٦) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : L'Eglise, p. 104, يؤكد هذا ما ذكره اسحاق عبيد : روما وبيزنطة من ١٨٢ عن (Otto of Freising « ان اسقف جبله وصل الى روما وعيناه قد اغرورقت بالدموع يحذر سامعيه من الخطر المحدق بالكنيسة فيما وراء البحار نتيجة لسقوط الرها ، ومبديا رغبته فى عبور جبال الالب ليستعطف ملكى الألمان والفرنسيين لاستنقاذها » .

(٢٩٧) Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

ففى الأبيات ٤٨٥ — ٤٨٨ ، ٥٢٣ — ٥٣٥ يقول

كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتلى مركبته
او ملكة رائعة الجمال
ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ماأسبغ على من نعمة
زال واندثر

(٢٩٨) Michel : Op. Cit, p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. - p. 270

انتهزوا فرصة قلة الحامية الزنكية بالمدينة وارادوا الأيقاع بها . لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فأتى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب والطرد (٢٩٩) .

٤ — رد الفعل من جانب البابوية والغرب المسيحى :

اثار استنجاد مسيحى الشرق بالبابوية ١١٤٥م فكرة الشروع فى اعداد حملة صليبية ثانية تتوجه لانقاذ الأراضى المقدسة فى الشرق (٣٠٠) . وقد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنسا لويس السابع ، الذى أعلن فى يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبته فى انقاذ الامارات المسيحية فى الشرق وبعد ان اصبحت فى حال يرثى له بعد سقوط الرها (٣٠١) . وارسل الملك بالفعل بعثة الى البابا ايوجين الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقت الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء الى فرنسا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسى وشعبه على تنفيذ ذلك ، واعدا اياهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفى نفس الوقت عين البابا مندوبا عنه فى تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard (٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على أن الأجل لم يمهل زنكى حتى يستكمل فتح بقية امارة الرها ،

---

(٢٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٦٠ (ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصدر والمرجع الأخيرين اتصال جوسلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114, Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit., p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804. Augustin Fliche : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنا يذكر (هيفل) أن رغبة ملك فرنسا هذه نبعت من رغبته فى اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتى كانت قد ساءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804. من (Labbe : Concilia)

فلم يمر سوى سنة وتسعة أشهر تقريبا على سقوط الرهـا حتى قتل فى اوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصـف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك أثناء حصـاره لقلعه جعبر التى كانت بيد مالك بن سـالم بن مالك بن بدر العقيلى (٣٠٤) . وكان زنكى قـد أرسـل فى ذلك الوقت ايضـا جيشـا للاستيلاء على قلعة فنك من صـاحبها الأمير حسام الدين الكردى البشنوى (٣٠٥) . ويبدو ان زنكى كان لا يود ترك ايـة قلعة وسـط بلاده فى يد قوة لا يطمئن اليها ؛ مبالغة منه فى الحزم والاحتياط (٣٠٦) . لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

---

(٣٠٣) Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.
يذكر ان ذلك كـان فى ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . امـا جروسية ورنسيمان فيذكران ان ذلك كـان فى ١٤ سبتمبر .
Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.
اما المصادر العربية فبعضها يذكر انه توفى فى الخامس من ربيع الآخر ٥٤١هـ واهمها ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ والبعض الآخر يذكر ان ذلك كان فى سـادس ربيع الآخر واهمها ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، ابن العـديم : زبـدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ . فى حين انفرد سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ . بالقول أن ذلك كان فى يوم الثلاثاء سـابع عشر ربيع الآخر . والراجح ان هـذا الراى الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الأنسـاب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٠٥) ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن عمر وهو للاكراد البشنوية وكـان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الأثير : الباهر ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٧٣ ، ابن واصـل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٧ .

(٣٠٧) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٧٤ ، ابن العـديم : زبـدة الحلب، حـ ٢ ص ٢٨٢ ؛ ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩، سـبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقـد ذكر ابن العـديم أن سبب قتله انه هـدد احد خدمه المسمى (يرنقش) فى النهار فلما كان الليل قتله وذكر ايضـا أن زنكى بعـد أن نام نبنه فرأى يرنقش يشرب هو وجماعة من غلمانـه فضـل شرابه فتوعدهم فاجمعوا على قتله . اما ابو شـامة وسبط بن الجوزى فيذكران أن سبب ذلك أنه كان اذا نقم من كبير أرداه واقصـاه واستبقى ولده وخصـاه . ولذا فبعد أن خصى جماعة من الغلمان ذبحوه وهو نائم .

خسر الاســـلام بمقتله شخصيه من اهم الشخصيات التى تزعمت حركـــة الجهـــاد الاســـلامى ضـــد الصـــليبيين فى الشرق فى النصف الأول من القرن الثـــانى عشـــر للميلاد ، حتى قيل ان المســـلمين قتلوا جميعـــا بقتله (٣٠٨) . وبهذا أحـــدثت وفاته فرحـــة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعـــد وفاة زنكى انقسمت ممتلكاتـــه الى قسمين . الشرقى ومقره الموصـــل تولى الحكم فيـــه ابنـــه الأكبر سيف الدين غازى بمســـاعدة جمال الدين محمد الأصفهانى ، والقسم الغربى ومقره حلب وقـــد آل الى نور الدين محمود بمســـاعدة صـــلاح الدين الياغيســـيانى (٣١٠) . وتمكن ابناء زنكى من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضـــد الفرنج بعـــد ابيه ، بل صـــار اكثر منـــه شـــدة فى التصـــدى لهم ، مما جعل فرحـــة الفرنج بوفاة زنكى لاتدوم طويلا .

ضياع الرهـــا واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

لم تكد أخبار وفاة زنكى تصـــل الى الفرنج حتى تجـــدد لديهم الأمل فى استعادة الرهـــا من المسلمين . كان جوســـلين الثـــانى لايزال مقيما فى تل باشر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرهـــا ليسترجعها بعـــد ان تأكـــد من معاضـــدة مسيحى الرهـــا — خاصـــة الأرمن — له فى تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصـــادر العربيـــة قـــد اكدت ان جوســـلين هو الـــذى راســـل اهل الرهـــا واخـــذ موافقتهم

---

(٣٠٨) ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ — ١٤ ، البـــاهر ص ٨٤ — ٨٦ ، ابن العـــديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٨٥ ، أبو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف أبو شـــامة أن زنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له ايضـــا ولدين وبنتان والولدين هما قطب الدين مودود وهو ابو الملوك بالموصـــل ونصرة الدين أمير اميران .

(٣١١) ابن القلانسى : الـــذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، البـــاهر ص ٨٦ ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١٠ ؛ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهايـــه الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

على مســاعدته فى القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصــورى ذكر أن أهــالى الرهــا كان لهم التأثير الكبير فى دفعه الى ذلك . ذلك انه اوضــح أن زنكى كــان قــد ترك بالرهــا حاميــة قليلــة العــدد ، وكان الســكان الموجودون بالمدينة انذاك شــديدى الأخلاص للمسيحيه . لذا ارســلوا سرا الى جوســلين الثــانى واخبروه انه باستثناء الاتراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الأهــالى ، والحوا عليه بشــدة أن يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الاهالى فى الحــال (٣١٢) .

والراجح أن رغبة جوســلين الثــانى الجامحة فى استعادة امارتــه تضــافرت مــع التقرير المشجع الذى وصــله عن الرهــا وطبيعة الدفاع منها فى ذلك الوقت .

وكــان أن تقــدم جوســلين الى الرهــا مصحوبا بما تبقى لــه من فرســان فضــلا عن بعض المشــاة ، كما رافقــه بلدوين امير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرهــا فى ٢٧ أكتوبر ١١٤٦م — جمادى الآخره ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجاة اثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تســلق المشــاة لأسوارها بمســاعدة ســكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من ابراج المدينــة ، ولم يلبث أن فتــح هؤلاء المتسللون الأبواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلدوين (٣١٦)

---

(٣١٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٣) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois. p. 200, عن (Michel), p. 884 من (L'Anonyme)

(٣١٤) Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p.884 (L'Anonyme) عن ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٢٨
وهنــا اخطــأ كل من الكــاهن جريجوار وابن العبرى فى القول بــأن تلك الحركة كانت ١١٤٧م
(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit . V. 1, p. 273.)

(٣١٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160.

(٣١٦) Michel :Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينـة اعمل جوسـلين ومن معه السيف فى المدينـة بتهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسـلمين وهرب البـاقون (٣١٨) ، الى القلعة واحتموا بها (٣١٩) .

عندئـذ ارسـل الأتراك الموجودون بالرهـا رسـلا الى حـلب والموصـل (٣٢٠) كما ارسـل جوسـلين رسـلا تخبر المسيحيين فى كل مكان بعودته الى الرهـا ونطلب فى نفس الوقت التعزيزات . فكان لتلك الأخبار اثرهـا الكبير السـار بين المسـيحيين . وكان سرورهم فى تلك المـرة لايقـل عن حزنهم العميـق الـذى احسـوا بـه عنـد فقـد الرهـا ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شـاء حسن حظ المسلمين ان اهـالى الرهـا كانوا لا يملكون الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالأضافة الى أن جوسـلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم اى مهندسين ولا آلات للحصـار (٣٢٣) ، ثم أنهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب فى ارجـاء المدينـة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية فى الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ، التى كـانت محصنة بعنايـة ومجهزة تجهيزا جيـدا بالمؤن والأسـلحة والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجع كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو أن بقيـة الامـارات الصـليبية سـارعت ودعمت فرحتها وقتذاك بتقديم المساعدة الجدية للرهـا . لكن شيئا من هـذا لم يحـدث ولم يصـل للرهـا أية

---

(٣١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ؛ العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ .

(٣١٩) Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(٣٢٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣٢٢) Zoé Op. Cit., p. 339.

(٣٢٣) William : Op Cit., V. 2, p .158, Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 111.

(٣٢٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 ؛ (L'Anonyme)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

تعزيزات (٣٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرة جوسلين على المدينة الا ان « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٣٢٧) » .

وبمجرد معرفة نور الدين محمود بن زنكى أمير حلب بتلك الاخبار ، تقدم مسرعا الى الرها لاستعادتها (٣٢٨) . على راس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٣٢٩) . جدوا فى السير حتى « وقعت الدواب فى الطرقات من شدة السير (٣٣٠) » . وعندما وصلت القوات النورية الى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ اصبح جوسلين والحفنة القليلة من رجاله الفرنج الى جانب اهالى الرها محصورين بين نارين (٣٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والاتراك الذين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف فى الخارج ورعب فى الداخل (٣٣٢) . فماذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

الحقيقة أن غالبية المصادر العربية تشير الى أنه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين عائدا الى بلاده (٣٣٣) » . أي أنه لم يحدث صدام بين الجانبين . أما ابن القلانسى وهو المصدر

---

(٣٢٦) Michel : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابو شامة : الروضتين ،
فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

(٣٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273

(٣٣٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٢٥ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٦٠ .

(٣٣١) William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

(٣٣٢) William : Op. Cit. V. 2, p. 159.

(٣٣٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ، ص ٨٦ ،
=

العربى المعاصر فيذكر انه عندما قدم نور الدين وشدد حصاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى احد ابراج المدينة « ومعه عشرين الف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسلين مع أصحابه (٣٣٤) . هذا فى حين ذكر وليم الصورى ان المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينة مع المخاطرة بالموت اذ كان من الأفضل أن يواجهوا العدو ويشقوا لأنفسهم بالقوة طريقا للنجاة بدلا من ان يصروا على حصار يفنى فيه الجميع اما بالسيف او بالمجاعة ، او يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار فى الثانى او الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل اقامة الفرنج فى الرها فى تلك المرة حوالى خمسة أيام او ستة (٣٣٧) .

والواقع أن جوسلين كان لايزال موجودا بالرها عند قدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضييق نور الدين وقواته على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينة خلسة . كذلك قرر اهالى الرها مغادرة المدينة سواء عن رضى أو عن غير رضى لأنهم كانوا متأكدين مما سيحل بهم من تنكيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينة (٣٣٨) ، بعد أن تنكروا لعهودهم . ولن نتناول هنا بالتفصيل وضع اهل الرها منذئذ لأننا سنفصل الحديث عن الأهالى فى الباب القادم .

ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٦م ١ ص ١٦٠ . يبدو أن العدد المذكور فيه شيء من المبالغة .

(٣٣٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 159.

(٣٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 من (L'Anonyme) يذكر ان ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف فى كتاب آخر أن ذلك كان فى ٣ نوفمبر . (Grousset : L'Empire, p. 224).

(٣٣٧) يذكر الكاهن جريجوار أن اقامة الفرنج بالرها كان خمسة أيام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160).
أما ابن العبرى فيقول ان ذلك كان ستة أيام .
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273).

(٣٣٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884, عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرسانه تفضلا عن أهالى الرها يغادرون المدينة اثناء الليل حتى تتبعتهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش فى ذلك الوقت (٣٤٠) . فى حين فر جوسلين الى سميساط (٣٤١) . بعد أن جرح فى رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبها وسبى أهلها ففر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازى أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

---

(٣٣٩) Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها فى الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد ان كون طابور من الهاربين وضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمى المؤخرة

Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885. عن (L'Anonyme)

(٣٤٠) Grégoire : Op. Cit., p. 160.

Michel : Op. Cit., p. 271.

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist .des Crois., V. 2, p. 885

عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار انه قتل رغم اقدامه البطولى ويفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسهبة

(٣٤١) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٤٢) Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ـ ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩١ . وهنا يصور ميخائيل السريانى خراب الرها فى هذه المرة قائلا : أصبحت الرها خالية مسربلة بالسواد غارقة بالدماء ، عفنة من جثث ابنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة الأخرى ، لتقتات أثناء الليل باجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم يدخل المدينة احد من الناس الا من كانوا ينبشون لاكتشاف ثرواتها . (Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بمن قاموا بالحركة الأخيرة فيها واستعبادهـــا للمرة الثـــانيه تركها سيف الدين له ولم يعارضـــه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات اسباب هزيمة الفرنج فى الرهـــا فى تلك المرة (٣٤٥) - فان ذلك لا يقلل من شـــان ذلك الفتح الثـــانى للمدينة ، وهو الفتح الذى يعتبر نهائيا فضـــلا عن انـــه يشير الى حركة استرداد اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لسقوط الرهـــا ١١٤٦م – ٥٤١هـ :

كان استيلاء المســـلمين على الرهـــا للمرة الثانيـــة ١١٤٦م اكثر ايلاما بالنسبة للمســـيحيين من فتحها الأول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تاكد بهـــذا الفتح استيلاء المسلمين عليها فضـــلا عما حل باهلها جميعا تلك المرة من تنكيل شـــديد بعكس المرة الســـابقة التى كانت اخف وطاة .

ومع ذلك فان بقيـــة الامارات الصـــليبية لم تحاول تقديم اية نجـــدة سريعة للرهـــا ، حتى أنطاكية الشـــديدة القرب جـــدا من امارة الرهـــا رفض اميرهـــا تقديم اية مســـاعدة ، وسلك مسلكا انانيا مـــع ما فى ذلك من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين امارة انطاكية من ارتاح وبذلك كشف الجـــانب الشمالى الشرقى لتلك الامارة وهو الجـــانب الذى اصبح معرضـــا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

---

(٣٤٤) ابن الاثيـــر : الكـــامل ، جـ ٩ ص ١٤ ، البـــاهر ، ص ٨٧ ، ابن واصـــل : مفـــرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، ســـبط بن الجـــوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٤٥) يذكر اولدنبرج أن سبب كارثة الرهـــا فى هـــذه المرة هو تهور جوســـلين ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جـــانب تهاون واهمال رؤســـاء الامارات الصـــليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل فيـــذكر عن ديونيسيوس الآمـــدى ان ذلك بسبب آثام اهـــالى الرهـــا (Michel : p. 273)
ويشـــارك ميخائيل فى رايه هـــذا وليم الصورى
(William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

(٣٤٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208.

(٣٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 208.

(٣٤٨) Grousset : L'Empire, p. 225.

وبرز حزن المعسكر المسيحى على فقدان الرها تلك المرة من خلال بعض قصائد الرثاء التى من أهمها تلك المرثية التى كتبها ديونيسيوس الآمدى والتى يرجع فيها هزيمة المسيحيين فى ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشادات السيد المسيح ولم يطيعوه ، وانهم هم سبب ما يصيبهم من خير أو شر ، وان الرب يساعدهم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٣٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السريانى الرها وأهلها الذين نكل بهم نور الدين واخذ عنه ذلك الرثاء ابن العبرى فى تاريخه (٣٥٠) . لكن اذا كان مسيحيو الشرق قد اكتفوا برثاء الرها ، فان اخبار سقوطها فى تلك المرة كان له أعمق الأثر فى الغرب ، وخاصة فى المانيا وفرنسا حيث ارتفع صوت ينادى بحملة صليبية (٣٥١) ، بطريقة اكثر جدية واكثر سرعة .

وقد راينا انه منذ ١١٤٥م كان قد بدأ الاعداد بالفعل لحملة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الأماكن المقدسة ، فلما وصلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صحب ذلك من قتل وطرد المسيحيين، بدأ الملك لويس السابع يتبادل بعض الرسائل مع الأمراء الذين تقع بلادهم على الطريق الذى ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالاضافة الى جهود القديس برنارد فى الهاب حماس بقية الغرب للدفاع من تلك القضية المقدسة (٣٥٢) .

---

(٣٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extortation qu'écrivit Dionysius d'Amide).

ستاتى مع الملاحق .

(٣٥٠) Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p. 273.

ستاتى مع الملاحق فهو يقول مثلا :

ياللحسرة على سحابة الغيظ ، يوم بغير شفقة !

ياليل الموت ونهار الجحيم ، يوم التخريب ! الذى اندفع على الأهالى البؤساء ! » .

(٣٥١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

(٣٥٢) Vacandard . (Vie de Saint Bernard). Charles-Hefele : Op. Cit., p. 809.

اما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرها فى المرتين فيمكننا ان نستشفه من خلال الخطابين اللذين ارسلهما الامبراطور مانويل كومنين الى البابا ايوجين الثالث اغسطس ١١٤٦م ، مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

ويفهم من الخطاب الأول ان البابا كان قد ارسل الى الامبراطور البيزنطى مع رسل ملك فرنسا لويس السابع خطابا يحثه فيه على المشاركة فى تقديم المساعدة لحملة صليبية تثأر لسقوط الرها ، عقب سقوطها اول مرة . ثم ارسل اليه معاتبا على عدم رده عليه . والراجح ان خطاب البابا الأول لم يصل للامبراطور ووصله الثانى فقط لذا ففى الخطاب الأول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجده يشكو للبابا من انه لم تصله منه ايه رسائل وانه كان مستعدا لتقديم المساعدة الممكنة . بشرط ان يقدم الصليبيون له ولاءهم كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جديدة ولا برسالة ، لذا اسرع مانويل بالكتابة اليه مرة اخرى فى مارس ١١٤٧م اى بعد سقوط الرها المرة الثانية ، وكان هذا هو خطابه الثانى الذى ابدى فيه مانويل تعجبه من عدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه اى اقتراح يروق له حتى ولو كان الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم نظهر ايه اشارة عن هذين الخطابين فى المصادر التى ارخت للحروب الصليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشالندون . كانت النسخة الأولى للخطابين مكوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية . ثم ضاعت الترجمه اللاتينيه . نشرت نسخة للخطاتين بواسطة Amaduzzi الى جانب عدة نسخ مخطوطة منه ما نقله Brial فى جامع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich, Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)

(٣٥٤) اما عن محتويات الخطاب الأول فقد ذكرها المصدر السابق (p. 144).

(٣٥٥) V. Grumel : Ibid : p. 157 - 159.
هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كان الامبراطور ظن هنا أن سبب عدم رد البابا عليه هو الانفصال الدينى بين كنيستى روما وبيزنطة . لكن الحقيقة ان سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقـع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض فى ذلك الوقت معونتـه مشروطـة بالشرط التقليدى وهو خضوع الحملـة الصـليبية المزعومـة للامبراطور ؛ لانـه لم ينس ما حـدث من قبل من تنكر الصـليبيين لمـا كانوا قـد اتفقوا عليه مع جـده . وفى نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية فى الشرق بيد الصـليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة ان مسيحيى الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار فى نجـدة تاتيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قـدوم الحملة الصـليبية الثانية بقيادة الامبراطور الالمـانى كونراد Conrad والملك الفرنسى لويس السابع Louis VII ، كان جوسـلين الثانى يامل فى استعادة الرهـا كما كان ريموند امير طرابلس يرغب فى استرجاع بارين لذلك أرسـل هـذان الاميران الى الملك الفرنسى اثناء وجوده فى انطاكية بعض الخطابات محملة بالتوسـلات هذا الى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جبران الرهـا وبقايا الامارة حتى اسر جوسـلين الثانى :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها فى ١١٤٦م — ٥٤١هـ وبعض متعلقاتها ، فانه لم يهدأ بل كان يسعى دائبـا الى استخلاص بقايا تلك الامـارة من يد اميرها الذى اضعفته تلك الضربة الثانيـة لامارته . ففى ٥٤٣هـ — ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب الى احـد حصون جوسلين للاستيلاء عليـه ، وعندئذ لم يجـد جوسـلين بدا من مسالمة نور الدين والمثول بين يديه « واستعفى من هفواته فرضى عنه وخلع عليه (٣٥٧) » . وربما استخدم نور الدين اسـلوب المسـالمة منذئذ ليعـد لضربة اقوى فيما بعـد . لكن امـارة الرهـا لم تسـلم فى ذلك الوقت من تهديد فرع اسـلامى آخر ، ممثلا فى سـلاطين قونية او سـلاطين الروم فقد تقدم السـلطان مسعود الأول بن قلج ارسـلان (٥١٠ — ٥٥١هـ / ١١١٦ — ١١٥٦م) جنوبا الى شمال سوريا منتهزا فرصـة وفـاة أمير انطاكيـة

=

كـان يرغب فى الاعتمـاد على مسـاعدة الصـليبيين فى حمايـة اراضى الامبراطوريه اكثر من استعادة الاراضى التى اخـذت بواسطة الاتراك . وانه كان يامل فى الحصول — عن طريق ضربة واحدة — على ما حصل عليه جـده بعد ان بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل » .

(٣٥٦) Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ٤ مخطوط ص ٩١ (ب) .

ربموند ٥٤٤ ـ ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التى كانت بلا قوات تدافع عنها فى ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة أميرها بلدوين فى ١١٤٦م . ثم تقدم السلطان بعد ذلك الى تل باشر وحاصرها رغم أن جوسلين الثانى وزوجته واطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجد رايين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . احدهما يذكر ان الملك بلدوين الثالث ارسل نجدة الى جوسلين من انطاكية استطاعت أن تحمى عزاز التى كانت مهددة ايضا وقتئذ . ثم ساد السلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا الى بلاده بينما توجه الثانى الى انطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمصالحه (٣٦١) .

والراى الثانى يذكر أن جوسلين لم يبد اى اهتمام بجمع فرسانه، واكتفى بارسال القوات التى بقيت لديه مع الأمير باسيل اخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وامرهم بحمل المؤن والأمدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا ارسلان الارتقى باغتتهم واسرتهم جميعا ومن جملتهم الأمير باسيل ، وقادهم امام قلعة كركر التى كانت بها زوجة باسيل واطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان فى مقابل اطلاقهم للاسرى فى امان وتم اتفاق ودى بين الجانبين . وعندئذ تقدم جوسلين الى انطاكية لطلب نجدة لكنه اسر فى الطريق (٣٦٢) .

ومهما تختلف الآراء فان امارة الرها خسرت جزءا آخر من اراضيها هو مرعش انتقل الى سلاطين الروم فضلا عن ان تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بايدى الفرنج لفترة قصيرة بعد ذلك كما سنرى .

---

(٣٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ ان امير انطاكية توفى ٥٤٤هـ اثناء حصار نور الدين لحصن انب (وهو حصن من اعمال عزاز من نواحى حلب) .

(٣٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit , p. 163.
ولكنه يذكر ان ذلك كان ٥٤٣هـ — ١١٤٩م والراجح انها ٥٤٤هـ لانه قام بحملته هذه بعد وفاة امير انطاكية
William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
والراجح ان حصار مسعود لتل باشر كان فى ٥٤٥هـ استنادا الى راى بن السماد الاصفهانى : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٠٦ .

(٣٦١) William : Ibid., V. 2, p. 200.

(٣٦٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164.

أسر جوسلين الثانى :

اختلفت المصادر العربية فى السنة التى أسر فيها جوسلين كما اختلفت أيضا فى الطريقة التى أسر بها فمن ناحية تاريخ أسره ، نجد فريقا يذكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩م) . والراجح أن ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠م) استنادا لرأى ابن القلانسى (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فأسروه لأنه كان « شديد العداوة للملة الاسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفى بعهد (٣٦٧) » . هذا بالاضافة الى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين وأسر عددا كبيرا منهم من جملتهم « سلاح دار » نور الدين ، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله الى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلج ارسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع انه سيأتيه

---

(٣٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٥ ، ص ٣٢ (أ) ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ النويرى : نهاية الأرب ، ٢٥ حـ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٣٦٥) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١٢١ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ، ص ٥٥٤ .

(٣٦٦) (William : Op. Cit., V. 2, p. 201).
يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٣٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفدا : المختصر حـ ٣ ص ٢٣ .

بعد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك صمم على الانتقام من جوسلين فاحضر جماعة من التركمان « وبذل لهم الرغائب » ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا أو أسيرا (٣٦٩) .

وفى احد الايام خرج جوسلين فى بعض رفاقه أما للصيد (٣٧٠) أو لطلب النجدة من انطاكية ضد السلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضا انه قصد انطاكية « مقويا » لاهلها من الفرنج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فأسروه .

هنا تختلف الروايات عن اسره (٣٧٣) لكنها تتفق فى انه بعد اسره سيق فى اغلاله الى حلب فقضى فى السجن سنواته الاخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقد فرح المسلمون كثيرا باسره وحزن المسيحيون حزنا شديدا لذلك (٣٧٥) .

---

(٣٦٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .

(٣٧٠) ابن الاثير : المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، احداث ٥٤٦هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، أبو الفدا ، حـ ٣ ص ٢٣ .

(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.

(٣٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (أ) .

(٣٧٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٥٥ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٣٧٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164, William : Ibid., V. 2, p. 201, Bar Hebraeus · V. 1, pp. 276 - 277.

(٣٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣

William : Ibid., V. 2, p. 201, Gibb : Op. Cit., p. 300.

اندثار امارة الرها بعد اسر جوسلين :

وبعد اسر جوسلين وضع الفرنج الموجدون فى تل باشر ابنه الذى كان لايزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين ايضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر اميرها القوى واصبحت هدفا للمسلمين اكثر من ذى قبل .

ذلك انه حدث بعد اسر جوسلين مباشرة ان تقدم نور الدين بقواته الى عزاز فحاصرها واستولى عليها فى ربيع الأول ٥٤٥هـ ١١٥٠م بالأمان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد ان رتب بها من ينظم امورها رحل عنها الى حلب (٣٧٧) .

ولما رات زوجة جوسلين ان المسلمين سينتزعون بقية الامارة قطعة بعد اخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت فى نفس ١١٥٠م عن قلعة الروم الى جريجوار الثالث الكاثوليكوس ١١١٣م — ١١٦٦م ، فاصبحت تلك القلعة مقرا لأتباعه حتى ١٢٩٣م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك فى مصر (٣٧٨) .

---

(٣٧٦) — Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277.
لذلك اصبحت امة بياتريس وصية عليه واصبحت المتصرفة الحقيقية فى شئون بقية الامارة .

(٣٧٧) ابن القلانسى : الـذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ٢٢٨ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ١٨ (أ) تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٤٥هـ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300 - 301. (وقد انفرد ابن الفرات بالقول بان ذلك كان ٥٤٤هـ ولكن الراجح أن التاريخ غير صحيح) .

(٣٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.
هنا يشير مصدر آخر الى أن التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧م ولكن هذا التاريخ خطأ لأنه قبل أسر جوسلين نفسه .
A .Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الامبراطور البيزنطى مانويل الأول بأن حالة الرهـا تبعث على اليأس ارسـل ١١٥٠م ــ ٥٤٥هـ الى زوجـة جوسلين بعض الرسـل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين فى مقابل دخـل سنوى لهـا ولاولادهـا عندئذ وافقت الأميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعـد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقـدس الذى فضـل هو ورجال مملكته ان تنتقل تلك المناطق الى حوزة البيزنطيين عن ان تسقط فى قبضـة المسـلمين (٣٨٠) . وهكذا تسـلم البيزنطيون بقايا امارة الرهـا . اما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسلين واولاده فقـد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه الى بيت المقـدس بعـد مصـاعب جمة لحقت بهم فى الطريق (٣٨١) .

على أن انتقال بقايا امارة الرهـا الى ايدى البيزنطيين شجع نور الدين بصورة اكبر على المضى فى طريقه لاستخلاص كافـة ارجـاء تلك الامـارة المحطمـة ووضعها تحت سـلطة المسـلمين . هـذا الى ان البيزنطيين الذين عهـد اليهم مهمة حمايـة ذلك الحطـام الرهوى كانوا غير راغبين فىالحرب ، مما جعل نور الدين يشـدد هجماته عليهم حتى اضطرهم الى

---

(٣٧٩) William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 355.

هنا يذكر شالندون أن امارة الرهـا اختفت تماما فى ١١٥٢م بعـد أن تخلى عنها لامبراطور بيزنطـة . ولكن الراجـح أن ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصورى وانه فى ١١٥٢م كانت الغالبية العظمى من اراضى الامارة قد استعادها نور الدين كما سنرى .

(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.

اما آرشية فيذكر ان زوجـة جوسلين لجـأت الى انطاكيـة فى حبن يشبر (اورجا) الى انها توجهت الى مرعش . لكن الرايين خاطئين .

Archer : Op. Cit., p. 206,

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانســحاب عن تلك الأراضى التى ضحوا من اجلهــا منــذ قليل بالأموال الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ — ١١٥١م استولى نور الدين بالأمان على تل باشر وعهد بشــئونها الى الأميـر حســان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ — ١١٥٢م حــاول الفرنج الوقوف فى وجــه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه وهو فى دلوك — احــدى المدن التى كانت تابعة لجوســلين الثــانى — فدار بين الجانبين قتال شــديد قتل واسر فيه كثير من الجــانبين ولكن الغلبة فى النهاية كانت لقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيرا استكمل نور الدين بعــد ذلك الاستيلاء على بقيــة حطــام امارة الرهــا (٣٨٥) . فاســتولى على عين تاب وتل خــالد وقورس والراوندان وبرج الرصــاص وحصن البارة وحصن بسرفوت بجبل بنى عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

---

(٣٨٢) William : Op. Cit , V. 2, p. 212, Zoé : Op. Cit., p. 355.

(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العــديم : بغيــة الطلب ، مخطوط ، ص ٣٦٨ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هنــاك بعض المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل باشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط. رقم ٩٦٦ تاريــخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) فى حين ذكر الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ — ٥٥٠هـ) .

(٣٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٥٠ (أ) ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٥٦ أما ابن شــداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ فى القول بان ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329, ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ .

(٣٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ — ١٠٣ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، ابو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، روض المناظر ، مخطوط أحــداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضـــع فيــه حاميات وذخائر تكفيه لمـــدة عشر سنوات « خوفا من نصرة تتجــدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجـــة الى شيء (٣٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على امارة الرهـــا الصـــليبية واثبت للفرنج انه اشـــد اصرارا من ابيه على الجهاد . وبقضـــائه على تلك الامارة سقط الدرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصـــليبية فى الشرق وبـــدات حركة افاقة اســـلامية كبرى .

---

(٣٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، ابو شـــامة : الروضتين ، ح ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، ح ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

اوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

(أ) طبقات المجتمع فى الامارة .

(ب) الحياة الاقتصادية .

(جـ) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان امارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين فى المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، الى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين فى مدينة سروج بالذات (١) .

اما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) . والراجح أن زيادة عددهم بها يرجع الى الغزو السلجوقى لأرمينيا فى القرن الحادى عشر الميلادى اذ لجأ اليها الكثير منهم فى ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

---

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,

سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٣٧

هنا يذكر وليم الصورى أن سروج كانت ممتلأه بالمسلمين الى درجة الفيضان .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٠٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٦ ورقة ٧٧ ،

Lammens · La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire, p. 295.

(٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p 241, Encyclopaedia Britannica V. 7, p 954.

كان مسيحيو الرهـا يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وهى أمصح اللهجـات الآرامية السـامية (٤) .

ويقيام امارة الرهـا الصليبية انضم الى العناصر السكانية السـابقة عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق أن بينا كيف بدأوا باعداد قليلة كانت قـد صحبت بلدوين دى بوايون عند دخولـه الرهـا (٥) ؛ ثم ازدادت أعـدادهم فيما بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا قـد سئموا من حصـارهم لأنطاكية آنذاك ففضلوا الاتجـاه الى الرهـا والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان فقيرا منهم يعيش فى رخاء وسعة ومن كان لايملك قرية أصبح سيدا لاحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عـدد الفرنج فى امارة الرها كان أصغر من عددهم

---

(٤) اغناطيوس افرام الثـانى : مقالة فى سـورية ، ص ٢٠ — ٢٣ . وهو يذكر أن من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهى تشمل لهجـات شتى الفينيقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والمندية والنبطية . وقد كشفت كتابات شتى بالسريانية الرهاويـة بعد أن نشرهـا المستشرق بونبون فى جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques) ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية ماذكره (بوركيت) من أن سـكان الرهـا كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة لتلك المتكلم بها فى فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op. Cit., p. 62.

(٦) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud: Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208, Jean Richard · Op. Cit., p. 27, Zoé : Op. Cit., p. 141.

وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرهـا مع عـدد كبير من الفرسان والمشاه الأقل مرتبة
"Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Gastus de Bederz" (Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

(٧) Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

فى أية امارة صليبية أخرى (٨) ، الا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية فى الرهـا حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لامارة الرهـا الصليبية خلال فترة قيامها التى امتدت حوالى نصف قرن تقريبا : انها كانت امارة فرنجية ارمينية (١٠) ، وانها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقـد دعمت الصبغة الارمينية الفرنجية فى امارة الرهـا عن طريق الزيجـات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بدأها بلدوين البولونى ثم سـار على نفس المنـوال كل من بلـدوين دى بـورج وجوسـلين دى كورتنـاى (١٢) .

والواقع ان غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قـد اصطحبوا معهم عائلاتهم الى الارض المقدسـة . واذا مـات الأزواج المحاربون فى الحرب فان الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخذون من ارامل اولئك المحاربين زوجـات لهم وانتشرت هـذه الظاهرة فى الامارات الصليبية فى المشرق فيما عدا الرها التى تزوج امراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن روبان وثوروس وليون (١٣) . وقيل ان انطاكية شاركت الرها فى تلك الظاهرة الى حـد ما فانتشرت الزيجـات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الاقطاعيين ذوى المكانة العالية والشديدى الاحتكاك بالفرنج فى الحياة السياسية والعسكرية من ناحية أخرى (١٤) .

---

(٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٧ ، هنا يذكر اولد نبرج ان ارستقراطية الرها الفرنجية كانت تتكون من الفالون والفلامند Wallonne, Flamande (Zoé : Op. Cit., p. 227).

(١٠) Grousset : L'Empire, p. 316.

(١١) سعيد عاشور : الحركه الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٧ .

(١٢) Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et Chrétiens d'Orient, p.p. 20 — 21.

(١٣) Zoé : Op. Cit., p. 300.

(١٤) Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241.

لكن ذلك لايعني أن الصليبيين اقتصروا في زواجهم على الأرمينيات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع أننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشأ جيل جديد عرف باسم (الأفراخ Poullains (١٦)) .
ومن ابرز أمثلة هـذا الجيل بالنسبة لامارة الرها الأمير جوسلين الثاني .

واذا كانت أواصر المودة قد ازدادت في الرها بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصليبيين عن طريق الزواج ، فان العلاقات بين الحكام والمحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائما مخلصين لحكامهم الغربيين وربما كان هـذا هو سبب التقدم البطيء لتلك الامارة بالنسبة لبقية الامارات الأخرى (١٧) .

هذه هي لمحة عامة عن اهالي الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الامارة . ولكي يسهل علينا التعرف على موقف الاهالي في مراحل تطور الامارة المختلفة سنحاول دراسة ذلك وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين ، حتى نصل في النهاية الى مصير الاهالي الوطنيين بعد انتهاء تلك الامارة .

والحقيقة ان الأرمن فازوا بنصيب الأسد في تلك الدراسة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من السكان ، ولكن ذلك لا يمنع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى في الامارة بقدر ما اسعفتنا به المصادر والمراجع المختلفة .

اهالي الرها وبلدوين البولوني (١٠٩٨ — ١١٠٠م) :

رأينا انه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولوني الرها تلقاه الأهالي بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حارا اشترك فيه كل افراد الشعب وعلى راسهم ثوروس . وقد افاضت المصادر المعاصرة والمراجع التي

---

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس ان فولشر دي شارتر قال « اننا اصبحنا شرقيين لاننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا اما سريانية او ارمينية او مسلمة بعد ان تنصرت »
(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).
(١٦) فيليب حتي : العرب ، ص ٢٢٣ Lammens : Ibid., p. 241.
(١٧) Prawer : Op.Cit., T. 1, p. 288.

اخذت عنها فى وصف ذلك الاستقبال الرائــع (١٨) ، اذ استقبل كمنقذ ومحرر للأهالى ولاميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ فبينما نظر اليه ثوروس كمنقذ له من اعدائه الأتراك المحيطين به ، يبدو أن الأهالى نظروا اليه تلك النظرة ايضـــا الى جانب رغبتهم فى التحرر من اميرهم الأرمنى الذى اتبع مذهب كنيسة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم يبد اهالى الرهـــا اى اعتراض على دخول الصليبيين الى بلادهم ، ويتضح ذلك اكثر عندمـــا ظهرت نوايـــا ثوروس فى استخدام بلدوين كجنـــدى مرتزق (٢١) . اذ رفض بلــدوين ذلك الوضـــع وهدد بالانسحاب من الرهـــا (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالى والحوا على حاكمهم بالا يسمح لبلــدوين بالرحيــل (٢٣) . بــل قيــل انهم هم الذين اجبروا ثوروس على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

---

(١٨) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.

(١٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., V. 1,p. 242.

(٢٠) Zqé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206

(٢١) Alberti Aquensis : Hsitoriae, Liber III., T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٢) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Grousset : l'Empire, p. 204, L'Epopée, p.p. 56 — 57, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٣) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit , V. 1, p. 191 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op Cit., p. 210 Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op Cit., p. 61.

وهنا يذكر (ستون) انه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلى الارتياح لتبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالى واحسوا بالطمأنينة فى حماية بلدوين (٢٦) .

وكان أن اتجه أهل الرهـــا بعد ذلك الى ماهو ابعد ، فتعجلوا التخلص من اميرهم الأرمنى (٢٧) . للاسباب التى اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذى اصبح وفقا لرغبتهم اول امير صليبى لأول امارة صليبية فى المشرق .

فى بداية حكم بلدوين لامارة الرهـــا خضـــع له اهلها واخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقـــد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقـــة عســـكرية أرمينية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين الحاصرين للمدينة (٣١) كما ســـاعده الأرمن أيضـــا فى حملته التى توجه بها الى سميساط فى بداية حكمه للرهـــا فى ١٠٩٨م والتى استطاع عن طريقها ان يرد الى الرهـــا عددا كبيرا من الرهائن الذين كان بلك الدانشمندى قـــد احتجزهم فى قلعة سمبساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وازدادت اواصر المودة بين بلدوين البولونى وبين الأرمن فى الرهـــا قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمينية أردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

---

(٢٥) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191

(٢٦) William : Ibid., V. 1, p. 191 .

(٢٧) Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier: L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٨) Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, p. 339, Cahen : Op Cit., p. 211, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 59.

(٢٩) Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355.

(٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(٣١) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(٣٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208 عن (Albert).

(٣٣) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433 ,Alberti : Op. Cit. T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset : L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

سرعان ما انقلبت الى كره وعداء من جانب الأهالى الوطنيين لبلدوين عندما فتح أبواب الأمارة على مصاريعها لرفاقه الصليبيين واغدق عليهم ثروات البلاد (٣٤) . فى الوقت الذى نحى الأهالى الاصليين وزعماءهم جانبا واستغنى عن مشورتهم مفضلا عليهم الفرسان الفرنج الذين احتقروهم (٣٥) .

لذا دبر الأهالى فى الرها مؤامرة فى ١٠٩٨م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٣٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٣٧) . وعندئذ أمر بلدوين بانزال اشد العقوبات بالمتآمرين (٣٨) . وهكذا أخذ أهالى الرها الأرمن والسريان ينظرون الى بلدوين على أنه « طاغية فظ عنيف وجشع (٣٩) » . وندموا لتأييده فى حكمه عليهم (٤٠) ، بل أن الأرمن الذين قاسوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجدوا فى فرسان

---

(٣٤) يذكر آرتشية بالاضافة الى ذلك ان الكثير من مؤن البلاد وثرواتها نقلت الى الصليبيين المحاصرين لانطاكية مما سبب ضغطا شديدا على اهالى الرها . (Archer : Op. Cit., p. 63).

(٣٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman · Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٣٦) Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit,. V. 1, p.p. 305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Epopée, p. 58.

(٣٧) ويسميه البرت هنا انزو (Enzhu أو Enxhu)
Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois., V 1, p. 67.

(٣٨) Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op Cit., V. 1, p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Empire, p p 205, 297, L'Epopée, p. 581, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(٣٩) Zoé . Op. Cit., p. 230.

(٤٠) Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. Cit , V 1, p. 305.

الفرنج خصما لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولونى لأهالى الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بمن قاموا بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الأهالى غيظهم فى سكون ، حتى انتهت فترة امارة بلدوين على الرها وتوجه ١١٠٠م الى بيت المقدس ليعتلى عرشها . ولكن قبل رحيله اثقل كاهل اهالى الامارة بالضرائب المختلفة وابتز كثيرا من اموالهم ليدبر بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

اهالى الرها وبلدوين دى بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دى بورج حكم الرها عمل على استرضاء الأرمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين، كى يعيد الثقة فى الحكم الصليبى الى نفوسهم ويمحوا الأثر السيء الذى تركه بلدوين البولونى فى نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح فى سياسته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الاولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمينية (٤٥) ؛ والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمينية (٤٦) .

وقد برزت اولى المساعدات الحقيقية التى قدمها اهالى الرها لبلدوين فى معركة حران ، اذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمينية (٤٧) . التى قتل معظمها فى المعركة (٤٨) ، ورثاهم متى

---

(٤١) Grousset : L'Epopée, p.p. 58 — 59.
(٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.
(٤٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٨ .
(٤٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.
(٤٥) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Ciliciénne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset :Hist. des Crois., V. 1, p. 438.
(٤٦) Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 292 — 293.
(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.
(٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407. عن (Albert)

الرهاوى فى حزن شـــديد (٤٩) . على أن اهالى الرهـــا لم يستسلموا للحزن بعد هزيمـــة حران التى اسر فيهـــا بلدوين دى بورج وجوســـبلين دى كورتناى كما مر بنا ، وحاول الأهالى انقاذ الوضـــع الداخلى للرهـــا بسرعة فقرروا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) .

ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمش الرها وعندئذ بذل الاهـــالى كل ما فى وسعهم لمســاعدة تنكريد لردهم عن الامارة ، فكان لجهود اهالى الرها فى تلك الفترة اثره الفعـــال فى رد الأتراك وفى احراز النصر (٥١) .

وبانقضـــاء ذلك الدور من أدوار الخطر التركى دخلت الامارة فى فترة من احلك فترات تاريخها ، وهى فترة حكم ريتشـــارد دى ســـالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التى قاسى فيها اهالى الرهـــا كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصـــادراته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخفاقه العسكرى الذى اودى بحياة الكثير من اهالى الرهـــا خاصـــة فى مواجهة حملة جكرمش على الرها (١١٠٥م — ٤٩٩هـ) (٥٣) .

وباطلاق سراح بلدوين دى بورج ١١٠٨م — ٥٠٢هـ فرح اهالى الرها

---

(٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٥٠) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi : T. 3, p. 712, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Bréhier : Vie et Mort, p. 315, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit., p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٥١) Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, pp. 616 — 617, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée, p. 79, Zoé : Op. Cit.,, p. 214.

(٥٢) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٣) Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, p.p 437 — 438.

هنا يذكر متى الرهاوى انه فقد فى تلك المعركه من اهالى الرهـــا حوالى ٤٥٠ شخصـــا . وان تلك الكارثة حملت اليأس الى الرهـــا ، فكل عائلة كانت فى حزن وكل بيت دوى بالنواح والتاوهات ، وكل الريف المحيط بالمدينة ســـال بالدم .

بعودة أميرهم القديم ويتخلصهم من حكم رينشـلرد النرماندى وجمعوا الأموال لدفع فدية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحـداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلدوين دى بورج وحليفه جلولى من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجـانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة اثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما ان علم اهالى الرهـا بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسـفوا على بلدوين الذى ظنوا انه قـد مات . وفى نفس الوقتخافوا من عودة الحكم النورماندى اليهم ممثلا فى شـخص ريتشارد ، الذى حملوا لعهده أسوأ الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرهـا Saint- Jean حضره رئيس الأســاقفة اللاتين بالمدينة وطالب الأهالى بأن يتولى امر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين الى جانب اهالى الرهـا حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الارمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حـدث فى اليوم التالى للاجتماع ان فوجىء الأهالى بدخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرهـا . وعندما استقصى الأميران احوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهـالى قـد صمموا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحـاولات الأجراميـة فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى اقصى درجات الشـدة والقسوة فى معاملة اهالى الرهـا ، الأمر الذى جعل متى الرهاوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، التى يعتقد انهـا قامت اصـلا بسبب اصغاء الفرنج لبعض الوشـايات الكاذبة (٥٩) .

---

(٥٤) Zoé : Op. Cit., p. 240.

(٥٥) Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

(٥٦) Mattieu : Op. Cit. p,.p. 87 — 88.

(٥٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442.

(٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 88.

(٥٩) Mattieu : Ibid., p. 88. ومما ذكره متى الرهـاوى : « نهبت منازل الرهويين وسملت اعين كثيرين منهم لم يكن لهم اى ذنب على

والحقيقة انه ينبغى ان نشير هنا الى ان العقاب السريع الذى انزله بلدوين باهالى الرهـا فى ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالى عندما وجدوا ان اميرهم قـد حلت به الهزيمة ولم يعد مما اثار الظن بانه فقد ؟ اليس معنى ذلك انهم سيعودون مرة أخرى لحكم ريتشارد القاسى الظالم ؟ مما جعلهم يفكرون فى التخلص من الحكم الفرنجى كلية ! لكن ربما كانت الأمور قـد سـارت الى عكس ما تطورت اليه اذا كان بلدوين دى بورج قـد عالج الأمور بنوع من التروى والتعقل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعاون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جـدا حيث بدأ الصـليبيون فى الرهـا ينظرون اليهم بنوع من الشـك والريبة (٦٠) . وبعد أن كانت سياسة بلدوين فى حكم الرها تقوم على اساس الربط بين الصليبيين والارمن ، اذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حسـابه كلية واعتمد فى حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .

واذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م — ٥٠٢هـ قد اتسمت للعنف فى معاملتهم ، فان سياسته مع المسلمين فى نفس السنة اتصفت بالتسـامح تنفيذا للاتفاق الودى الذى كان قـد تم بينه وبين جاولى عند اطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف ان المسلمين فى الرهـا كانوا متركزين تقريبا فى سروج فى ذلك الوقت اذ كان بها حوالى ثلثمائـة مسـلم فسمح بلدوين لاصحاب جاولى بتعمير مسـاجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تسـامح بلدوين مع المسلمين فى ذلك الوقت ان رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولى « يقول فى الاسـلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هـذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين نقتله (٦٤) » .

=

الاطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحيى الرهـا عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطـاهر الذى سفك » .

(٦٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443

(٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(٦٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء، حـ ١ ص ٤٠٠ ، Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p p. 438 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء، حـ ١ ص ٤٠٠ ، Grousset : Ibid., p. 439.

وظل اهالى الرهـا على ذلك الوضـع حتى ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما بدا مودود كما رأينا حركة الجهاد الاسلامى ضـد الفرنـج فكان لحملته الاولى فى هـذة السنة ضـد الفرنج اثرها الكبير على الوضع السكانى فى الرهـا ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة فى الأجزاء السـابقة من بحثنا . لكن مانود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود فى استدراج الفرنج الى حران ليوقع بهم كما حـدث فى ١١٠٤م (٤٩٧هـ) ؛ وبعـد أن ادرك الفرنج نواياه عندئذ رجعوا بسرعة الى الرها وزودوها بالمؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج الى الضفة الغربية للفرات. عندئذ قرر اهالى الجزء الشرقي من الرهـا ـ الأرمن والسريان ـ الجلاء عن اراضيهم والالتجاء الى مناطق كيسوم ورعبان (٦٦) . خوفا من بطش الأتراك بهم . وعندما بدا تنفيذ خطة الجلاء هـذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن اسرع مودود الى الضفة الشرقية للفرات حيث أحـدث مذبحة كبيرة فى الأهالى واسر الكثيرين منهم خاصـة من النسـاء والأطفال كمـا غرق البعض الآخر فى اعداد هائلة فى نهر الفرات ، وهو ما فصـلته المصـادر الأرمينية واللاتينية (٦٨) . الى جانب المراجع الأفرنجية المختلفة (٦٩) والتى أرجع بعضها تلك الابادة السكانية الى أن هجرة السـكان فى ذلك الوقت تمت فى تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الاتراك يقوم ببعض المنـاورات العسـكرية فى الضواحى القريبـة (٧٠) . أما الفرنج الذين كانوا قد سبقوا الأهالى فى عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

---

(٦٥) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.
(٦٦) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Epopée, p.p. 88 — 89.
(٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 93.
(٦٨) (سنورد وصفا لـ الحق بالأهالى مع الملاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94.
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.
(٦٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p 299, L'Epopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op. Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer : Op. Cit., p. 148.
(٧٠) Zoé : Op. Cit., p. 243.

الغربيـــة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالى بأى نوع من المعونة . وتنفيسا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التى شـــاهدوها عن قرب (٧١) . فى حين رجع مودود الى الشرق وصحبته أعـــداد ضخمة من الأسرى وغنائم لاتحصى (٧٢) .

وهكـذا كـان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرهـا ١١١٠م (٥٠٤هـ) انها ادت الى احـداث خلخلة كبيرة فى سـكان امارة الرهـا وعلى وجـه الخصوص فى جزئها الشرقى (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرهـا واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالى الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع ان شعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصـليبيين منذ التنكيل الذى لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢هـ) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤هـ) والتى قاسى منها اهالى الرهـا — وبخاصـة قسمها الشرقى — ادى كل هـذا الى تفكير بعض الأرمن فى الخلاص من النفوذ الفرنجى وفكروا فى تسليم الرهـا للمسلمين وذلك اثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦هـ) . وكان أن توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه ان يؤمنهم على ارواحهم فى مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مسرورا على تلك الفكرة وتسلم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينـة (٧٧) .

---

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 422, Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٢) Mattieu ; Op. Cit., p. 94.

(٧٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400.

(٧٥) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٥٥٤
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,

(٧٦) Mattieu : Op. Cit., p. 101.

(٧٧) Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 473.

ويقال أن بعض السريان اشتركوا فى تلك المؤامرة
(L'Anonyme) من Grousset : L'Empire, p. 299

ولكن اخبار تلك المؤامرة وصلت الي آذان جوسلين الأول فأسرع الى الرهـا ليلحق بالأمير بلدوين . وعندئذ انزل جوسلين بالمتآمرين اشـد الوان العقوبة والقي بالأتراك من أعلى الجدران فهلكوا فى الحـال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرهـا فى ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشـديد الذى تعرض له الأرمن ١١٢٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للنفوذ الصليبى . لذا انتهزوا فرصـة وجود بلدوين فى تل باشر بعد ان انتزعها من جوسلين دى كورتناى ١١١٣م (٥٠٧هـ) وحاولوا من جـديد تسليم الرهـا للأتراك اثناء حملة مودود على الرهـا فى تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل أن الأمر لم يتعد مجرد بعض الأشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج الميالين للشر ونقلوها للأمير بلدوين فصـدقها بسرعـة (٨٠) . ولكننا نرجح أنه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرهـا الأرمن وبين الاتراك بسبب ضجرهم فى ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التعسفى .

وما كاد بلدوين دى بورج يسمع تلك الأخبار ، حتى أمر حاكم سروج بطرد كل اهـالى الرهـا دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك فى ١١ مايو ١١١٣م (٨٢) وقد أورد لنا متى الرهاوى صـورة مفصلة لطرد اولئك الأهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج فى القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشـديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الأم لبقية المـدن المحيطـة بها (٨٣) .

---

(٧٨) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(٧٩) Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٠) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105.

(٨١) Mattieu : Ibid., p. 105.

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 105.

فقد ذكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريعة بالرها ، لم يعرف الاب ابنه وانكر الأبن ابيه ، دوى النواح والتاوهات فى كل مكان ، وغمر كل منزل فى الحزن والحـداد .. طرد الفرنج الأهالى من منازلهم ، وامروا باحراق هؤلاء الذين اختبأوا فى المنازل ، فلم يبق فيها أحـد الا القليل » ..

=

وتلتمس بعض المراجع الحديثة العذر لقسوة بلدوين آنذاك بدعوى أن مرجع ذلك كان تكرار تآمر الأرمن بالذات مع الأتراك ضد الفرنج فى الرها (٨٤) .

ويلاحظ أنه كان يوجد بالرها عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥) ، الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس ثيودور واحتموا بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين دى بورج تعذر القيام بشئون الامارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من أهالى الرها فضلا عن رفاقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالى المنفيين من سميساط وتم ذلك فى فبراير ١١١٤م (٨٧) (٥٠٧هـ) . ولكن عودة الأهالى مرة أخرى الى بلادهم لايعنى فى نفس الوقت عودة العلاقات الطبيعية بينهم وبين أميرهم الصليبى الذى أشارت اليه بعض المراجع الفرنجية بأنه « مضطهد الارمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة بين الأهالى والصليبيين الغربيين للذين اعتبروا « طالبى منافع وأنهم فى سبيل الحصول عليها ارهقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم الفظة (٨٩) » .

اهالى الرها فى عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م — ١١٣١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم امارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب من اهلها وخاصة العنصر الأرمنى الأكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحاجز الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين فى الرها فى عهد بلدوين دى بورج ، ولكى يمحو من نفوسهم الأثر السىء الذى تركته قسوته وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

=

فيا للشقاء على شعب أبجر ... » .

وقد تم اجلاء غالبية الأهالى الى سميساط

(Mattieu : Op. Cit., p. 105,
Grousset : Hist. des Crois. ,V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

(٨٤) Setton : Op. Cit.. V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. des Crois., p. 491.

(٨٥) Grousset : Ibid., V. 1, p .491.

(٨٦) Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٧) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٨) Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٩) Mattieu : Op. Cit.. p. 106.

المعاصر متى الرهاوى يؤكد ان ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على ان يظهر العطف على اهالى الرهـا (٩٠) .

وتدعيما لتلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين السابقين للرهـا فاتخذ لنفسه زوجـة ارمينية هى اخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة أن جوسـلين اخلص فى حبه لرعاياه الأرمن فبادلوه حبا بحب (٩٢) . وفى نفس الوقت لم يهمل جوسـلين العنصر السريانى ، فحرص على ان يقوى رابطته به أيضـا (٩٣) .

من أهم المناسبات التى ابرزت مـدى حب رعايا جوسـلين الأول له ما حـدث عندما علم اهالى الرهـا بأسره ١١٢٢م (٥١٦هـ) — كما بينا من قبل — اذ انهم لم يفكروا عندئذ فى انتهاز فرصـة غيابه عن الامارة ليثوروا ، وانما اظهروا الحزن الشـديد وخضعوا الملك بلدوين الثانى منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما اسر الملك فى العام التالى ايضـا بدأ اهالى الرهـا — وخاصة العنصر الارمنى — يفكرون فى انجح الوسـائل واسرعها لانقاذ اميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة الى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى سـارع عـدد منهم الى خرتبرت — كما مر بنا — واطلقوا سراح الموجودين فيها ، ولكن بمجرد خروج جوسـلين وصـل بلك الأرتقى الى القلعة وانزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء المجموعـة

---

(٩٠) Mattieu : Ibid., p. 128.

(٩١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن (L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit.. p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

(٩٢) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, Archer : p. 162.

(٩٣) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, p. 877 عن (L'Anonyme).

(٩٤) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٩٥) Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419.

(٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op.

=

الأرمينية الفدائية « أن بعضهم قطع اربا والبعض دفنوا أحياء ، وتحول آخرون الى عبيد لرجال بلك الى جانب قله هربوا أحياء (٩٧) » . وهكذا لم تضن بعض العناصر الأرمينية فى الرها بتقديم أرواحها فداء للأمير جوسلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (٩٨) .

أهالى الرها فى عهد جوسلين الثانى ١١٣١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرها :

وعندما ورث جوسلين الثانى امارة الرها عن أبيه ورث معها حب أهلها الشديد لوالده (٩٩) . كذلك كان جوسلين اكثر أمراء الرها قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمينية — كما أشرنا — فلا غرو اذا أسمته بعض المصادر العربية (جوسلين الأرمنى) (١٠٠) .

وقد ظل أهالى الرها ينعمون بالهدوء وبحب أميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرها . وكان جوسلين الثانى قد عهد الى أهالى الرها الأرمن والسريان بحماية المدينة فى أثناء تواجده فى تل باشر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونساء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما فى وسعهم لحماية أسوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة فى مقابل المحافظة على أرواحهم رفضوا بشدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينة

=
Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p.298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ .

(٩٧) William : Op. Cit., V. 1. p. 544.

(٩٨) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 299.

(١٠٠) ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (ب) ، ٩١ (ب) .

(١٠١) Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois.. V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Nersès : Op. Cit.. p.p. 248 — 249.

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسيأتى وصف مفصل لاستماته الأهالى فى الدفاع فى الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرها .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالى جهدهم لسد تلك الثغرة التى فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكتفى بالقول بأن المسلمين اعملوا فى اهل الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . أما المصادر الأرمينية والسريانية الى جانب المصادر والمراجع الأفرنجية ، فقد اشارت الى انه عندما تحول الأهالى جميعا للدفاع عن الجزء الذى سقط من السور ، اعتلت القوات الزنكية السور ونزلت الى المدينة وعملت مذبحه هائلة فى اهالى الرها ، فصلتها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الاهالى الذين نجوا من تلك المذبحة الى قلعة المدينة للاحتماء بها ، فمات اكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) . والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية فى تصوير التنكيل الذى لحق بالأهالى فى ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشيء الجديد بالنسبة لأهل

---

(١٠٣) Nersès : Ibid., p. 253, (التفصيل فى الملاحق) Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 ,p. 269.

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، الباب السابع ٥٣٩هـ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(١٠٥) Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6
(مع قصيدة الرثاء فى الملاحق)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit. V. 2,p. 105.

(١٠٦) Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 105.
وقد ذكر الكاهن جريجوار ان عدد من هلكوا امام القلعة قدر بحوالى الفى شخص .

الرهـــا ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدرين دى بورج ورفاقه من الصليبيين الغربيين فى السنوات ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م .

وعندما دخل زنكى المدينة أمن اهلها وبنى ما انهدم منهـــا (١٠٧) ، واصـــدر اوامره لرفاقه باغماد السيف (١٠٨) . والواقع أن هـــذا الأمان لم يشمل كل اهالى الرهـــا بل اقتصر فقط على اهلها الأصليين من الأرمن والسريان (١٠٩) . أما الفرنج فقد امر زنكى بقتلهم اينما وجـــدوا ويسبى زوجاتهم واسر اطفالهم (١١٠) .

والحقيقـــة أن زنكى تســـامح بالذات مع العنصر السريانى وشـــجع الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجأ الى الشفقة فى معاملتهم (١١١) . واعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الـــذين تأسفوا على الحكم الفرنجى الذى تفاهموا معه بشـــدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك العنصر فى مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياســـة صـــلاح الدين فيما بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرهـــا الى ماكانت عليه فى اواخر القرن الحـــادى عشر مدينـــة يسكنها الارمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

---

(١٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Zoé: Op. Cit., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Grousset : L'Epopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Michel : Op. Cit, p. 263 ,Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer : Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Epopée : p. 163,. Cahen : Op. Cit., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268, Grousset : Hist. des Crois ,.V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Epopée : p. 164, Hist. des Crois , V. 2, p 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset : Ibid., p. 190.

بالاشراف على شئونها الى زين الدين على كوجك ، الذى عامل الاهالى معاملة طيبة جدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودى الى الرها ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن فى الرها شدة اهتمام زنكى بالعنصر السريانى ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا صغر حجم الحامية الزنكية فى المدينة وبداوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ الاسلامى ، وليعيدوا النفوذ الفرنجى مرة اخرى . كان ذلك بعد مرور حوالى سنة ونصف تقريبا على استيلاء زنكى على الرها (مايو ١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكى اشتد فى التنكيل بهم ، وكانت عقوبته اما القتل او الصلب او التشريد (١١٧) . ثم احل محلهم حوالى ثلثمائة اسرة يهودية (١١٨) . واصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق امام القضاء مثل المسيحيين (١١٩) . وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ الصليبى عنها . وربما كان من الممكن أن نسير الاحوال الداخلية فى الامارة على منوال آخر اذا كان العنصر اليهودى موجودا بها منذ فترة مبكره اكثر ، فقد كان اليهود الد اعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين واهالى الرها ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى رأسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا سوى بقاء النفوذ الاسلامى ، الذى اتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوى على

---

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسى : الذيل ، حـ ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ ،
Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset ; Hist. des Crois., V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit.. V. 1, p. 267.
كانت شهادة اليهودى امام للقضاء مساوية لشهادة المسيحى .

(١٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦١٠ .

العقائد الأخرى تآمر الأرمن فى الرها لاعادة النفوذ الفرنجى اليها (١٢١) . وهنا اضاف احد المراجع المترجمة عن اصل عبرى أن من اسباب تآمر الارمن ايضا،دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تآمر الارمن استعادة جوسلين الثانى الرها لفترة قصيرة ، لم تستمر اسبوعا واحدا ، اعقبها تنكيل نور الدين محمود بن زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكتفى المصادر العربية بالاشارة الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم فى عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى اهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . اما ابن القلانسى المعاصر فيعطينا نفس المعنى بصورة اخرى بقوله « محق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان اسر من المسلمين ونهب منها الشىء الكثير (١٢٤) » .

اما المصادر السريانية والأرمينية والفرنجية وما نقل عنها من مراجع اجنبية حديثة فتفصل الحديث باسهاب شديد عما اصاب الأهالى من تنكيل فى ذلك الوقت عندما كانوا فى طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايان عن سبب خروج الأهالى . فميخائل السريانى ومن نقل عنه يذكر ان الاهالى اجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد ان اشعل الفرنج النار فى منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . اما وليم الصورى ومن اخذ عنه فيذكر ان هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة جوسلين التى شجعوه املا فى القيام بها ، وعلموا ان كل امل فى المقاومة قد انتهى وان كل طريق للنجاة قد اغلق . ثم تاكدوا انهم سيعاقبون بالموت فى افظع اشكاله ، عندئذ فضلوا ان يرحلوا مع زوجاتهم واطفالهم وان يقتسموا حظا غير اكيد مع اخوانهم فى الجيش المسيحى عن أن يموتوا او يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

---

(١٢١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 199.

(١٢٢) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu par G. Nahon).

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ . النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ، ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ .

(١٢٥) Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٢٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 202.

وهنا نجد فى المصـــدر السريانى وصفا مفصـــلا لكيفية رحيل الأهالى بطريقة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسلمون (١٢٧) . لكن لم تمضى لحظات حتى نتبه المسلمون الى حركتهم بسبب الضوضـــاء العالية التى أحـــدثها الهاربون . وعندئذ أحـــاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . الى جـــانب عـــدد آخر من الاهالى ماتوا مخنوقين من شـــدة الزحام أو داستهم الخيول (١٢٩) .

وكان للاتراك الموجودين فى قلعة المدينة دورهم فى التنكيل بالأهـــالى اذ تتبعوا الـــذين التجـــأوا الى الكنـــائس والى أمـــاكن أخرى فقتلوهم أو عذبوهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير أرسلوا الى أسواق حلب (١٣١) .

أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوســـلين الثـــانى وبلدوين أمير مرعش فقـــد لحق بهم الاتراك من جـــديد وأعملوا السيف فيهم فقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرســـان الفرنج بخيولهم فى حين لجـــأ المشـــاه الباقون الى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الاهالى ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على أرواحهم بالفرار الى سميســـاط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوســـلين الثانى نفســـه من بين الذين فروا

---

(١٢٧) Grousset : Ibid., p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٢٨) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

(١٢٩) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٣٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Epopée p. 165

(١٣٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885.

ويقال أنه فى ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من بقى من ملابســـهم وأحـــذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أمروهم رجـــالا ونســـاء بالجرى مع الخيول فمات عددا كبيرا منهم تحت أقدام تلك الخيول التى داستهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٣٣) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161. Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى سميساط ولو أنه كان جريحا (١٣٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم اهالى الرها جميعا — ثمن اخلاصهم الفرنج غاليا (١٣٥) . ولم ينفعهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين اسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية فى ذلك الوقت (١٣٦) . بعد ان فقدت غالبية اهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السريانى من فقد منهم فى فتح الرها الأول ١١٤٤م ؛ الثانى ١١٤٦م بحوالى سبعة واربعين الف نسمة « قتل منهم حوالى ثلاثون الفا وأسر وتحول للعبودية ستة عشر الفا ونجا حوالى الفا (١٣٧) » .

وبذلك اصبحت الرها مكانا خربا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحقت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد اصبحت اثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقى من الامارة ، فان سكان تل باشر وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين فى ذلك الجزء الغربى حتى أسر جوسلين الثانى. وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الامارة ، قررت زوجة جوسلين واطفاله الى جانبه عدد كبير من الاهالى التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن تحمل عدد كبير من الارمن والسريان النفى عن بلادهم عن التبعية للنفوذ البيزنطى (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفى ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

---

(١٣٤) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme).

(١٣٥) Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301.

(١٣٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93.

(١٣٧) Michel : Op Cit., p. 272.

(١٣٨) Michel : Ibid, p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273.

(١٣٩) سنورد رثاء ميخائيل السريانى وكذلك رثاء ديونيسيوس الآمدى فى الملاحق .

(١٤٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 209.

(١٤١) Zoé : Op. Cit, p. 355.

عالية ونســـاء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة واطفـــال صـغار وقـــد شردوا من وطنهم وتركوا أرض اجدادهم وآبائهم ، فى الم عميق (١٤٢) .

وهكذا تشتت ســـكان امارة الرهـــا ؛ كما تمزقت ارضهم . بعـــد حياة مليئة بويلات الحروب المتتابعة التى تعرضت لها الامارة ، الى جانب الكوارث التى احقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الامارة الصليبية .

الحيـــاة الاقتصـــادية :

رغم عثورنا على بعض الاشـــارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية للامارة ، اثناء دراستنا للحيـــاة السياسية بها ، الا ان ذلك القليل يعطينا صورة لا بأس بها توضـــح ذلك الجانب من بحثنا هـــذا .

والواقع أن غالبية اهل الرهـــا كانوا زراعـــا وتجارا الى جـــانب بعض الرعاه (١٤٣)،حيث كان يوجد بالامارة بعض المراعى والغابات(١٤٤). ومن أهم ثروات المراعى الخيول الممتازة (١٤٥) ، ومن أهم اشجار الغابات شجر البلوط (١٤٦) .

اما الصناعـــة : فلم نعثر الا على اشـــارة واحـــدة وسط كتابـــه وليم الصورى تدل على أنه وجـــدت بالرهـــا صناعة الزيوت والخمور . فقـــد ذكر أن من بين الاشياء التى ارسلها بلدوين البولونى للصليبيين المحاصرين لأنطاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل باشر (١٤٧) .

ولمـــا كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحيـــاة الاقتصـــادية للامارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهمـــا .

الزراعـــة :

كانت امـــارة الرهـــا من اهم المنـــاطق الزراعيـــة الغنيـــة فى اقليم

---

(١٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 211.

(١٤٣) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٤٥) William : Ibid., V. 1, p. 238.

فقد ذكر وليم الصورى أن من بين ما ارسله بلدوين البولونى من الرهـــا للصليبين المحاصرين لأنطاكية الخيول الممتازة .

(١٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 487.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 238

الجزيرة (١٤٨). الذى اشتهر دائما بخصوبة ارضه ووفرة حاصلاته(١٤٩) ويرجع ذلك الى توافر مياه الرى سواء عن طريق الأنهار او الينابيع الجوفية والأمطار (١٥٠) . ومن اهم الحاصلات الزراعية لامارة الرها الشعير والقمح (١٥١) وقد اشتهرت تل باشر بقمحها بالذات (١٥٢) .

كذلك اشتهرت الامارة بحدائقها الغنية (١٥٣) . وكانت الرها بالذات مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤) ، وورودها الجميلة العطرة (١٥٥) . اما

---

(١٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : Op .Cit., V. 1, p. 75.

(١٤٩) Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcherii : Op. Cit., p. 337, Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٥٠) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241.

يقول نيرسيس على لسان الرها :

انبثقت من أحشائى مياه حية

وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى

ويعلق دولورييه على ذلك بقوله أن الشاعر يرمز بلفظ البحر الى نهر سبرتوس او ديسان الذى كان يمر بالمدينة . وفى الربيع تتكاثر مياهه لذوبان الثلوج على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينة .

(١٥١) Mattieu : Op. Cit, p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

(١٥٢) William : Ibid., V. 1, p. 238, Zoé : Op. Cit., p. 295.

(١٥٣) Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit., p. 113.

ويضيف المرجع الأخير ان كثرة الحدائق المحيطة بالرها جعلتها تظهر ضاحكة باسمة جدا

(١٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III . T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « ان اهالى الرها كانوا يقدمون لبلك حاكم سميساط ضرائب بيزنطية من محاصيل وأعناب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله . « أن ثوروس الأرمنى ظلم الأهالى وكان اذا قاومه احد اثار الأتراك ضده فيصبح ذلك الشخص التعيس خائفا ليس فقط ان كرومه وحدائقه ومحاصيله النامية تقطع وقطعانه تسلب بل كان يخشى على حياته أيضا » .

(١٥٥) Nersès : Op. Cit., p. 241.

يذكر نيرسس ان حدائقها كانت مليئة بالنرجس والزعفران والورد والبنفسج .

تل باشر فكانت اشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للنواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الأمطار او البرودة القارسة اثرها على الزراعة في الرها الى جانب الأثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الامارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) ان الأمطار لم تسقط في اي جزء من اجزاء الامارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الأشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجدب فناء كبيرا بين اهالي الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوي تلك المجاعة الى الغضب الالهي الذي انتقم لموت الأمير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الأهالي اليمين الذي اقسموه على الصليب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عاد الرخاء مرة أخرى فتضاعف انتاج القمح والشعير وحملت الأشجار الفواكه وفاضت ينابيع المياه بمياهها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الأحوال على هذا المنوال حتى ١١٠٣م (٤٩٧هـ) عندما اصيبت البلاد بفيضان مدمر مصحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول ممزوجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الاراضي وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان للقرار ، الذي اتخذه أولي الأمر من الصليبيين آنذاك . تأثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقي من الامارة الأكثر

---

(١٥٦) Cahen Op. Cit., p. 116.
(١٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 48.
(١٥٨) Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.
(١٥٩) Mattieu : Ibid., p. 49.
(١٦٠) Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

تعرضـــا للخطر من ســكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان فى تلك الخطوة سلامة أولئك السكان الأرمن والسريان ، لكن حدث عكس ما كانوا يظنون . فقــد دمــر الاتراك الريف بأكملـــه (١٦٢) . واتلفوا كــل الحـــدائق المحيطة ببرهـــا (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بان هـــذا الاقليم الغنى الخصيب تحول فى يوم واحـــد الى ارض مجدبـــة خاليـــة من كل شىء (١٦٤) وبالاضـــافة الى ذلك فقـــد قتلت غالبية اولئك الســكان الفلاحين فى ذلك الجزء بسهولة اثناء محاولتهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) ــ كما اشرنا ــ وبذلك كان لحملـــه مودود هـــذه اثرهـــا المدمر على الناحية الاقتصـــادية كما كان لها ايضـــا أثرها البالغ الخطورة على الناحية الســكانية .

وفى ١١١٣م (٥٠٧هـ) اصيبت اراضى الرهـــا بمجاعة قاسية نتيجـــة الطقس البارد الذى دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هـــذا الى جـــانب قلة المشتغلين بالزراعة فى ذلك الجـــانب الشرقى من الامارة بعد مذابح ١١١٠م ، فضلا عن تخوف بقيـــة الزراع فى ذلك الجزء من مزاولة اعمالهم حتى لا يتعرضـــوا لاعتداءات الاتراك المتكررة على هـــذا الجزء المكشوف المعرض للخطر (١٦٧) .

---

(١٦١) Mattieu : Ibid., p. 90, Grousset : L'Empire, p.p. 298-299, Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : Op. Cit., p. 243, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(١٦٢) J. Prawer : Op. Cit., p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(١٦٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(١٦٤) Zoé : Op. Cit., p. 243.

(١٦٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit.. T. 3 p.p. 421 - 422, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Epopée, p. 89, L'Empire, p. 299, Cahen : Op. Cit., p. 258, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Zoé : Op. Cit .p,. 243.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 497.

حتى اضطر الناس الى اكل الخبز المصنوع من الشعير والـــذى كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

(١٦٧) William : Ibid., V. 1, p. 497.

وبينما كان الجزء الشرقى من الامارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج يعانى من الجـدب والمجاعة كان الجـزء الغربى المحمى بنهر الفرات ينعم برخـاء وازدهـار فى كافـة النواحى ، والمثل فى تل باشر وضواحيها تحت نفوذ جوسـلين دى كورتنـاى (١٦٨) . وقـد ترتب على هـذا الوضـع الشـائك ـ كما بينا من قبل ـ قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين وجوسـلين وطرد الاول للاخير من الامارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية التى ازالت الخطر الاقتصـادى الجاثم فى ذلك الوقت .

والراجح ان الاوضـاع الزراعية فى شطرى الامارة ظلت على هـذا النهج فى غالبية الاحيان لأن الجزء الشرقى ظل أكثر تعرضـا باستمرار للغزوات التركيـة الاسلامية . فمثلا حـدث ١١١٩م (٥١٣هـ) عنـدما غزا ايلغـازى بن ارتق الرهـا ان احرق محاصيلها (١٦٩) . اما حملته ١١٢٠م (٥١٤هـ) فقـد نتج عنها تخريب الريف حول الرهـا (١٧٠) .

التجـارة :

اشتغل جزء كبير من سـكان الرهـا بالتجارة (١٧١) . ذلك ان امارة الرهـا تمتعت بموقع جغراف جعلها تسيطر على اهم الطرق التى تصـل ما بين النهرين بالسـاحل (١٧٢) . هـذا الى أن مدينة الرهـا تقع على احـد الطرق التجارية العظيمة التى تصـل جبال ارمينيا شمالا بباديـة الشام جنوبا (١٧٣) . اما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران والرهـا الى جسر منبج (١٧٤) .

---

(١٦٨) William : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 487, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٦٩) Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 249.

(١٧٠) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(١٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

(١٧٢) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478.

(١٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 7.

(١٧٤) Le Strange : Op. Cit., p. 108.

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية فى تلك الامارة منها الطريق من مرعش الى الرهـا ، والطريق من دلوك عبر صـحراء الشـام والذى يمر بحلب ، والطريق من سميساط الى الرقـة على طول الفرات ، فضـلا عن الطرق من قورس الى حلب (١٧٥) .

والواقع أن الاهمية التجارية للرهـا هى التى جعلت تنكريد يتمسك بها حتى ١١٠٨م (٥٠٢هـ) دون المسـاهمة فى اطلاق سراح أميرها بلدوين دى بورج لأنه فضـل أن يحتفظ لنفسـه بايرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك ان وقوع الرهـا على مفترق الطرق بين الشـام وانطاكيـة من ناحيـة والعراق وفارس من ناحية اخرى جعلها مركز نشـاط تجارى واسع . وكانت عائدات الرهـا وحدها من الرسوم الخاصـة بمرور التجارة تصل الى اربعين الف بيزانت ، هـذا خلاف المتحصلات الأخرى التى تحصل من اماكن أخرى مثل سميساط وتل باشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال أن من بين العوامل التى دفعت زنكى الى ايقاف المذابـح والنهب فى الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته فى المحافظة على الازدهار التجـارى فيهـا (١٧٨) .

كنيسـة الرهـا والحيـاة الدينية فيها :

قبل ان نتناول بالبحث الحيـاة الدينية لامارة الرهـا ومـدى تاثرها بالحيـاة السياسية فى الامـارة ، يجدر بنا ان نأخـذ فكرة عن الطوائف المسيحية فى الرهـا واهم الكنائس التى تتبعها كل طائفة . هـذا مـع الاشـارة الى اهم الكنائس التى شيدت فى الرهـا ومـا بقى منها حتى الفترة الصـليبية للامارة .

والواقـع ان الرهـا تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ ان تلقى اهلها تعـاليمها على يـد (آديـا) رسـول المسيح الى ملكهم

---

(١٧٥) Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-470
(١٧٦) Zoé : Op. Cit., p. 215.
(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409.
(١٧٨) Grousset : L'Epopée, p. 163.
(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤
William : Op. Cit., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ اواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادى ٥٤٢م أسس الراهب يعقوب البرادعى المذهب اليعقوبى بالرها (١٨١) . والكنيسة اليعقوبية هي أحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) . ويؤمن اليعاقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .

وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هى السائدة فى الرها الى ان انضمت اليها الكنيسة الجريجورية الأرمينية (١٨٤) ، التى كان يراسها الكاثوليكوس Catholicos (١٨٥) .

---

(١٨٠) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

(١٨١) R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنا أن يعقوب رسم أسقفا سرا بواسطة تيودور بطريرك الاسكندرية بمساعدة اثنين آخرين من الأساقفة المونوفيزتيين . وعندئذ اصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب لم يستقر فى الرها بل قضى حياته فى الوعظ فى سوريا وما بين النهرين وقيلية وكباد وكيا وأسس فى كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

(١٨٢) R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٣) Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٤) Grousset : Ibid., p. 311.

(١٨٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

تولى القديس جريجوار كرسى البطركية الأرمينية فى القرن الرابع الميلادى اى فى بداية عهد الكنيسة الارمينية ، ثم تولاه بعده أولاده واعقابه من بعده وكلهم من فرع الأسرة الارسكيدية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٣٩٠ « ان قلمة الروم كانتمقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمينية كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الارمينية :

عيد الفصح	Pâques.
عيد الغطاس	Epiphanie.
عيد التجلى	Transfiguration.
عيد صعود العذراء	Assomption.
عيد ارتفاع الصليب المقدس	Exaltation de la Saint Croix.
عيد الخمسين او الحصاد	Pentecote.

(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152).

لكن يبدو أنه رغمّ أن الرهـا كان يتولى فيها مطارنة يعاقبـة حتى ١١٩٦م الا انهـم لـم يلعبـوا دورا مهمـا فى سـلم الكهنوت اليعقوبى Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنـائس الرهـا :

ثم ان الرهـا اشتهرت بكنائسها التى يزيـد عـددها على ثلثمائـة كنيسـة (١٨٧) . وكانت اشهر تلك الكنائس واقدمها : الكنيسـة القديمة أو الكندرائية التى بناها (آديا) من المـال الذى وضعه الملك ابجر تحت تصرفه (١٨٨) . وقـد ظلت تلك الكنيسـة وحيدة بالرهـا حوالى ثلاثة قرون تقريبـا (١٨٩) ، واصيبت بعـدة تخريبـات بسبب الفيضانات والزلازل مابين بدايـة القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادى . ولكن فى كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقـد وصفت تلك الكنيسـة بانها

---

(١٨٦) R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428.
وهـذا المرجـع يعطينا حصرا لأسـاقفة الرهـا اليعاقبة فى فترة امارة الرهـا الصـليبية وهم :

عزل ١١٠١م	Basile (Bar Sabhûni).
١١٠١ — ١١٣٠م	Ignace (Bar Gadhins).
١١٣٠ — ١١٣٧م	Athanase.
١١٣٧ — ١١٦٦م	Basile.

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica : V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2, p. 997.

(١٨٨) Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Heyes : Op. Cit., p. 28 .

(١٨٩) ففى ٣٤٦م شيدت كنيسـة المقربين
L'Eglise des Confesseurs
(Duval : Op. Cit., p. 17, 189, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p.p. 2084 - 2090).

(١٩٠) Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p. 2068.

فقـد ذكرا انه حتى الفيضـان العظيم ٢٠١م لم يكن مسـيحيو الرهـا يملكون سوى كنيسـة واحدة تعرف بالكنيسـة القديمة خربها ذلك الفيضان
=

« احـدى عجائب الدنيا (١٩١) » . وقيل ان الروم اشـاروا اليها بقولهم « ما من بناء بالحجـارة ابهى من كنيسة الرها (١٩٢) » . اما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانيـة اعظم ولا ابدع صنعة منها (١٩٣) » .

والى جـانب الكنيسـة العظمى بنى بالرهـا عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها فى داخل الرهـا : كنيسـة القديس دانيال (١٩٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٩٥) ، كنيسـة القديس اتيان (١٩٦) ، كنيسة الرسـل (١٩٧) ، كنيسـة حنـا المعمـدان (١٩٨) ، كنيسة القديس

= ثم اصابها نفس الكارثة فى فيضـان ٣٠٢م ثم أعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كوانا اسقفالرهـا وخليفة سعد . وبعد فيضـان ٥٢٥م الذى قلب الكنيسة اعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير .-وقلبت الكنيسـة مرة اخرى نتيجة لهزة ارضية ٦٧٩م ومرة اخرى ٧١٨م .

(١٩١) Duval : Op. Cit., p .16, Dictionnaire D'Archéologie... p. 2063,

المقـدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يذكر انها كانت بأزاج ملبسـة بالفسيفساء) .

(١٩٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٩٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الأسقف Vologèse أو Eulogius ٣٧٩م.

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٥) كنيسـة القديس Barlâhâ شيدت بواسطة ديوجين اسقف الرهـا ٤٠٩م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٩٦) Saint Etienne التى كانت من قبل معبدا يهوديا ثم اصبحت كنيسـة بواسطة رابولا أسقف الرهـا ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170, Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha اسقف الرها ٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٩٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس أسقف الرهـا ٤٥٧ — ٤٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آديا (١٩٩) ، كنيســة القــديس كوانا (٢٠٠) ، كنيســة مــارى أم المسيح (٢٠١) . هذا الى جــانب كنائس أخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكــان من اشهر الكنــائس التى بنيت فى الرهــا فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس ابرزها كنيســة سانت صوفيا أو القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى امارة الرهــا على مدينــة الرهــا فقط بل تعددت فى بقية مدنها وكــان من اهمها كنيســة قورس التى اعتبرت أيضــا من عجائب الدنيــا (٢٠٤) .

واذا كانت كنائس الرهــا قد لاقت رعاية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

---

(١٩٩) Saint Addée (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064).

(٢٠٠) Mar Cônâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرســة الفارسية ٤٨٩م .
(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خــارج المدينــة :

كنيسة القديس كوسماس	Saint - Cosmas.
كنيسة القديس داميان	„ Damien.
كنيسة القديس سيرج	„ Serge.
كنيسة القديس سيمون	„ Siméon.

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرهــا وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة المقربين وكنيســة الرهبان القديمــة
(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يذكر نيرسيس ان البيزنطيين لــا حكموا الرهــا بنوا بها هيكلا على اسم هيكلهم أيا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) اما متى الرهــاوى فيسميها Saint Sophie
(Mattieu : Op. Cit., p. 81)
اما الكنيستين الأخرتين فهما كنيســة Mar Theodoros, Mère de Dieu
وقــد بناهما الأسقف مارد يونيسيوس (Michel : Op. Cit., p. 280).

(٢٠٤) ابن شــداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لــا هدم جزء من كنيســة الرهــا بعد زلزال ٦٧٩م اعاد معاوية الأول بنــاءه .
(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

اما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرهــا كنيســة للتعميد
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

فان أول الخلفاء العباسين لم يحترم قدسيتها بل أصيبت المدينة نفسها بالتخريب فى عهده (٢٠٦) . وعندما استولى البيزنطيون على الرها ١٠٣١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان اشعلوا النار فى المنازل والكنائس - لأن مسيحى الرها كانوا يفضلون الحكم العربى على الحكم البيزنطى . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى تقى عين عليها المطران دينسيوس فاعاد ازدهارها وبنى بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، انشأوا كرسيين بطركيين لاتينيين بها هما بطريركية انطاكية وبطريركية القدس . وكان يتبع انطاكية عدة كراسى مطرانية أهمها الرها وعدة اسقفيات منها قورس ومرعش(٢٠٨) . وهكذا أصبحت الرها فى الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هى : الكنيسة اليعقوبية والكنيسة الأرمينية وهما شرقيتان والكنيسة اللاتينية الغربية .

ووجدت فى الرها فى الفترة الصليبية حوالى ثمان كنائس رمم بعضها بواسطة الفرنج وخصصت ثلاثة منها للشعائر اللاتينية (٢٠٩) .

---

(٢٠٦) Michel : Op. Cit., p. 279.

(٢٠٧) Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280.

(٢٠٨) Michel : Op. Cit. p. 191.

كانت اهم الكراسى المطرانية التابعة لانطاكية طرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافامية . اما اهم الاسقفيات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وجارم .

(٢٠٩) Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113.

اهم الكنائس فى الرها فى الفترة الصليبية هى :

١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهى كتدرائية لاتينية رممت بواسطة الفرنج

٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهى كتدرائية بيزنطية .

٣ — كنيسة المقربين Confesseurs

٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعائر لاتينية

٥ — كنيسة القديس ايثان ، ذات شعائر لاتينية

٦ — كنيسة القديس تيودور (وهى التى اختبأ فيها حوالى ثمانين من الأرمن امام تنكيل امير سروج ١١١٣م .

(Mattieu : Op. Cit., p. 105

٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .

٨ — كنيسة الأربعين شهيد .

ولتسهيل دراســة الاحوال الكنسية والدينية فى امارة الرها سنتناولها وفقا لفترة حكم الأمراء الصــليبيين المختلفين لتلك الامارة لنتبين من خلالها مــدى تأثر الحيــاة الدينية بالحياة السياسية .

ذلك انه عند وصول بلدوين البولونى الى الرهــا خرج رجال الدين لاستقباله مع حاكم المدينــة وبقية الاهــالى فى صورة مشرفة جدا وترحيب زائد (٢١٠) . والواضــح ان الترحيب البالغ الذى لاقاه اللاتين من الأرمن بالذات يشير الى انه لم يكن هناك فاصل كبير بين الأرمن واللاتين كما كان الحال بين الأرمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد ان استقر بلدوين فى حكم الرهــا لم يكن هناك اى نوع من الاضطهاد الدينى الذى قاسى منه الأرمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهده التســامح الدينى (٢١٢) . وهكذا بدأت امارة الرها الصليبية عهدها فى سلام مع الأرمن الجريجوريين والسريان اليعاقبــة واليونان الارثوذكس (٢١٣) .

اما فى عهد بلدوين دى بورج ، فكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز فى حركة التوســـع الصليبى الرهوى ، كذلك ظهر فى ذلك العهد التحالف الواضـــح بين الأمير بلدوين والكنيســـة الارمينيــة ، وعلى عكس ذلك قام الخلاف فى الكنيســة اليعقوبية .

ففى بداية ١١٠١م (٤٩٤هـ) وعند استيلاء بلدوين دى بورج على سروج قام الاسقف اللاتينى بندكت أو بانيوس بدور بارز فى قيــادة الدفاع الفرنجى فى قلعة المدينـــة (٢١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضــــار النجدة واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفى نفس الســـنة ١١٠١م بدأ الخــلاف بين المطــران بارســـابونى Bar cabouni وبين البطريرك الذى عينه مار اثناسيوس السابع ، فقــد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدســـة التى كانت مرصعة بالذهب والفضـــة الى الخزانة البطريركيــة ، والتى كان احــد الثوار قـــد استولى عليها . وبالفعل وعـــد المطران بردها ، ولكن يبدو

(٢١٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.
(٢١٢) Grousset : Ibid , V., 1, p. 67.
(٢١٣) Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 . (L'Anonyme)
(٢١٥) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 870.

انه بعد حصولـــه عليهـــا رفض ارجاعها الى البطريرك ، وذكر ان اعيان الرهـــا يعارضون فى ردها . وعندئذ احتج البطريرك واشترط عليه اما ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فانقسم اهـــالى الرهـــا الى قسمين ، الأول أيد البطريرك والثانى عاضد المطران (٢١٧) . وكان أن حاول بلدوين دى بورج عقـــد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل ان محـــاولة مطران ملطية فى هـــذا المجـــال ادت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرهـــا فى الاستعانـــة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكيـــة برنادى دى فالنس (١١٠١ — ١١٣٥م) فدعا الأخير البطريرك اثناسيوس امام محكمة فى قلعة القديس بطرس فى انطاكية . ويقال أن فرنج انطاكية توسلوا اليه أن يعفو عن سابونى ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندما حـــاول بعض الفرنـــج الأعتـــداء على البطريرك بالضرب تصـــدى لهم بعض الأســـاقفة ومنعوهم ووبخوهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيـــا يعقوبيا لبحث دعوى بارسابونى (٢٢٠) . ولكن عندما علم أمير انطاكية روجر بذلك احتج على ســـلوك البطريرك اللاتينى وقال له « أنه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الأمير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة انطاكيـــة محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قـــد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر فى احـــد اديرتها ، الا ان ذلك لم يضـــع نهاية لذلك الموضوع ، لانه اصـــدر من هناك قرار الحرمان ضـــد كنيســـة الرهـــا اليعقوبية « حتى انه أمر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى فى الرهـــا فثار بعض رجال الدين بعضهم ضـــد البعض الاخر ووصـــل الاضطراب

---

(٢١٦) Michel : Op. Cit., p.p. 193-194.
(٢١٧) Michel : Ibid., p. 194.
(٢١٨) Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٩) Michel : Op. Cit., p. 197.
(٢٢٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515.
(٢٢١) Grousset : Ibid, p. 515.
(٢٢٢) Michel : Op. Cit., p. 212.

الى حد أن بعض أهالى الرهـا تصروا أطفالهم فى كنائس اللاتين (٢٢٣) .

وفى ١٠٠٢م حـدث اضطراب دينى كبير فى بلاد الشـام وقيليقيـة وامتـد الى الرهـا ، وهو ما صوره متى الرهاوى بصورة مسهبة ، عندما ذكر أن ذلك الاضطراب قام فى البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنـج فى تحديد عيد القيامة فى تلك السنة (٢٢٤) . وكان أن قامت فى ذلك الوقت مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج فلم يكن لديهم أى اهتمام بمناواة الأرمن فى تلك النقطـة . وكان أن دخل اهـالى أنطاكية وقيليقية والرهـا فى مناقشـات لا تنتهى حول ذلك الموضوع لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان فى الرهـا الى الأنضمام عن خوف الى جـانب البيزنطيين وتخـلوا عن التحالف الذى كانوا قـد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .

وكان البيزنطيون قـد وقعوا فى نفس الخطا عندما لم تشعل انوار كنيسـة القبر المقـدس ، فى تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقـدس للمذابح من جـانب المسلمين ، وهو ما حـدث فى عهد الامبراطور باسيل حـوالى ١٠٠٦م (٣٩٧هـ) . وعندما تكرر نفس الخطـا فى تلك السنة ١٠٠٢م ، حـذر رجـال الـدين فى الرهـا الـرئيس الأعلـى للأرمن Le Catholicos Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل كتبه بخط يده وحثهم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

---

(٢٢٣) Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 515-516.

(٢٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 62.

لقـد حـدد الفرنـج والبيزنطيـون عيـد الفصـح بيوم السبت الموافق ٥ ابريل ، بينما حـدده الأرمن والسريان والعبريون بيوم الأحـد الموافق ٦ ابريل وهو يوم أحـد السعف .

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 63.

(٢٢٦) Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67.

صورة مصغرة للخطـاب :

« الى الأصـدقاء الحقيقيين للمسـيح .. الى القسس ، الى كل العظماء والى كل المخلصين السـلام .

لقـد قرات خطابكم الذى يتفجر بالحب الالهى . ولقـد فهمت تماما كل ما يحويه من ملاحظـات . واننى احثكم واشجعكم واعلمكم الصبر . وسـاصحبكم حتى الموت فى كل المناسبات ، فى كل انواع التعذيب ، لن

=

وعندما تلقوا الخطاب أصبحوا أكثر تمسكا من ذى قبل بالمذهب الارثوذكس . ويذكر متى الرهاوى أنه حدث فى عيد الفصح أن أضاء أعالى القدس أنوار كنيسة القبر المقدس عن طريق التحايل واستخدموا لاضاءة تلك الأنوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الأضواء أثيرت بالضبط فى عيد الفصح الأرمنى ، كما شاهد كل المسيحيين الموجودين بالقدس . عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم أحد السعف (٢٢٧)

وفى ١١٠٣م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيسة الأرمينية عندما استقبل الأمير ، الرئيس الدينى الأعلى للأرمن الجريجوريين ، باسيل الذى قدم الى الرها مصحوبا بأتباعه من النبلاء والأساقفة والقساوسة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغة وقدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا وأظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) .

وفى العام التالى عندما قامت معركة حران السابقة الذكر كان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها أيضا سواء من الرها أو من بقية الامارات اللاتينية الأخرى ، اذ شارك فى تلك المعركة . برنارد بطريرك انطاكية ودايمبرت بطريرك القدس الذى كان لاجئا فى انطاكية حينئذ . وبندكت رئيس أساقفة الرها اللاتين (٢٢٩) . وقد أسر بندكت فى تلك الموقعة (٢٣٠) . ورغم استنجاده فى أسره بتنكريد فانه

= ابتعد عن وظيفتى ولن انكر واجباتى . واننى مستعد ان اعطى حلا لكل نقطة فى كل ما تستفسر عنه . اما انتم فلا تهنوا ولا تيأسوا ، لأن الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقدر استطاعتنا كجنود المسيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شاهدون على اننا لم نرتكب أى خطأ ولم نفسد اى عقيدة اذا تضامنتم مع مواعظى وعقيدتى فسأكون الضامن لكم أمام السيد المسيح . أما من يرغب فى المجد الدينوى بدلا من المجد الالهى ، فسيوضع فى صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرد من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على السعادة الأبدية ... آمين » .

(٢٢٧) Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٨) Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

(٢٢٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٣٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الأسقف في رعاية أحد المسيحيين المرتدين فلما اكتشف شخصيته تحركت في نفسه شفقة الحب وسمح له بالهرب دون أن يلحقه أي أذى . وعاد بلدوين إلى الرها حيث قوبل بالعديد من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحتى نهاية عهد بلدوين دي بورج في الرها لم نعثر على أي شيء يتصل بالناحية الدينية بعد ذلك سوى ماذكره متى الرهاوى عن التخريب الذى أصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها الغربى (٢٣٣) .

والواقع أن المصادر المعاصرة لامارة الرها فى تلك الفترة ركزت غالبية كتاباتها على العلاقات الرهوية التركية فضلا عن حركات التوسع الخارجية من جانب الامارة على حساب الأرمن خارجها .

أما عهد جوسلين الاول فكان يمثل فترة صراع شديد مع جيران الامارة المحيطين بها كما بينا فى باب العلاقات الخارجية ، لذا لم تبرز الناحية الدينية فى الامارة فى ذلك الوقت الا من خلال سطور قليلة .

ففى بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريانى ان بطريرك الرها توجه الى تل باشر لمقابلته . « فصالحه جوسلين هو وكل الأساقفة واعاد كل الزخارف وأوانى الزيت المقدس التى كان قد استولى عليها أثناء غضبه من الخزانة البطريركية فى دير مار برسوما (٢٣٤) » . والراجح أنه ربما قام جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٣م .

وحوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليعقوبى مار اثناسيوس — السابق الذكر الذى كان قد رحل الى آمد — بجوسلين لأنه اصبح شيئا سجين هناك فى ذلك الوقت . فما كان من جوسلين الا ان ارسل الى أمير

---

(٢٣١) Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710.

فقد كان بلدوين يصيح على تنكريد قائلا : « تنكريد ، تنكريد تدم المعونة »

(٢٣٢) Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616.

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406 من (Foucher).

(٢٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 81.

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

آمد مهددا بتخريب بلاده اذا لم يطلق سراح البطريرك . فتم اطلاق سراحه بالفعل وعاد الى الرها ثم توجه الى دير مار برسوما حيث قضى بقية حياته (٢٣٥) .

وكان البطريرك بعد عودته الى الرها قد ظل محتفظا بموقفه من بار سابوني ومصمما على ابقاء قرار الحرمان ضد كنيسة الرها اليعقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك فى تلك الوساطات جوسلين الأول عن طريق بعض فرسانه ، لكن دون جدوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريرك توفى وهو متمسك بموقفه من الكنيسة اليعقوبية ، فى حين لم يحاول جوسلين اقحام نفسه بشدة فى النواحى الدينية .

أما جوسلين الثانى فقد اقحم نفسه فى الأمور الدينية وتدخل فى شئون الكنيسة اليعقوبية فرفض الاعتراف بتعيين اثناسيوس الثامن وعين هو أسقفا يعقوبيا صديقا له هو باسيل بارشومانا Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بل أكثر من هذا نهب جوسلين دير سانت بارسوما الذى يقدسه اليعاقبة (٢٣٨) . والذى ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقد اعترف جوسلين الثانى فى آخر حياته

---

(٢٣٥) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.

(٢٣٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.

(٢٣٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.

(٢٣٩) Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.

يذكر ابن العبرى : هنا احدى معجزات ذلك القديس بقوله « انه فى ١١٣٤م وصلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرها ، عندئذ احضر اهالى الرها التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصولها حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون احداث اى ضرر بالاقليم . ثم استنفذ البيزنطيون المطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد أن تظهر ولما رفض الرهبان القيام بذلك سخروا منهم قائلين أن التابوت ليس به شىء . فأضطر الرهبان لفتحه . وعندئذ قصف رعد مفزع وملأت السماء بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجار ثقيلة فصاح الناس جميعا (كيرياليسون Kūryālaison) أى أنزل علينا الرحمة أيها المختار عند الله ، وهرب البيزنطيون وأخفوا أنفسهم . وعندما توقف ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمدة ثلاثة أيام » .

فى سجنه أن ماحل به من مصائب مرجعه الى آثامه بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن امارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز فى الدفاع عن الرها ضد زنكى والقوات الاسلامية ١١٤٤م (٥٣٩هـ) . فقد تزعم الدفاع فى ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة فى الرها وعلى رأسهم هيو الثانى الأسقف اللاتينى وباسيل الأسقف اليعقوبى وحنا الأسقف الأرمنى (٢٤١) .

واثناء الحصار حاول الأسقف السريانى التوسط لدى الأسقف اللاتينى — باعتباره الممثل الأول لرجال الدين بينهم — لعقد هدنة لعدة أيام مع زنكى على أمل وصول نجدة اليهم . ولكن يبدو ان الأسقف اللاتينى رفض . ومع ذلك فقد ارسل باسيل خطابا بهذا المعنى الى زنكى الا ان أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى أن السريان كانت لديهم نية المسالمة تجاه الاتراك ولاغرو فى ذلك فقد كان السريان فى ذلك الوقت أكثر عداءا للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث — كما سبق الذكر — وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين اشارة موجزة فى قولها ان زنكى

---

(٢٤٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276.

(٢٤١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)
Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.
هنا نجد كل من المصدر السريانى (L'Anonyme) ، برووييه يسمى الاسقف الارمنى Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثانى باسم Papias اما ميخائيل السريانى فيسميه Bafias
(Michel : Op. Cit. p. 262)
اما نيرسيس فيضيف اسقف رابع هو الاسقف الارمنى اى البيزنطى للاساقفة الثلاثة السابقين .
(Nersès : Op. Cit., p. 259)

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)

(٢٤٣) Zoé : Op. Cit., p. 210.

بعد ان استلك البلد عنوة ، اباد قسوسها ورهبانها (٢٤٤) » .

اما المصادر السريانية والارمينيه والمراجع الافرنجية فتشير الى مصير رجال الدين بشيء من التفصيل .

فبالنسبة للأسقف هيو الثانى فانه مات فى تلك المعركة امام قلعه المدينة التى قيل انه امر باغلاق ابوابها حتى لا يلجأ اليها احد ويشترك الجميع فى الدفاع عن المدينة . لكن تكدس الاهالى بشدة امام تلك القلعة جعل الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الأسقف الذى يقال ايضا ان احد الاتراك قتله فى ذلك الوقت (٢٤٥) . والراجح انه سقط من شدة الزحام فاجهز عليه احد الاتراك . وهنا يعلق وليم الصورى على وفاة الاسقف اللاتينى بقوله « ان بعض رجال الدين اعتبروا ان هيو لقى جزاءه لشحه وتكديسه الثروة الهائلة » دون ان يقدم بعضها من اجل الدفاع عن المدينة فجنى بذلك ثمار بخله وهلكت نقوده معه (٢٤٦) .

اما الاسقف الارمنى حنا فقد ذكر نيرسيس انه « نجا من الذبحة كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

واما الاسقف السريانى باسيل فقد فصلت المصادر السريانية الكلام عنه وعن موقف زنكى منه . فقد قيل انه بعد المعركة وجده زنكى عارى الجسم فامر بتدثيره واحضاره الى خيمته وهناك وبخه على عدم تسليم المدينة ، والحفاظ على ارواح من قتلوا فرد عليه الاسقف بان هذه هى ارادة الله وان ذلك النصر جعل اسم زنكى مشهورا بين الملوك المقاتلين ، اما هو فبرىء امام السيد المسيح لانه لم يخن عهده . وعندئذ ابتهج زنكى من كلام الأسقف ورد عليه « انت تتكلم الصدق ايها المطران

---

(٢٤٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ابو شامة : الروضتين . حـ ١ ق ١ ص ٩٥ . تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين . ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit., p. 99, Iorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset: Hist. des Crois., V. 2, p 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 143.

(٢٤٧) Nerses : Op. Cit., p. 260.

لان هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرون من الله ومن الرجال ، وخاصة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) » .

وزاد من اعجاب زنكى بالأسقف باسيل انه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد اليه باعادة اسكان المدينة مرة اخرى واوصاه بحسن معاملتهم وظل هذا الأسقف حتى وفاة زنكى يتمتع بمكانة عالية جدا (٢٤٩) . وتمتع ذلك الأسقف ليس فقط بتقدير زنكى والمسلمين وانما ايضا بتقدير وحب الاهالى الذين احسن اليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) .

والواقع ان معارك الرها فى اواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين للمدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم البارز فيها ايضا ، حتى مات الكثير منهم فى تلك المعارك (٢٥١) . وفى احدى المقالات التى كتبها احدهم — وهو القديس حنا — وضع البراهين والادلة لاثبات مسئولية الكارثة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية فى المدينة التى عهد اهالى البلاد اليهم بالدفاع منها (٢٥٢) .

كنائس الرها ١١٤٤م :

وعندما بدا هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شىء فيها بما فيه الكنائس التى خرب الكثير منها ونكست صلباتها (٢٥٣) ، ثم امر زنكى بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

---

(٢٤٨) Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189.

(Michel) من (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337. من

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist, des Crois , p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189, 195.

(٢٥٠) Michel : Op. Cit., p.p. 263-264.

فقد ساهم بماله الخاص فى شراء حرية الكثير من الاهالى الذين كانوا قد تحولوا للأسر والعبودية .

(٢٥١) Nersès : Op. Cit., p.p. 251-253, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 269.

(٢٥٢) Michel : Op. Cit., p.p. 266 — 267.

(٢٥٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضى

=

او تحويلها الى ايدى المسـيحيين الوطنيين (٢٥٤) . اما كنائس الارمن والسـريان فقـد ابقى على الكثيـر منهـا وحـول البعض الآخـر الى مسـاجد (٢٥٥) . ويضيف المصـدر السريانى ان زنكى عندما شـاهد روعـه الكنائس السريانية امر بتزويدها بجرسين كبيرين بل انه « حاول اشفاء قدميه من النقرس الذى كان يعانى منه عن طريق وضعهما فى مياه من بئر ابجر (٢٥٦) » .

رجـال الدين فى الرهـا ١١٤٦م :

وبعـد ثورة الرهـا عقب وفـاة زنكى اعـاد ابنه نور الدين فتحها، نقضى على كل اهـالى الرهـا — كما بينا — اما عن رجـال الدين فقـد قتل غالبية الأسـاقفة والرهبـان الذين نجوا من مذابح الفتح الاول للمدينة على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجـال الدين اليعاقبة الذين فروا فوجـدوا ملجأ لدى شركائهم فى الدين فى ماردين وشبختان . حيث عوملوا بكـرم (٢٥٨) . اما مصير الأسقف اليعقوبى باسيل والاسقف الأرمنى حنا ، فقـد فر الاول الى سميساط ، اما الثانى فقـد اسر وسير الى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس فى ذلك الدور فقـد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث لبقية منشـآت المدينـة ، وحتى ماتبقى منها ، فقـد هجر وتعرض للسلب بواسطة جيران الرهـا وخاصـة اهـالى حران (٢٦٠) .

شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السـابع ٥٣٩هـ .
Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.

(٢٥٤) Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338.

(٢٥٥) Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et de Géographie ecclés. T. 14, p. 1422.

(٢٥٦) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme)

(٢٥٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)

(٢٥٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885.

(٢٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٢٦٠) Michel : Op. Cit., p. 272.

الخاتمـــة

وبعــد فانه يتضـــح من العرض الســـابق كيف كانت امارة الرهـــا من ناحيـــة تأسيسها أولى الامارات اللاتينية التي قامت في الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيـــام تلك الامارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسـسها الصليبي بلـــدوين البولوني مشقة كبيرة ، على عكس الوضـــع بالنسبة للامارات الثلاث الأخرى .

وقـــد اوضحنا في بحثنا كيف بدات امارة الرهـــا ارمينيـــة لاتينية ، ولكنها صـــارت بعـــد فترة وجيزة امارة لاتينية صرفة ، بعـد أن تخلص أهلها من حاكمها ثوروس الذى كان مكروها منهم-لأمور عدة أهمها أنه من اتباع كنيســـة القسطنطينية .

كذلك اوضحنا في هـــذا البحث العوامل التي ســـاعدت هـــذه الامارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمته من مصـــاعب جمة ومشقات عديدة . ونلخص هـــذه العوامل فيما يلي :ـ

أولا : كان لأهل الرهـــا الفضـــل الأول والأخير في الحفاظ على تلك الامارة . ولعب العنصر الأرمني بالذات دورا بارزا في هـــذا المجال لمـــا لقيه في غالبية الأحيان من معاملة ودية من امرائها الصليبيين ، بسبب زواج غالبية امراء تلك الامارة من ارمينيات ، اذا استثنينا بعض الظروف التي تعرض فيها العنصر الأرمني للتنكيل من جانب الفرنج خاصة عام ١٠٩٨م ، ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م . واذا كان هـــذا التنكيل الذى لحق بالأرمن قـــد تركز بالذات في عهد كل من بلدوين البولوني وبلدوين دى بورج ، فان عهدى جوســـلين الأول والثاني لم يشهدا سوى الاخلاص والحب والتفاني من جـــانب العنصر الأرمني للأمراء الصليبيين . وخير مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التي قام بها الأرمن لاطلاق سراح جوســـلين الأول من سجنه في خرتبرت ١١٢٣م .

كذلك ســـاهم العنصر الأرمني بمجهود كبير في الحركة التوسعية لتلك الامارة على حســـاب جيرانها المختلفين . بل ان اهـــالى الرهـــا جميعا ضحوا بالكثير من ابنائهم اثناء الصراع بين صليبي الرهـــا وبين المسلمين ، خاصـــة في معركة حران ١١٠٤م ثم في ١١١٠م اثناء حملة مودود على الرها

واخيرا فى الدفاع عن الامارة ضـد كل من زنكى وابنه نور الدين ١١٤٤م ، ١١٤٦م .

ثانيا : سياسة التسامح الدينى التى اتبعها الأمراء الصليبيون للامارة تجاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من ارمن وسريان كى يجعلوا منهم سندا كبيرا لهم فى مواجهة المسلمين .

ثالثا : الغنى الاقتصادى الكبير للامارة والذى حماها اكثر من مرة من اى حصار اسلامى اقتصادى يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء الشرقى من الامارة فى ١١١٠م بعد ان رحل سكانه الزراعيون ، ظل الجزء الغربى كفيلا بان يسد حاجات الاهالى جميعا ، وان كان ذلك قد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التى كانت قائمة بين الامارة وبين مملكة بيت المقدس الصليبية اذ ظلت الامارة حتى سقوطها تدين بالتبعية الاقطاعية للمملكة (١) . والواقع ان الرابطة بين امارة الرها وبين مملكة بيت المقدس كان يدعمها عامل آخر هو ان اول ملكين صليبيين لبيت المقدس ــ بلدوين الاول وبلدوين الثانى ــ كانا قبل ذلك اميرين للرها تحت اسم بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، ولذا كانا يشعران دائما بالحنين الى تلك الامارة التى شهدت بداية ظهورهما على المسرح السياسى والعسكرى فى الشرق ، مما جعلهما يبذلان كل ما فى وسعهما لتحقيق الامن والسلام لتلك الامارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك بلدوين الثانى من اسر جوسلين دى كورتناى ١١٢٢م (٥١٦هـ) وتوجه الملك للانتقام من آسرية ووقوعه هو الآخر فى اسر الارالقة ١١٢٢م (٥١٧هـ).

خامسا : وجود بعض العناصر المتشققة المتنافسة فى الجبهة الاسلامية التى اتاحت بانشقاقها الفرصة لتلك الامارة كى تصمد حتى فى احرج فترات نموها . مثال ذلك التأييد الذى وجدته امارة الرها ١١٠٨م (٥٠٢هـ) من جانب الأمير جاولى ، فى الوقت الذى أيد فيه رضوان صاحب حلب امير انطاكية تنكريد . وكان من الممكن اذا تكتلت الجهود

---

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.
هنا يذكر (بازدرمادجيان) انه فى ١١٠٠م تكونت فى سوريا أوربا اخرى على غرار أوربا الكبرى . وقام بها النظام الاقطاعى بشكل اقسى مما كان موجودا فى اى دولة قريبة .
(H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 206).

الاسلامية ضد الاميرين الصليبيين المتنافسين ، ان تقضى على احدهما ، مثل امير الرهـا . كذلك كان من الممكن ان تسقط امارة الرهـا ١١٢٢ ـ ١١٢٣م . عندما كـان أميرهـا أسيرا هو وملك بيت المقدس نفسه فى قبضـة بلك الارتقى ، لكن الانقسام فى صفوف المسلمين والأحقاد الشخصية لعبت دورها فى تضييع تلك الفرصـة أيضـا ، حتى ان بلك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤م .

فاذا أضيفت الى ذلك العقبـات التى اصطدمت بها حركة للجهـاد الاسلامى التى بداهـا مودود ١١١٠م ، لأكتمل تأثير هـذا العامل فى امتداد حكم تلك الامارة فترة من الزمن . ففى الوقت الذى كان مودود قـد احرز قـدرا كبيرا من التقدم فى صراعه ضـد الفرنج عامة وضد الرهـا خاصـة نراه يقتل بيد أحـد الباطنية ١١١٣م (٥٠٧هـ) . ثم اعقبه فى نفس المصير ايضـا البرسقى وذلك ٥٢٠هـ ـ ١١٢٦م .

لكن اذا كانت تلك العوامل مجتمعة قـد اخرت بعض الوقت سقوط تلك الامارة ، بعـد ان تجشمت للكثير من المشقات فى حماية الجـانب الشرقى للصرح اللاتينى فى الشرق ، فاننا أوضحنا فى بحثنا العوامل الأخرى التى تضافرت فى النهاية للقضـاء على تلك الامارة واهمها :

١ ـ تفكك الحلف الفرنجى البيزنطى الـذى مثل لفترة من الزمن عائقـا مهما أمام جهود زنكى .

٢ ـ العداء بين امارتى الرهـا وانطاكية الذى ترتب عليه انعدام وجود سند صليبى قريب جـدا للرهـا .

٣ ـ انصراف امير الرهـا جوسلين الثانى الى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ عن امارته .

٤ ـ ظهور الشخصية الاسلامية القويـة ، الممثلة فى عمـاد الدين زنكى . التى كبدت الصليبيين خسائر جمة فى بلاد الشـام ، حتى سقطت امارة للرهـا على يديه . وكان يمكن أن يستد الحكم الصليبى لتلك الامارة فترة اخرى بعـد وفـاة زنكى غيلـة ، لولا ان الظروف خدمت القضية الاسلامية فى ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بحمل راية الجهاد الاسلامى ، واكمل الجهد الكبير الذى بداه ابوه وحقق هو الاخر قدرا كبيرا من النجاح فى ذلك المجال . وبذلك محا نور الدين امارة الرهـا تماما من الخريطـة المسيحية ، وهو الأمر الذى حرك الحملة الصليبية الثانية .

٥ ـ وعند سقوط الرهـا كان صليبيو الشـام غاية فى الضعف لا يرجى من ورائهم اى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القـدس تحت حكم ملك شـاب قليل النشـاط فى حين سيطرت النسـاء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع ان اهم ما عنيت بابرازه فى هـذا البحث هو الحقيقة الخاصة بأن امارة الرهـا كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين الممتلكات الارمينية خارجها من اجل التوسع .. وحرب حركتها الأحقـاد والأطماع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكيـة . هـذا الى جـانب مشاركتها لبيت المقـدس فى حروبها المختلفة ضـد المسلمين ، بحكم تبعيتها الاقطاعيـة لها .

لهذا كانت حيـاة الاستقرار والهدوء وما يتبعهـا من ترف وتقـدم حضـارى من اهم المظاهر التى افتقدتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قـد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامـة فى ذلك الوقت فلا شك فى ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الأخطار التى عاصرتها الامارة .

وهكذا يبدو الجديد فى هـذا البحث فى انـه يعطى صـورة متكاملة لامارة الرهـا من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصـادية والدينية . بعكس الدراسـات العامة التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربيـة ضمن اطـار الحروب الصـليبية بوجـه عام .

هـذا فضلا عن اننا استكملنا بعض الحقائق الخاصـة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجـع بطريقة ناقصـة او خاطئة ، والقينا اضواء على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرهـا وجيرانها المسلمين او بينها وبين الصليبين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا فى كل ذلك بالمصـادر الأصلية التى يتركز جزء كبير منها فى الموسوعـة الضخمة التى تجمـع ما كتبـه مؤرخو الحروب الصـليبية
Recueil des Historiens des Croisades

هـذا بالاضـافة الى ما كتبه وليم الصورى William of Tyre

---

(٢) Zoé : Op. Cit., p. 350.

الــذى اعتمدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة من اللاتينية .

هــذا فضــلا عن المصــادر البيزنطية واهمها كتاب الالكسياد الذى كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad

والمصــادر السريانيــة وعلى راسها كتــاب ميخــائيل السريــانى Michel Le Syrien والمصادر الارمينية وعلى راسها ما كتبه متى الرهــاوى والكاهن جريجوار والقسـديس نيرسـيس شـنور هــالى Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali. صــاحب قصيدة رثاء الرهــا التى اوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق مع بضــع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا اهمية المصــادر العربية المخطوطه والمطبوعــة ، وهى التى افادتنا كثيرا ببعض النقاط الجـديدة مثل مؤلفات ابن القلانسى وابن الاثير وابن العـديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل اهمية الكثير من المراجع الحديثــة التى أمدتنا ببعض الأراء الهامة ومنها كتاب براوير المترجم عن العبرية الى الفرنسية والمطبوع بباريس ١٩٦٩م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

وكتاب اولدنبرج Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى استفدت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع الوصول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الاراء الهامة عنه احيانا أخرى .

تــم بحمــد الله

ملحـق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التى حملها رســل اتباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة أخيه وليدعوه الى حكم القــدس بدلا منه ١١٠٠م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القــدس ــ جود فرى ــ يتمنون لك الصحه . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كى نخبرك ان اخاك جود فرى حاكم بيت المقــدس قـد توفى . وبناء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية أن تحضر بسرعة وتتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لأنهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا ان يكون اخا او قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقسموا الا يحكم بيت المقــدس أو يجلس على عرشها أجنبى » .

ملحـق رقم (٢)

نص خطــاب تنكريد الى بوهيموند ، الــذى طلب فيه النجدة ضــد الأتراك المهاجمين للرهـــا ١١٠٤م بعــد وصــايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتمنى تنكريد التوفيق لخــاله السيد بوهيموند ــ حــاكم انطاكيــة العظيم . لقــد تراجعت ــ بامر الاله ــ عن الرهـــا وتركتها بين أيدينا ، وعينتنى مدبرا وحــاميا للرهـــا ، فى مكان اخينـــا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحــدا من جديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرهـــا مجاة ، ليدمروا قلاعها واســوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينــة ، ويأخذونى أسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلاننا

معتمدون على ثقة تنكريد ، الذى تكنه دائما للمخلصين للمسيح ، قررنا أن نحيطك علمـــا بما يحــقق بنـــا من اخطار ورغم علمنا بالصعاب التى تواجهك ، الا انه يجب استدعاء الحلفاء والأصــدقاء من انطاكية والأماكن الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعــد ان غلبنا على امرنا وحوصرنا ، حتى نقلل من تهديدات الاتراك ونحــد من غرورهم ونطردهم ـــ باســـم السيد المسيح ـــ ونفك الحصــار الذى نتعرض له حاليا . لأنه يجب أن تعلم اننا قلة فى هـــذه الأرض .. فاذا تفرقنا واصـــابنا الاجهاد سنفشل ولا نستطيع الوقوف امام شجاعة الأعداء » .

ملحــق رقم (٣)

نص رســـالة بوهيموند وتنكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب جكرمش رد اسيرة سلجوقيـــة كانت فى انطاكيـــة فى مقابل اطلاق سراح بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 610.

« نقــدم الطاعة الى السيد بلــدوين ملك بيت المقــدس المتعصب للمسيحية دون تردد ، وقــد قررنا نحن بوهيموند وتنكريد أن نكون عنــد حسن ظنك من اجل اطلاق سراح بلدوين الصــديق والحليف . لقــد كان اسره ومازال مصـــدر قلق لنا ، لكننا يجب ان نحصل بقــدر الأمكان على اى مبلغ من المـــال بالقوة مع الاخ بلدوين من اجل رد الاسيرة السلجوقية ، لاننا فى حاجة الى المـــال بشــدة لدفع مرتبات الجنــد ، نحن المخلصين لكم باستمرار » .

ملحــق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لاهالى القــدس كى يحثهم على مساعدة الرهـــا ضـــد الاتراك ١١١٠م ، بعــد انتصـــاره فى بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 671.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا ونحقق انتصـــارنا ..

لكن الآن ، ابحث عن ارادتكم الطيبة ، انتم جميعا ، كى نقدم المساعدة لامارة الرها ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالما انهم حلفاء لنا ، وهم مستعدون لمساعدتنا فى كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتردد فى التعاطف مع اخوتنا واصدقائنا » .

ملحق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال مذكرته (آنا كومنينا) عن بعثة الامبراطور الكسيوس كومنين الى ملك بيت المقدس بلدوين الأول بخصوص تنكريد امير انطاكية .

عن : Anna Comnena : The Alexiad., p. 367.

». عندما وصل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينة المقدسة كى يتفاوض مع الملك بلدوين ضد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعدت بانك سوف تساعد الامبراطور ضد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المال الذى ارسل اليك بدون تأخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته فى مساعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود تضايق ، وكل السلالة البربرية مثله ، فهى دائما فاغرة فاها من أجل الحصول على الهدايا والمال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الذى من أجله دفع المال » .

قابل الرسول ايضا الأمير جوسلين دى كورتناى فى يوم عيد القيامة — حيث كان قد حضر للعبادة فى كنيسة القيامة — وجادله فيما يلائمه (بخصوص موضوع تنكريد) ولكن عندما اكتشف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقدس دون أن ينجز شيئا .

ملحق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى أمير انطاكية والأمراء الصليبيين بعد انسحابهم من شيزر ١١٣٨م .

عن William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند اننا مكثنا فى جوارك وقتا طويلا لحبنا لك ، انه يجب أن نوسع امارتك ونمد ممتلكاتك لضرب اعداءنا . ولقد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى اتممناه سابقا من خلال وساطة الرجال الحكماء فى امبراطوريتنا . محبوب الله ، وانت ياتابعنا المخلص ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهذا وقت لانجاز وعدنا بوضع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقفون معك فى حضرتنا يعرفون أيضا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى يأخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضح ان شئونك تتطلب اقامة أطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا اكثر . لذلك يجب أن تسلم لعنايتنا قلعة هذه المدينة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضع هنا فى أمان . قواتنا أيضا يجب ان يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينة . الات الحرب التى نحتاج اليها لحصار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس او عين زربة او المدن القيليقية الأخرى ولهذه الأغراض فهذه المدينة تقدم تسهيلات حسن من اى مكان آخر — أنجز وعدك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمل واجبك وسيكون عمل سموِّنا الامبراطورى أن ننفذ الالتزامات الباقية علينا » .

ملحق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتنكيل الأمير مودود وقواته بأهالى الرها ١١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة اهالى الرها وأهالى الاقليم المحيط بها ، من مخابئهم ومعهم النساء والأطفال فى اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحدث عندئذ ان قام اثنان من الفرنج بعمل مخل بالأصول ، اذ توجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيدة المسيحية ، واخبروه بهروب ذويهم وانسحابهم . وكان ان اسرع مودود لمطاردة المسيحيين ، ماراق الدم فى كل مكان . من الرها حتى الفرات ، واباد أهالى المدينة واهالى الريف سواء . وعندما وصل مودود الى شاطىء الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم واسر العديد من النساء والأطفال . وكان الفرنج قد توجهوا قبل ذلك الى الشاطىء المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعـــاج تمر تحت حـــد السيف ، وانزل بهم سودود عقوبـــة الانتقـــام الالهى بمثل تلك القسوة حتى ســـال الفرات بفيضـــانات من الـــدم . هناك كثيرون غرقوا فى ميـــاه النهر ، لان اولئك الـــذين القوا بأنفســهم فى المـــاء واجتهدوا للوصول الى الشـــاطىء الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . اما الذين ركبوا المراكب فقـــد اكتظت بهم حتى غرق منها خمسة أو ستة بسبب امتلائها بهم . وفى ذلك اليوم أيضـــا تعرض كل اقليم الرهـــا للنهب بعـــد ان اخلى من السكان . كانت تلك هى الكارثة التى اشـــار اليها الرســـل القدامى فى كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على امـــة ابجر » .

أما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقـــد شـــاهدوا فى حزن تلك المنـــاظر المروعة ، دون ان يستطيعوا أن يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينـــة .

ملحـق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السريانى للرهـــا ١١٤٦م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب ، ويوم بدون شفقة ! حلت فيـــه كارثة الغضب الشـــديد على الرهويين البؤســـاء يا ليل الموت ومصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهـــالى المدينـــة العظيمـــة . يا للحسرة أيها الأخوه ! من يستطيع ان يروى أو يسمع دون دموع ، كيف ان الأم والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخترقهما سهم واحـــد دون ان يحدا من ينقذهما أو ينتزع السهم من جســـدهما ! وكيف ســـحقت حوافر الخيل بعـــد ذلك كل من لحقت بهم فى قســـوة ! وطوال الليل رشقت اجســـامهم بالسهام ، وعند انبلاج الصباح ـــ الـــذى كـــان اكثر ظلاما من احلهم ـــ ضربوا بالسيوف والرمـــاح » .

لقـــد اهتزت الأرض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالمنجل على السنابل وكالنار فى الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واختلطت جثث الأســـاقفة والشمامســـة والرهبان ، والنبلاء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرهـــا الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحـة العفن من جثث ابنائها وبناتها ! فاسرعت اليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينـة لتقتات اثناء الليل من جثث القتلى .

نعم ، غـدت الرهـا مقرا لابناء آوى . ولم يعد يدخلها أحـد سوى اولئك الذين كانوا ينبشون ليكتشفوا ثرواتها . اما اهالى حران وبقيـة الاعـداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الاعيان قائلين مرحى ! مرحى !

ملحـق رقم (٩)

العظة التى كتبها ديونيسيوس الامـدى بصدد خراب الرهـا ١١٤٦م ونقلها لنا ميخائيل السريانى .

عن : Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن ان نصـدق أن السيد المسيح الذى لم يتمن فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والاسر ... الخ ؟ فاذا قيل ان هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مسـاعدته ، وهو المطلع على كل شىء ، يكون هـذا نوع من السـباب ، لأن المسـيح لا يتخـلى ولا تتكاسل يديه منا ، لكن عندما تخلينا نحن أولا عن ارشـاداته ، عندئذ سمح بأن نوزم بأيدى الاعـداء ، حتى نتأدب . فنحن السبب فيما يصيبنا من نفع او ضرر . فاذا اعترفنا بوجوده فان الله يسـاعدنا ، وعلى العكس اذا انحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وقادنا الشيطان الى انجازها . ان السيد المسيح ترك المصـائب تحل بنا بسبب ضلالنا ، كما حـدث لأهل الرهـا الذين كانت نهايتهم اسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانيـة لا يستطيع اللسـان تحـديد فظاعتها . لكن يجب الا ننسى أيها الرجـال أن تلك الأمور وغيرها من الأمور المشـابهة قـد حلت ليس فقط بسبب معصية هـذا الشعب وحـده بل ايضـا بسبب المعاصى الكثيرة التى ارتكبت فى كل الأماكن وفى كل البلاد ففى تلك الفترة السيئة ابتعـد كل شخص عن العدالة وانغمس فى الظلم ، ابتعد عن القداسـة واستسلم للكفر . وتضـاعفت المعاصى واصبحت اكثر من شعر الراس . ومـع ذلك فان عـددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

ايها الاخوة يجب ان نتوب ونرتعد ونخشى عاقبة فجورنا ... وهـذا يكفى الآن » .

ملحـــق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنورهالى الأرمنى عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhali : Eligie sur la prise d'Edesse,
(R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نـــداء لعموم النصـــارى :

ايه نوحى أيتهـــا الكنـــائس ياعرائس الخـــدن السماوى (٢)
أيهـــا الأخوة والأخوات الأحباء المقيمون فى ارجـــاء المعمورة كلهـــا
يا ايتها المـــدن والقـــرى يا أمم الأرض وقبائلهـــا
يا ايها المؤمنون بالمسيح اليكم اوجـــه رثائى
فاستمعوا لعويلى وبكائى

نـــداء لمـــدينة القـــدس :

يا قـــدس ، يا مدينـــة الله يا مهـــد الشريعة والأنبياء
يا موطن الله الأوحـــد الـــذى أشرق على نوره الســـاطع
لأنى أول من اعترف بمساواة الابن للأب
اصغى الى ايتها الحبيبة والى بكائى ونحيبى
شـــاركينى فى اوجاعى وعزينى وواسى فؤادى الجريح الكئيب

نـــداء لمـــدينة رومـــا :

وانت يا روما ، يا أم المـــدائن يا موطن العظمه والجلال
يا كرسى بطرس الأعظم اليك خطابى وحـــديثى
اصغى لوقف بداوسى وكرسيه اصغى لصوتى من بعيـــد.
الا ابكى معى ونوحى وانضمى الى بالنحيب
اسرعى ومـــدى الى يـــد المعونة فانى فى الأغلال فى غياهب السجون
هلمى للثـــار والأنتقـــام ممن عادانى واستعبدنى

---

(١) هذه بعض مقتطفات من القصيدة التى اقتصرنا فيها على الفقرات الهامة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضـــوع (البحث) . افتتحهـــا المؤلف بقوله (مقالة للانبا نيرسيس بطريرك الأرمن ـ وضعها باســـلوب الملحمة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرهـــا الكبرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعه وثلاثون هجريةفى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر، الســـاعة الثالثه ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوربيه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم الســـبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م الســـاعة التاسعه صباحا .

(٢) الخـــدن السماوى هو المسيح .

نــداء لمدينــة القسطنطينية :

اليك دعــائى الملهوف | يا مدينه العظمة والابهه
يا من شـــادها الملك قسطنطين | على ابواب آسيا الصغرى
لقــد اصبحت قدســـا اخرى | وروما جـديدة مجله
لقـــد كنت ملكا لك | وجزعا منك يا أم المـدائن
وبنيت على ارضى هيكلا | وسميته باسم هيكلك (٢)
اليك اتوســـل . عبثى | قواتك العــاتيه
واطعنى الاعـــداء فى صميمهم ثارا وانتقاما

نــداء لمــدينه الاسكندرية :

ها انى اصرخ تحت ابوابك | يا أم المـــدائن المصرية
لقــد اسسك الاسكندر الاعظم | وشيدك على اسمه
انت كرسى مرقس | كم اقام فيك من آباء عظــام
وتربعوا على عرشك | لكنهم مضوا الآن
وكانى بك فى حال يدعو الى الرثاء مثلى .
كنا يوما مدعـــاة للحســـد والغيرة وامسينا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة | ولذلك فــانى اتوســـل اليك ايتهـــا
الشقيقة الجليلة | ان ارثى معى الآن وابكي.

نــداء لمــدينة انطاكيــة :

اليك حديثى وعتــابى | يا شقيقتى الحبيبة انطاكيـــة
يا موطن الرســـل وموئلهم | اية ايتها القرينة الحبيبة
لم لم تهرعى الى | وانت فى اليسر والسعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة | بل شمت بى وتركتينى
هلمى واصغى الى نحيبى | وشـــاطرينى حسرة اضرمت فؤادى
وولولى معى وانتحبى | وواسى قلبى الجريح

نــداء لمــدينة آنى :

اليك ايضـــا ندائى | يا مدينة آنى عاصمة المشرق
ضمى نحيبك الى صوت نحيبى | وعزينى فى محنتى
انظري الى ذلى وشقائى | والى محنتى وعا الى

---

(٢)كنيسة اياصوفيا اوسانت صوف.

هلمى وافرجى الغم عنى هيا واجمعى بناتك
وبــادرى ألى البكــاء على والبسى الحــداد
وادعــى مم الأرض الى الرثــاء والنحيب
واقلقيها بانينك المفجـع فليس للقلوب المكلومة من دواء
غير التعزية والســلوان

الرهــا تسرد تاريخها المجيد وتشيد بغناهــا :

ســاذكرها هنا ما اسبغه على الله تعالى من نعم
ثم الويلات التى حلت بى بغتة من اجل ذنوبى وآثامى
كنت اما لرهط من البنين وولدت منهم عــددا لا يحصى
وارضعتهم من لبن ثــدى وربيتهم خير تربية
ونشــأتهم خير تنشئة اذ كنت ارضــا خصبة معطاء
وينبوع لبن سخى لقــد تراكمت فى الخيرات
وغلات الأرض باصنافها وانبثقت من أحشــائى ميــاه حية
انمشت الأغراس الخضراء وروت البســاتين الفيحــاء
وجلبت على الاهالى الفرح والبهجة وكانت مياه البحر تمتد بين اسوارى
فينبعث منها نسيم عليل وتغسلنى وتطهرنى
وتزين الميــادين وتنعش الأعشــاب والأزهار البهية
وتجعلنى كاحــدى جنــات عــدن ثم تنســاب بين الأشجار الكثيفــة
متثمر موفرة وسخاء وتتمايــد باغصــانها الهيفــاء
ونفوح منها عطور سماوية فتضمرنى بالنرجس والزعفران
مع اطواق الورود والبنفسج كم كانت تربتى خصبة غنية
بما تدره على من ثمار وارزاق لو شــاء احــد حصرها وتعدادها
لما وجد الى ذلك سبيلا مهما سعى فكانت تربتى اذا حرثها
الحــارثون وزرعوها تجلب الأرزاق الوافرة
والغلات الكثيرة اقوت بها ابنائى
فيفرحون ويبهجون بما لديهم من خيرات جمة .
ولو وجــد من استطاع ان يصف موقعى وصفا ملائما
لمــا وجد لى مثيلا فى مدائن الأرض كلها
كنت متربعة على عرشى الفخم كملك اعلى مركبته
او ملكه رائعه الجمال تجليت برداء زركش بالفضة والذهب
وهــدب باهداب براقــه وازدانت باسمى الحلل
وكانت الأسوار تحيط بى وحصن منيــع يحمينى

والقلاع الشـــامخة الرهيبة المتقنة البنـاء والتحصين
كانت كالرؤوس الضخمة على ابدان متينة مسـلدة
وكان لاسوارى اسس عميقة وفى اعاليها تسنن كأسنان التيجان.
وكان فى مبان فخمة وهيكل رائـع شيد فى المنطقة الوسطى الفنـاء
ثم الأسواق والشوارع تمتد بتنسيق وانتظام
والقصور الشـامخة التى يعجز لســانى
ولســان اى انســان عن وصف بهائها وروعتها
فانها كانت تحاكى الديار السماوية وتضاهى المواطن العلوية
ساحرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخـاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حـدثت عنـه
وسردت قصته بايجاز كان فى عصر غابر
لكنه اضمحل الآن بغتة . كنت فى خير وسعة
كنت فى هناء ورخـاء حتى أكبرنى من رآنى وعظمنى
ومن سمع عنى اعجب بى ولكن جاءت ســاعة المحنة
وكل ما اسبغ على من نعمة زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر علقم وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الهى الآن سوى الأشفاق

حال الرهـا بعد فتح الفرنج لها :

لقد تدحرجت من السماء الى الأرض من الاعالى الى الحضيض
موطئت وذللت ونسيت وصـايا ربى
وهجرت شريعته وارتكبت الذنوب والآثام
وتدنست بالمنكرات منذ تلك الساعة التى بدات فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

الاتابك زنكى يحاصر الرهـا :

لمـا تحقق زنكى من دلى وهوانى زحف نحوى زحف الثعابين
ليلسعنى فى كعبى ويرشقنى بسهامه الخفية
اختنا فى الحقول ثم اجهز على على حين غرة
فى ساعة لا انتظرها اذ انه ما ان تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحماتى حتى حاصرنى من كل ناحية

وهاجمنى بقواتـــه وسدوا فى وجهى كل سبيل
ولم ينفكوا يحاربوننى ويضايقوننى ليل نهار
ولم يزالوا يغيرون تحركاتهم ويقتحمون الميدان بقوات جديده
لقــد مدججوا بالســلاح واشهروا الحراب
واستتروا وراء مجنات جلديه ورفعوا الاقواس والأسنة
وراحوا يرشقوننى بسهامهم الحاده
ثم ســادو امامى سورا ونصبوا عليه المنجنيق
وامطرونى بوابل من الحجارة وامعنوا ضربا وتحطيما
وجاهدوا واستماتوا لكنهم لم يستطيعوا
قهر رجالى وابطالى حتى لجأوا الى حيلة
فقــد حفروا كما يحفر الخلود ثغرة فى قاعدة السور
ثم نصبوا فيها الأعمدة والاوتاد من تحت السور وابراجه
واعدوا العدة لحرقها على ما جرت عليه عادتهم
ثم هتفوا باهل المدينة قائلين : « هلا كففتم عن المقاومة
كيلا تموتوا شر ميتة واستسلموا راضين لا صاغرين
والا فبئس المصير »

استماته الرهويين فى الدفاع عن مدينتهم :

لكن اولئك الابطـــال ما ان سمعوا هــذا الوعيد
حتى ابوا ورفضوا واقسموا وتعاهدوا
الا يخلو الميــدان ولا ينسحبوا من المعركة
ولا يصغوا لتهديد العدو ولا يفتحوا لهم ابواب المدينــة
وراوا انه من الأفضـــل ان يموتوا فى مواقعهم
من ان ينكثوا بعهدهم ثم راحوا ينــادون بعضهم بعضــا
ويهتفون قائلين : « لن نخاف ولن نهلع
ايها الاخوة من سيوف العدا ولن ندع بســالة الأبطــال
يعتريها رعــدة الانذال ولنخلفن من بعدنا اسما ابيا
يعلن على جميع امم الارض علينا بالشدة ورباطة الجاش
مازالت آمالنافىالديار السماوية ».
ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال بعضهم لبعض
ويتبادلون عبارات التوعد والتشجيع وراح الأب يحث ابناءه
والأبناء يستمدون للقتال وعلا نداء المعركة

واقتحم الميادين والمنازل فلم يعد بينهم خاصة موقرين
ولا سوقة مذلولين بل كلهم متساوين متحدين
وعلى راى واحد مجتمعين وكان المطارنة والكهنة
كل واحد يستحث جماعته على الصمود والنزال
وعلى الوقوف وقفة الشجعان فى وجه الاعداء
بلا خوف من سيوفهم التى لا تفتك الا بالاجسام

انقطاع امل الاهالى فى وصول المدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون عبارات التشجيع ويقولون :
ها هى ذى الحشود السماوية آتية لشد ازرنا ومساندتنا » .
وينتظرون من يعينهم ويبثون الأنظار فى الطرق والمسالك
ولا ينفكون ليل نهار ينتظرون النجدة
لكن لم يصل احد ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا عن مد يد المعونة الينا
عندئذ دب الجهد والنشاط فى صفوف العدو
لتنفيذ حيلة المنجنيق على جناح السرعة
وبسبب معاصى الكثيرة والآثام الجسيمة
قطعوا على كل سبيل للمدد والمعونة

انهيار طرف من السور واحداث أول ثغرة فيه :

ان فؤادى الآن ليدمى وعقلى وروحى يضطربان
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب ذلك الصباح المظلم
ذلك النهار الأسود القاتم وطلعته السوداء المكفهرة
حين انبعثت نيران سادوم (٢) من اعماق الأرض
ولم تمطر من السماء بل من اجواف الخنادق
واذا بالسور الحصن ينهار ويتداعى
ويندك من أسسه .

---

(٢) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيهما الاثم فأمطرهما الله من السماء بالنار والكبريت وهنا يقول (نيرسيس) ان النار لم تمطر من السماء كما حدث لسدوم وعمورة بل جاءت من الأرض من الثغرة التى احدثها المسلمون فى قاعدة الأسوار . (عن سدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الاصحاح التاسع عشر) .

صمدة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا
ولم يلذ احـدهم بالفرار
بل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم
الأخ يشجع اخـاه
ويشد ازره ببسالة
وصمدوا على خـرائب الاسـوار المدمرة
يحرضون بعضهم بعضا على الكفاح
والكهنه بحللهم الكهنوتيه
اشهروا الرماح والسيوف
والأحبار الاجلاء
رفعوا راية الصليب بأيديهم
وهم يهتفون بأعلى اصواتهم :
« لا تخافوا أيها الأبناء الأحباء
لا تخشوا أن تموتوا ميتة الأبطـال
فانها افضل من هـذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الأولى :

عندئذ احتشدت قوى الأعداء
بكامل عددها وعدتها
واندفعوا على ثغرة السـور
لكن الجنود البواسـل
ما لبثوا ان هرعوا اليهم
ووقفوا فى وجوههم
وردوهم على اعقابهم .

انهيار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتنى
يتم ها هنا حديثى
لكن لا طائل من الصمت
لقد اصابتنا وحلت بنـا
أرزاء وخطوب جسيمة
اذ عندما عجز الأبطـال
والمحاربون عن صـد الهجوم
هتف القـائد الجهنمى (زنكى)
بقواته الجرارة
وامرهم ان يأتوا على كل شىء
قتلا وسبيا وتدميرا
فاحدقوا بالمدينـة من كل صـوب
وطوقوها ثم اقتحموهـا
ولاحقوا الأهلين واحـدا واحـدا
اما ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا
واما الأقوياء فازدادوا همة وشـدة
والبعض سـموا الى الموت حثيثا
وآخرون ماتوا ذعرا وهلعا
وتجمـع نفـر قليل من الرجـال
غيـر كـاف لحمايـة الأسـوار
لكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم
لمـا كان قـد لحق بهم من ارهاق
ولمـا تحمـلوه فى قتـال طـويل
كـان قـد بدأ منـذ شـهر ونيف

اقتحـام الأسـوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الاسوار خـالية من الحـرس

فتسلقوها صاعدين واقتحم بعضهم الأسوار
وما ان شاهد الأهالى ذلك حتى استولى عليم الذعر
فاطلقوا اصواتهم صارخين واسرعوا الى الهرب .

اهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب تراجعوا الواحد تلو الآخر
وهرعوا مسرعين نحو باب القلعة
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا فجرت دماؤهم كالسيول :
الشبان والاطفال ذبحوا بلا رحمة
ولم يرحموا شيب الشيوخ ولا براءة الغلمان
ولا حرمة الكهنة ولا جلال الاحبار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة الغادرين الذين كانوا يحمونها
اقفلوا الابواب فى وجه الاهالى ولم يسمحوا لأحد بالدخول
فحاول الشعب أن يلوذ بالفرار هربا من حد السيف
وتهافتوا على الابواب كهجوم الاخير وراحوا يتسابقون اليها
ويتسارعون ويتصادقون لكن الأبواب اقفلت فى وجوههم
وكانت سيوف الأعداء من خلفهم فتكومت جثثهم على الابواب
اكواما عالية . رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا
واحداثا من كل جنس وسن . كانت البنات يبكين فى احضان امهاتهن
والأمهات يتشبثن باطفالهن ويلاقين الموت معهم
والاباء يسألون عن بنيهم لعلهم يجدون وسيلة لنجاتهم
والانساء يسعون مع آبائهم بحثا عن مكان امين
لكنهم لم يجدوا من معين فالشقيق لا يبالى بشقيقه
ولا هو يشفق على شقيقته لانه عاجز عن الحراك
سقط كل واحد فى موضعه بعد ان كتمت انفاسه وانقطعت
أما الذين نجوا فقد هربوا خشية من السيوف الصوارم
من فوق جثث القتلى وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لكن جنود الاعداء لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
وراح كل منهم على سجيته وهواه يختار فريسته المفضلة
اما من كان وسيما جميلا فاتخذوه اسيرا
لا سيما من استحسنوهم من فتيات وغلمان

اما الطاعنون فى السن فقتلوهم شر قتل
وكدسوا جثثهم تكديسا ونكلوا بها تنكيلا
فما كفن احد بكفن ولا غطى برداء
ولا دفن فى قبر ولا ذرفت عليه دمعة
لم تسمع فى ذلك المأتم الرهيب ترانيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف والآباء الروحانيين الاربعة :
الصقلبى (٤) والأرمنى والرومى والسريانى
ضحوا جميعا بانفسهم ولم يهابوا الموت
ولم يهملوا قطيعهم كى ينجوا بانفسهم
حتى أن امام الفرنج خرج بنفسه الى الميدان
واستشهد مع رعيته اما رئيس الطائفة الارمينية
فقد نجا بمشيئة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

عمال السلب والنهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغو من هذه الأمور سلبوا الذين وقعوا فى اسرهم
والذين سفكوا دماءهم بسيوفهم سلبوهم اموالهم واملاكهم
واملاك آبائهم وأجدادهم وذهب النساء وحليهن
والحلل الثمينة وآنية الفضة والذهب
واوعية البخور المعطرة وستائر الكنائس
وحلل المذابح وملابس الكهنة الثمينة
وأردية الاحبار واشياء اخرى كثيرة
مما يدعوا الى الرثاء والحسرة

ابتهاج الغالبين بالفوز والنصر :

اما ائمتهم المدعوين « علماء »
فقد صعدوا الى الأبراج العالية من حيث تقرع الاجراس
وراحوا يصرخون بأصوات عالية هاتفين قائلين :

---

(٤) اى الفرنجى .

(٥) هو النبى يونس الذى عرف باسم يونان وجاءت أخباره فى نبوءة يونان .

« يا رسول الله محمد »
ديارك ودارك
المتعبدة لحجارة صماء
وفقا لتعاليم قرآنك
يا مكه العظيمة ، موطن محمد
والقدم المرسومة على صفحتها
جميع هؤلاء الشارقة
وخدام يسوع المسيح » .

لقد استرددنا ماكنا قد فقدناه :
من هذه الأمة الضالة
لقد روينا الأرض من دمائهم
اليك نزف البشرى
يا قبلة الأمانى بكعبتها السوداء
اننا سنرد اليك اليوم
عباد الصليب الضالين

رسالة زنكى التى تحمل بشرى النصر الى الخليفة فى بغداد :

« السلام عليك ، ابشر
وعلى مدينتهم المنيعة
وليست هذه سوى بداية المعارك
ومن اجل الرسول وليك
فاذكرنى اذن يوم الجمعة
كى استطيع ازالة يسوع
وانكل بكل من يدمى

ها انذا قضيت على عباد الصليب
وعرضت اسسها لأشعة الشمس
التى ساخوضها من اجل دينك
رسول الله ونبيه
لدى صلاتك فى المسجد
وجميع اتباعه من على وجه الأرض
ان لله ولدا » .

سبب سقوط الرها فى يد زنكى من وجهة نظر نيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله
تمكن من فتح الرها
بل من اجل خطاياى الجمة

ولا بباس قواته
واعمل فيها السيف وسباها
ولكثرة ما اقترفته من آثام

مصادر البحث

(ا) المصادر العربية المطبوعة :

١ — ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين :

(ا) الكامل فى التاريخ ، حـ ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ — اسامة بن مرشد : (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣ — ابن ايبك الدوادارى : (٧٣٢هـ) أبو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر ، حـ ٦ ، الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ — ١٩٦١م .

٤ — ابن الجوزى : (ت ٥٩٧هـ) ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، حـ ٩ ، ١٣٥٩هـ ، حـ ١٠ ، ١٣٥٨هـ .

٥ — الحسينى : ابو الحسن على بن ابى الفوارس ناصر بن على : اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ — ابن حوقل : (عاش فى القرن العاشر) ابو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .

٧ — ابن خرد اذبة : (ت ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد ، طبعة أبريل ١٨٨٩ .

٨ — ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، حـ ٥ طبعة ١٢٨٤هـ .

٩ — الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين أبى عبد الله محمد

بن احمد بن عثمان : العبر فى خبر من غبر ، حـ ٣ الكويت ١٩٦١ ، حـ ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ ـ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ) ابو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، حـ ١ ق ١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م) .

١١ ـ ابو شامة : (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى : الروضتين فى اخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمى محمد احمد ، حـ ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٢ ـ ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) ابو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق ابو اليمن البترونى (ت ١٠٤٦م) المطبعة الكاثوليكية : بيروت ١٩٠٩ .

١٣ ـ ابن شداد : (٦٨٤هـ) عز الدين ابى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم : الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ ـ الأصفهانى : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى . مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م .

١٥ ـ ابن العبرى : (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) جريجوريوس ابى الفرج ابن هرون الطبيب الملطى : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين ابى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، حـ ٢ ، نشر وتحقيق سامى الدهان ، (من ٤٥٧هـ الى ٥٦٩هـ) .

١٧ ـ الفارقى : (عاش فى القرن السادس الهجرى) أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق : تاريخ الفارقى ، القسم الاول ، حققه د . بدوى عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

١٨ ـ ابو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابى الفدا صاحب حماه : المختصر فى اخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية حـ ٢ ، ٣ .

١٩ — ابو الفضايل محمد بن على الحموى : التاريخ المنصورى ، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، نشره ووضع فهارسه بطرس غزيا زنيويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ — ابن القلانسى : (ت ٥٥٥هـ) حمزة بن يعلى : نيل تاريخ دمشق، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٢١ — القرمانى : ابو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى : اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ .

٢٢ — القلقشندى : (ت ٨٢١هـ) أبو العباس احمد : نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبيارى ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، طبعة اولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ — ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ) عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى : البداية والنهاية فى التاريخ ، جـ ١٢ ، مطبعة السعادة.

٢٤ — ابو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ١٣٥٣هـ — ١٩٣٥م .

٢٥ — المقدسى المعروف بالبشارى : (ت ٣٧٥هـ) شمس الدين ابى عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر البناء الشامى : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ — مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

٢٧ — ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ) جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، جـ ١ (ينتهى بموت نور الدين محمود بن زنكى ٥٦٩هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ١٩٥٣ .

٢٨ — ابن الوردى : (٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابى الفوارس الوردى : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٥هـ .

٢٩ — ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٣٠ — يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ، (من رجال القرن الخامس الهجرى): تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطـات والميكروفيلم :

١ ــ ابن ابى الـدم الحموى : (ت ٦٤٢هـ) ابو اسـحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريـخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦٦٦ تاريخ .

٢ ــ ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩هـ) صـارم الدين ابراهيم بن محمد : نزهـة الأنام فى تاريخ الاسـلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعـة العربيـة رقم ٨٥١ تاريخ .

٣ ــ الذهبى : تاريخ الاسـلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تـاريخ .

٤ ــ ابن السـاعى : (ت ٦٧٤هـ) على بن انجب المعروف بابن الساعى البغـدادى : اختـار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .

٥ ــ سبط بن العجمى الحلبى : (ت ٨٨٤هـ) موفق الدين ابى ذر أحمد ابن ابراهيم : كنوز الـذهب فى تـاريخ حلب ، ح ١ مخطوط بدار الكتب المصريـة رقم ٨٣٧ تـاريخ تيمور .

٦ ــ ابن شـاكر الكتبى : (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شـاكر بن احمد بن عبد الرحمن : عيون التواريـخ ، ح ١٣ ميكروفيلم بـدار الكتب المصريـة رقم ١٦٧٢ تاريخ .

٧ ــ ابن الشحنة : (ت ٨١٥هـ) ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روض المنـاظر فى عـلم الأوائل والأواخـر ، مخطوط بـدار الكتب رقم ٥١م تاريخ .

٨ ــ ابن العـديم : (ت ٦٦٠هـ) : بغيـة الطلب فى تاريـخ حلب ، مخطوط بـدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

٩ ــ العينى : (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمد محمود بن احمد بن موسى : عقـد الجمـان فى تاريخ اهـل الزمان ، ح ١٥م ٣ ، ٤ ، ح ١٦م ١ ، مخطوط بـدار الكتب المصريـة رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٠ ــ الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .

١١ ــ ابن الفرات : (ت ٨٠٧هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن احمد بن محمد ابن عبـد العزيز بن محمد : تـاريخ الـدول والملوك ، الأجـزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ مخطوط بـدار الكتب المصريـة رقم ٣١٩٧ تاريخ .

١٢ — ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين ابى الفضل محمد بن ابى بكر بن احمد بن قاضى شهبة الأسدى الدمشقى الشافعى : الدر الثمين فى سيرة نور الدين محمود بن زنكى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٢٣٧ (١) تاريخ .

١٣ — النويرى : (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الادب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة حـ ٢٥ د ٢٦ .

١٤ — ابو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الايوبى — ت ٥٨٩هـ) : تاريخه — القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٩٤٥ تاريخ .

(د) المراجع العربية

١ — اسحاق تاوضروس عبيد : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ — اسد رستم : الدكتور : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب ، حـ ٢ دار المكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ — اغناطيوس افرام الثانى : بطريرك السريان الانطاكى : مقاله فى سورية ، طبعصر بيروت المطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ — حسن حبشى : (الدكتور) :
نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ — زامبور : المستشرق . معجم الانساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، اخراج د . زكى محمد حسن ، د . حسن أحمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول حـ ١ (١٩٥١) ، حـ ٢ (١٩٥٢) .

٦ — الطباخ الحلبى : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الأولى ، حـ ١ ، ٢ (١٣٤٣ — ١٩٢٣) .

٧ — عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

١ — الحركة الصليبية : ، حـ ١ ، ٢ الطبعة الأولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٧ — سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ١٩٦٦ .

٩ — الغزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابى الحلبى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حـ ٣ ، المطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥هـ — ١٩٢٦م .

١٠ — محمد كرد على : خطط الشام — حـ ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى حـ ٢م ٣ — (١٨٩٨م) حـ ٦ (١٩٠٢م) ، المطبعة العمومية المارونية فى بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة : بقلم أحد رهبان دير السيدة برموس فى برية انبا مقاريوس ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.

2. — Anna Comnena : .
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas, London, 1967.

3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.

4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.

5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, Englsih translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :

1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.

7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London : 1904.

8. — Cahen (C.) :

La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.

9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939

10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.

11. — Chalandon (F.) :

1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène. (1081 — 1118), Paris, 1900.

12. — Chronique de Michel le Syriens : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.

13. — Defrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.

14. — Der Nersessian (S,) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.

15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.

16. — Dussaud (R.) :

Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Litteraire d'Edesse jusqu'à la première Croisade, Paris.

18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de 888 à 1125, Paris 1930.

19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chroncile of the Crusades, London, 1932.

20. — Grousset (R.) :
1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
2. L'Epopée des Croisades, Paris, 1939.
3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.

21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III, 1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest, 1946.

22. — Hayes (E.R.) :
L'École d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.

23. —Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908) T.V. 1er Partie (Paris, 1912).

24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.

25. — Iorga (N.) :
1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.

26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

27. — Janin (R.P.) :
Les Eglises separées d'Orient Paris, 1930.

28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, traduit par A. Vidick ; Belgium, 1960.

29 — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.

30. — Lammens (H.): La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.

31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.

32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.

33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.

34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.

35. — Oldenboug (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.

36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.

37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.

38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.

39. — Recueille des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.

41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.

42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954, V. 2, 1952.

43. — Schulmberger (G.) :

1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.

44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pensylvania Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.

45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888. Novembre — Décembre.

46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris, 1900.

47. — Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2, Paris, 1923.

48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.

49 — William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2 Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.



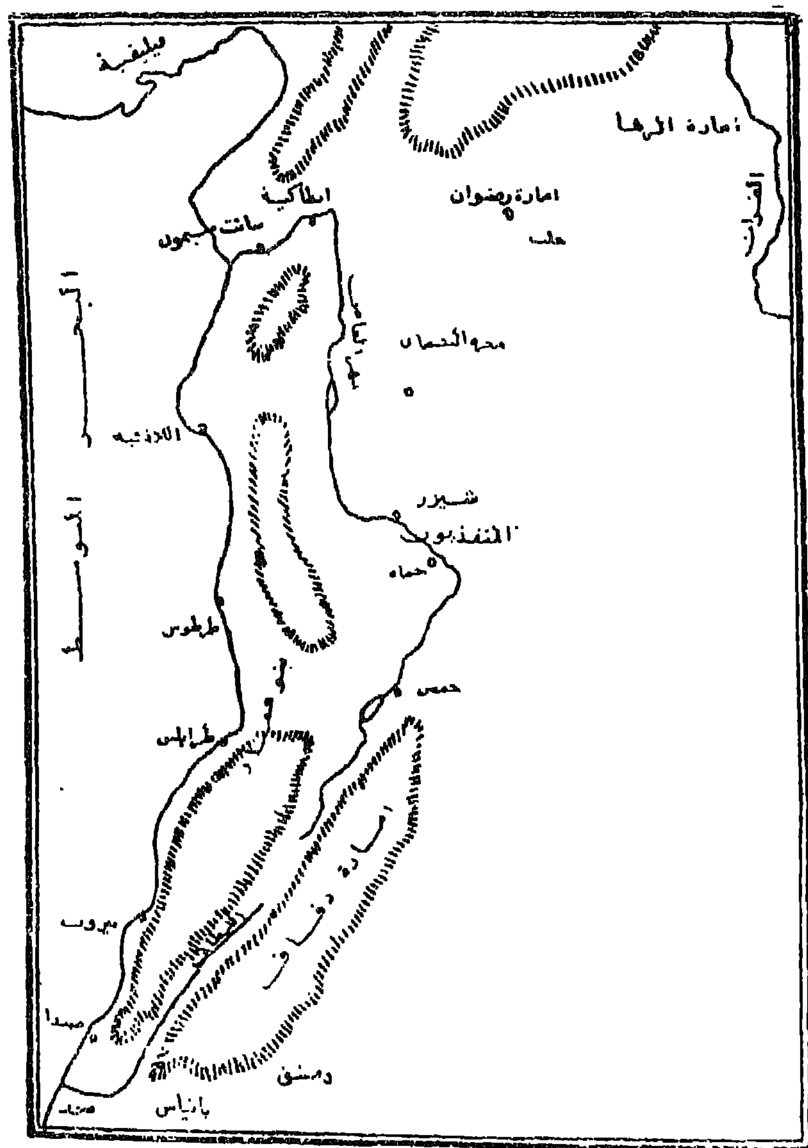
مسير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T1 P. 206

الحدود التقريبية
للولايات المسيحيه حوالى ١١٦٠م

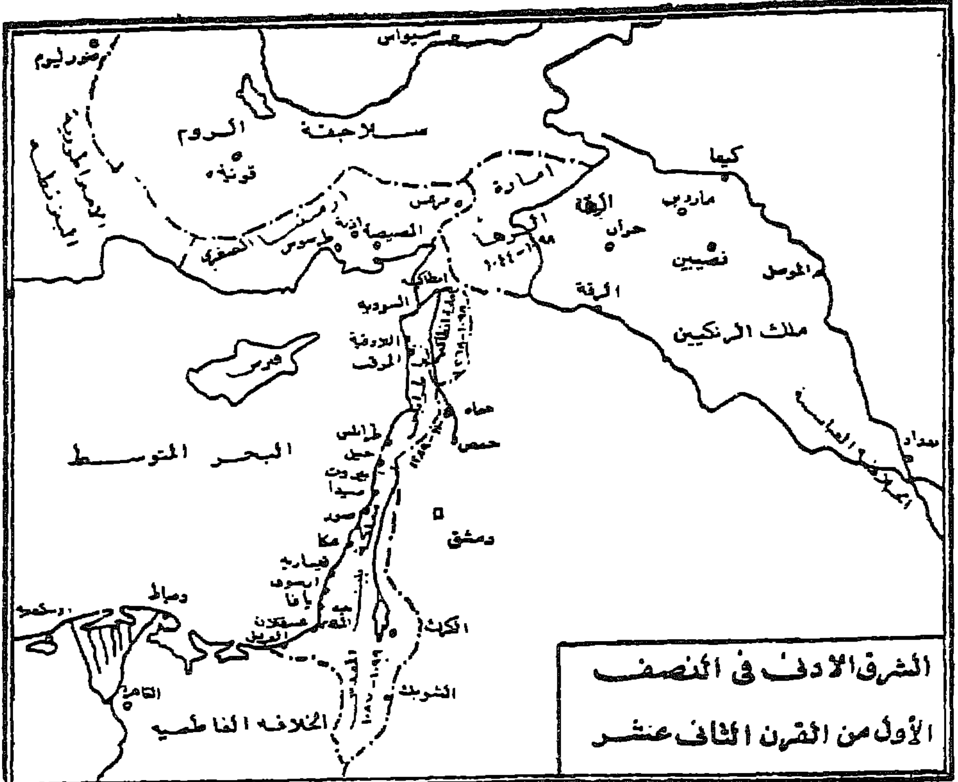
خريطة لجنوب سوريه فى القرن الثانى عشر الميلادى

عن : S.RUNCIMAN: A HISTORY OF THE CRUSADES, V.2, P. 145

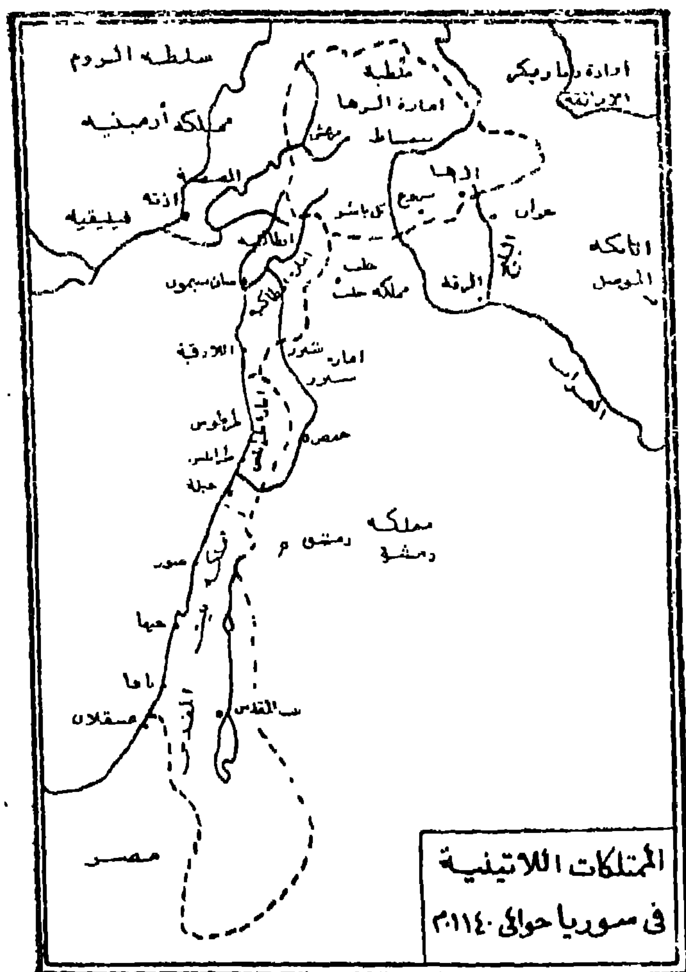


الإمارات الإسلامية في سوريه عند قيام إمارة الرها

عن: J.PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JÉRUSALEM, T.1. P. 211

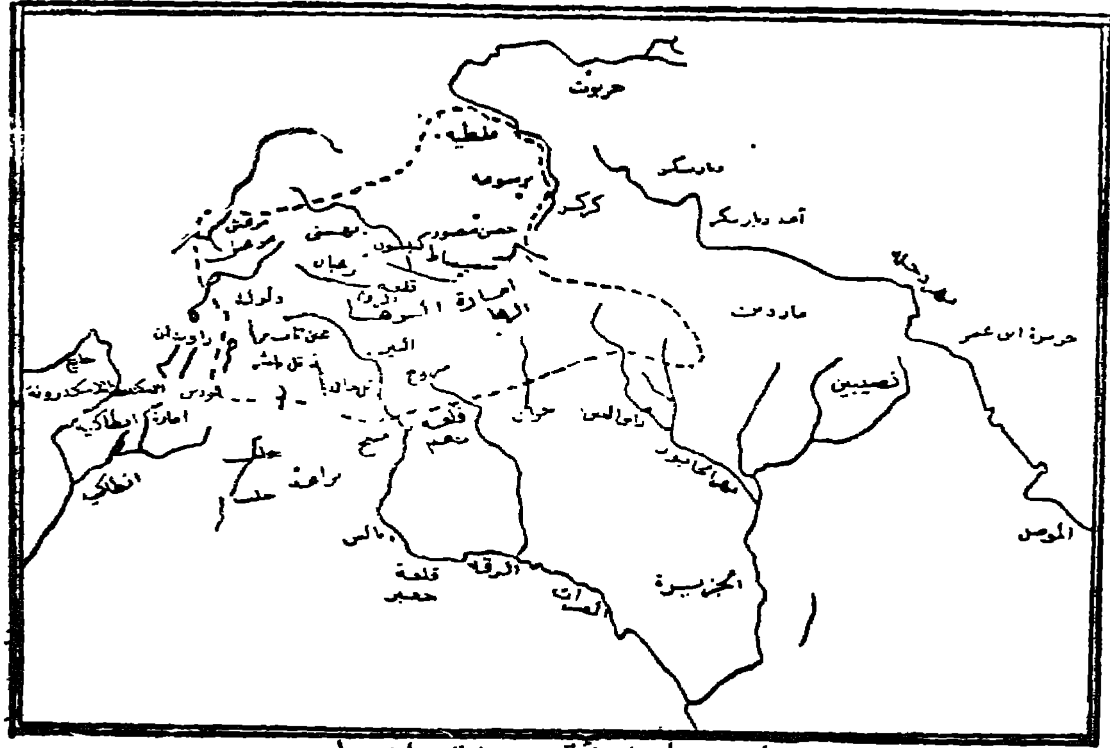


عن: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الأول ص ٤١٠.



عن :

ZOÉ OLDENBOURG : LES CROISADES
P. 247



إمارة الرها في أقصى إتساعها

R.GROUSSET: L'EMPIRE DU LEVANT, P.P: 200-201

الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية

---- ١٠٢٥ حدود تقريبية	------ ٩٦٥ حدود تقريبية
.... ١٠٥٠ » »	——— ٩١٢ » »
... ١١٥٠ » »	.... ٩٤٤ » »

عن : THE CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY V.IV, PART.1 P.699

فهرس

الباب الأول
قيام أمارة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

الموضوع | الصفحة

الباب الثانى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صدر فى هذه السلسلة

- مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.
- على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
- غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.
- هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.
- صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
- رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.
- صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.
- توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
حمود فورى، ١٩٨٧.
- مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
- هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٢ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢ - نظرات فى تاريخ مصر،
حمال بدوى، ١٩٨٨
٢ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى
جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى ،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية
(١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩.
٢ - المجتمع الإسلامى والغرب،
تألف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى،
١٩٨٩.
٢ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.
٢ - فتح العرب لمصر جـ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر، ترجمة : محمد فريد
أبو حديد، ١٩٨٩.
٢ - فتح العرب لمصر جـ٢ ،
تألف : ألفريد ج . بتلر، ترجمة : محمد فريد
أبو حديد، ١٩٨٩.
٢ - مصر فى عهد الإخشيديين،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
٣ - الموظفون فى مصر فى عهد محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.
٣ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.
٣ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.
٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على
الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
- . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.
٣ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ
مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة .
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠
٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة . د . أحمد
عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ
الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تألف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠
٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى
والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
(١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.
٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين
١٩٤٨،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠
٤١ - محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية
عصرية ،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١.
٤٢ - تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢ ، ١٩٩٠ .
٤٣ - رحلة فى عقول مصرية ،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠
٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى
العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١.
٤٥ - الحروب الصليبية جـ ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن
حبشى، ١٩٩١ .
٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية
(١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ،
١٩٩١.

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،

د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،

د . ربيدة عطا، ١٩٩١.

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩)،

د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤)،

د . سهير إسكندر، ١٩٩٣ .

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،

(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،

أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،

د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،

د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،

د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .

٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢ ،

تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،

د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .

٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،

د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .

٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،

د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،

د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،

عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .

٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،

د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،

لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .

٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،

تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،

د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .

٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)،

د . سهام نصار، ١٩٩٣ .

٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،

د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .

٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،

(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣،

تأليف : وليم الصورى

ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١)،

د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف : أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤ .

٧ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦) ،
إعداد: تريفور إيفانر، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .

٧ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ) ،
د . أمينة أحمد إمام ، ١٩٩٤ .

٧ـ تاريخ جامعة القاهرة،
.. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .

٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .

٧ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .

٧ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى) ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .

٧ـ الحروب الصليبية جـ٤ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .

٧ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .

٧ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .

٨ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .

٨ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د . رمزى ميخائيل، ١٩٩٥ .

٨٢ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤

٨٣ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١ ،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤ .

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥ .

٨٥ ـ تاريخ الإذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥ .

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥ .

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
إعداد : تريفور إيفانر، ترجمة وتحقيق. د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥ .

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥ .

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية ،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦ .

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦ .

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،

د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،

د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،

إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،

تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،

د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،

د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،

د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،

أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره

د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧.

د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).

د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.

تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.

سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.

سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.

د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.

د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى

د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)

د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى

تأليف أحمد رشدى صالح

١ ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ
أحمد شفيق باشا.

١ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد

١ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف

١ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس

١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى

١ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش

١٢ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال

١٢ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش

١٢ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش

١٢ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .

١٢ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوى.

١٢ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى)
(١٨٧٦-١٩٤٣)
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر
(١٩٨٧-١٩٩٧)
سمير فريد.

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١
د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢
د. ماجدة محمد حمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ ١٨١١ ـ ١٨٤٨م
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك
لطفى أحمد نصار

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤ ـ حسن البنا متى كيف ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٥ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠، ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم
١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى
١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر
١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت
١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى) الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى) الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م
د. أحمد عبد الحليم دراز
١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفى
١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عماد مسعد السيد العبد
١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان
١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة
١٨٤ ـ الموالية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق
١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف
د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة
١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) جـ٢
د. عادل عبدالحافظ حمزة.
١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفة عبده على
١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)
د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد شلبى
١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ١
د. محسن على شومان
١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ٢
د. محسن على شومان.
١٩٣ ـ الامام محمد عبده بين المنهج الدينى الاجتماعى
د. عبدالله شحاته
١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
د. فتحى الصنفاوى
١٩٥ ـ مجتمع أفريقيا فى عصر الولاة
د. نريمان عبدالكريم أحمد
١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبدالعظيم محمد سعودى
١٩٧ ـ القدس الخالدة
د. عبدالحميد زايد
١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة
١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية (تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)
د. بهاء الدين ابراهيم محمود
٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشماليةعبر العصور (أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل ١٩٩٨م).
اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

٢٠١ ـ إمــارة الحج فى مــصــر العثمانية (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر
٢٠٢ ـ المندوبون الساميـون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود
٢٠٣ ـ الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب
٢٠٤ ـ العلاقـات الاقتصادية بين مـصـر وبريطانيـا (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى
٢٠٥ ـ تاريخ الغربيــة وأعـمـالهـا فى العصر الاسلامى (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا
٢٠٦ ـ مصر للمصريين جـ٩
سليم خليل النقاش
٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢٠٨ ـ الدور الـمـصـرى والـعـربى فى حــرب تحــرير الكويت جـ١
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢٠٩ ـ الدور الـمـصـرى والـعـربى فى حــرب تحــرير الكويت جـ٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢١٠ ـ قبرس والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د. علية عبدالسميع الجنزورى

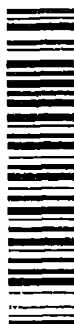
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X

يتناول هذا الكتاب تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية



مطابع الهيئة المصرية

٦٢٥ قرشاً